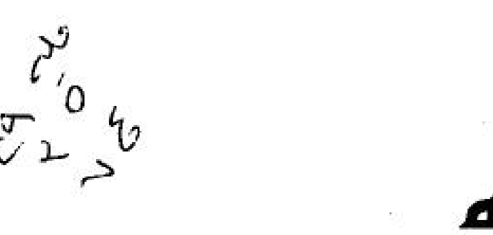




جامعة مؤتة

كلية الآداب - قسم التاريخ

الحجابة والوزارة

في عصر الخلافة الأموية في الأندلس

(٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٨-١٠٣٠م)

إعداد

أمنة محمود عودة الذيابات

بكالوريوس تاريخ - الجامعة الأردنية ١٩٨٤

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير

في جامعة مؤتة - تخصص تاريخ

لجنة المناقشة	التوقيع	
١- الأستاذ الدكتور تقي الدين عارف الدوري	....	مشرفاً
٢- الأستاذ الدكتور أحمد عبد الله الحسو	....	عضواً
٢- الدكتـور طـه الطراونـة	....	عضواً

تاريخ تقـديم الرسالة / / ١٩٩٩

تاريخ مناقشة الرسالة / / ٢٠٠٠

الإهـــداء

إلى والـديَّ ....

إلى إخوتي وأخواتي ....

شكر وتقدير

أشكر الله سبحانه وتعالى الذي أعانني على إتمام هذه الدراسة، وأقدم خالص الشكر والثناء للمشرف الأستاذ الدكتور تقي الدين عارف الدوري ، لما قدمه من إرشادات وتوجيهات سديدة، ومتابعة دؤوبة في أثناء هذه الدراسة .

وأُسدي جزيل الشكر والامتنان للأستاذ الدكتور أحمد عبد الله الحسو، والدكتور فلاح الأسدي، لما قدّماه من مساعدة ونصائح في أثناء إعداد الدراسة .

وأتوجه بالشكر إلى جميع أساتذة قسم التاريخ في جامعة مؤتة على جهودهم الخيرة .

وأشكر كل من ساهم في تقديم العون والمساعدة في أثناء هذه الدراسة ، جزاهم الله جميعاً عني وعن العلم كل خير .

خطة البحث

الباب الثاني : الـــوزارة



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

على الرغم من أن الأندلس خضعت للحكم العربي مع الفتح الإسلامي سنة ٩٢هـ/٧١١م، إلا أن النظم السياسية والإدارية فيها لم تتبلور بشكلها الواضح إلا بعد قيام الدولة الأموية فيها سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م.

ركزت معظم الدراسات التي تناولت التاريخ الأندلسي على الجانب السياسي، وجاء اهتمامها بالنظم الأندلسية محدوداً، لذا فقد وجهت هذه الدراسة لتناول موضوع الحجابة والوزارة في عصر الخلافة الأموية في الأندلس (٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٨-١٠٣٠م) .

وجاء هذا الربط بين الحجابة والوزارة لضرورة اقتضتها طبيعة التنظيم الإداري للدولة خلال الحقبة المشار إليها، فقد كان الحاجب في إطار هذا التنظيم هو الرأس الأعلى الذي يرتبط به مجموعة من الوزراء ومن هنا فأن الحجابة والوزارة تمثلان مؤسستين مرتبطتين أحداهما بالأخرى كما يتضح ذلك في ثنايا الرسالة .

تناولت الدراسة أولاً تحليلاً لأهم المصادر والمراجع التي استندت إليها. ثم قدمت تمهيداً تناول الحالة السياسية لعصر الخلافة الأموية، سلط الضوء على الخطوط العريضة التي سادت عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، والحكم المستنصر، وهشام المؤيد ثم على أحداث الحقبة الممتدة من عامي (٣٩٩-٤٢٢هـ/ ١٠٠٩-١٠٣٠م)، وما تخللها من صراعات على الحكم أدت في النهاية إلى سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م.

وتضمنت هذه الدراسة بابين؛ اختص الباب الأول في الحجابة، ويشمل خمسة فصول :

تناول الفصل الأول نشأة الحجابة في الأندلس قبل سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م، ثم تطور منصب الحجابة أثناء عصر الخلافة .

أما الفصل الثاني فقد بحث في رسوم الحجابة في المناسبات المختلفة، ثم تعيين الحجاب وعزلهم، والألقاب التي منحت لهم.

واستعرض الفصل الثالث صلاحيات الحاجب، ثم العلاقة بين الحجابة والخلافة وتطورها.

وعكس الفصل الرابع من الدراسة الدور الحضاري الذي قام به الحجاب الأندلسيون في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية.

وتناول الفصل الخامس أثر الحجاب في الحياة العلمية والثقافية من خلال نتاجهم العلمي ودورهم في تنشيط الحياة العلمية والثقافية في مختلف الحقول العلمية كالعلوم الدينية والأدب والتاريخ والفلسفة وغيرها.

أما الباب الثاني فقد تناول الوزارة، واحتوى أربعة فصول:

تناول الفصل الأول، نشأة الوزارة وتطورها في الأندلس في عصري: الإمارة والخلافة.

واختص الفصل، بإجراءات تعيين الوزراء وعزلهم.

واهتم الفصل الثالث، بدراسة رسوم الوزارة ومجالس الوزراء، وصلاحياتهم، ثم ألقابهم.

وركز الفصل الرابع، والأخير على دراسة الأثر الذي تركه الوزراء في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والعلمية والثقافية، ونتاجهم العلمي.

أما الخاتمة فقد تضمنت النتائج التي خلصت إليها الدراسة، ثم أعقب ذلك عدد من الملاحق وقائمة بالمصادر والمراجع وملخص باللغتين العربية والإنجليزية.

وفي الختام، أرجو أن يكون هذا البحث المتواضع قد أسهم في التعرف على بعض النظم السياسية والإدارية في عصر الخلافة الأموية في الأندلس، وسد ثغرة في المكتبة الأندلسية .

ومن اللّه التوفيق ، وبه نستعين .

تحليل المصادر والمراجع :

اعتمدت الدراسة على مجموعة واسعة من المصادر التاريخية والأدبية والجغرافية، وقد أخذت بعين الاعتبار المصادر الأولية المعاصرة لحقبة موضوع الدراسة، أو التي كانت قريبة منها، ولم تغفل كذلك المصادر التالية التي أفادت الدراسة منها حين قدمت معلومات عن عدة مصادر أولية مفقودة، أو روايات سبق ذكرها في هذا المصدر أو ذاك من المصادر الأولية، حيث اعتمدت المنهجية التاريخية مقارنة وتدقيقاً بهدف التثبت من الصورة الأقرب إلى الحقبة، كما حصلت فعلاً .

أما المراجع الحديثة المدونة باللغة العربية وبغيرها، فقد كانت موضوع الاهتمام لها يتركز على ما قدمته من تفسير أو تعليل مع الرجوع إلى الأصول التي اعتمدتها في أحكامها هذه :

تاريخ افتتاح الأندلس، لأبي بكر محمد القرطبي ابن القوطية (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م).

اهتم ابن القوطية بدراسة الأحداث التي سبقت مرحلة الدراسة ، وقد استفادت الدراسة من الإشارات التي ذكرها حول الهجوم النورماندي على السواحل الأندلسية في عصر الإمارة[1]، كما أغنى الكتاب الدراسة بمعلومات كثيرة تتعلق بنشأة الحجابة والوزارة في الأندلس في عصر الإمارة .

مؤلفات ابن حزم :

رسالة نقط العروس في أخبار بني أمية بالأندلس، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م).

كان لهذه الرسالة أهمية كبيرة في هذه الدراسة، لا سيما وأنه انفرد بأخبار لم ترد عند غيره، وربما كان لمركزه السياسي ومركز والده في الدولة أثر

(١) ابو بكر محمد بن القوطية، تاريخ إفتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، ط١، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ١٩٩٤، ص٧٣، ٧٥، ٩٨، ١١٠، ١١١. وسيشار إليه تالياً : ابن القوطية، تاريخ إفتتاح .

في الحصول على معلومات ذات أهمية كالذي ذكره عن محاولة الحاجب المنصور التلقب بالخلافة[1]. والصراع بين الحاجب المنصور وشريكه في الحجابة غالب الناصري[2]. وعلاقة الحاجب المنصور بالسيدة صبح التي جعلها ابن حزم من غرائب المناكح[3]، مما أغنى الرسالة في تحديد علاقة الحجابة بالخلافة. وأثر الحُجّاب في الحياة الاجتماعية، والعلمية، والثقافية، والدينية[4].

رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها :

وكان لهذه الرسالة أثر جلي زود الدراسة بإشارات حول أثر الحُجّاب والوزراء في الحياة العلمية والثقافية ونتاجهم العلمي، كما انتفعت الدراسة من رسائل أخرى لابن حزم خاصة في موضوع الحالة السياسية لعصر الخلافة[5].

جمهرة أنساب العرب :

ويتناول الحديث عن الأسر العربية والبربرية والإسبانية الأصل التي عاشت في الأندلس، وقد ألقى الضوء على نسب بعض الحُجّاب والوزراء وأفراد البيت الأموي ممن لهم علاقة بالدراسة[6].

---

(١) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، نقط العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٨٧، جـ٢، ص٨٦-٨٧. وسيشار إليه تالياً: ابن حزم، نقط العروس؛ انظر : الدراسة ص١٣٠ .

(٢) ابن حزم، نقط العروس، ص٩٤-٩٥ .

(٣) المصدر نفسه، ص٦٨، ٩٨ .

(٤) المصدر نفسه، ص٦٨، ٩٨ .

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص١٧٨-١٧٩، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٤، ١٩٦-٢٠١؛ ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي،٤ج، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٨٧. وسيشار إليه تالياً : ابن حزم، رسائل ..

(٦) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢، ص١٠٠، وسيشار إليه تالياً: ابن حزم، جمهرة أنساب؛ ويحمل الكتاب عنواناً آخر هو قلائد الذهب في جمهرة أنساب العرب، ٢ج، تحقيق كامل الجبوري، ط١، المكتبة الوطنية، بغداد، د.ت، جـ٢، ص ٩٣، وسيشار إليه تالياً: ابن حزم، قلائد الذهب .

طوق الحمامة في الإلفة والألاف :

وهذا الكتاب من مؤلفات ابن حزم أيضاً، ويتناول فيه الحديث عن العواطف الإنسانية ، وفلسفة الحب، وقد أورد فيه أخباراً من تجاربه الذاتية.

وللكتاب أهمية تاريخية وأدبية لما يحتوي بين ثناياه من معلومات عن واقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأدبية للحجاب والوزراء، تمت الإشارة إليها في الدراسة[1].

طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسي (ت٤٦٢هـ/١٠٧٠م) :

وهو من كتب التراجم التي رفدت الرسالة بمعلومات عن أثر الحُجّاب والوزراء في الحياة العلمية والثقافية في حقل الطب، والفلسفة[2].

- مؤلفات ابن حيان :

المقتبس لأبي مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م) :

ويتكون من عشرة أجزاء، فُقدت أجزاء منه، والأجزاء المتبقية، التي اعتمدت بعضها هذه الدراسة هي :

المقتبس : ويختص هذا الجزء بحقبة حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر من سنة (٣١١-٣٣٣هـ/٩٢٣-٩٤٤م)، وقد توافرت فيه مادة غنية ومفيدة حول صلاحيات الحُجّاب والوزراء، وألقابهم وتعيينهم وعزلهم، إضافة إلى مادة أخرى حول الحروب والعلاقات مع الممالك الإسبانية، وإعلانه الخلافة، كما تميزت مادته بذكر أسماء الوزراء وتعيينهم وعزلهم[3] .

(١) ابن حزم، طوق الحمامة في الإلفة والألاف، تحقيق الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥، ص٧٩، ١٤٩-١٥٠، وسيشار إليه تالياً: ابن حزم، طوق الحمامة؛ انظر: ص١٤٦، ٢٠٨ من هذه الدراسة.

(٢) أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد المعروف بصاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تحقيق حياة أبو علوان، بيروت، لبنان، ١٩٨٥، ص١٦٣-١٦٤، ١٩١-١٩٢، وسيشار إليه تالياً: صاعد الأندلسي، طبقات الأمم؛ وانظر : ص٢٠٩، ٢١١ من هذه الدراسة.

(٣) ابن حيان، المقتبس، اعتنى بنشره شالميتا، منشورات المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب، الرباط، مدريد، ١٩٧٩، ص٢٨، ٥٩، ٨١-٨٢، ١١٠، ٢٠٣-٢٠٩، ٢٤١، ٢٦٣-٢٦٤، ٤٣٧، ٤٤٥-٤٤٧، ٤١٩-٤٢٤، ٣٣٣-٣٤١، ٣٢٠، ١٨٦-١٨٧، ٣٠٧-٣١٢، ٣٧١-٣٧٣، ٤٧١. وسيشار إليه تالياً:ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا؛ انظر: ص٣٠-٣١من هذه الدراسة.

أما الجزء الآخر فيحمل عنوان «المقتبس في أخبار بلد الأندلس»[1].

ولهذا الجزء أهمية كبيرة في ما يتعلق برسوم الحجابة والوزارة وشروطها وصلاحيات الحُجّاب والوزراء، وأفاد أيضاً في موضوع ألقاب الوزراء[2]، واتصفت مادته بالدقة، إذ كان يذكر الحدث حسب السنة والشهر الهجري، وما يقابله بالميلادي واليوم والساعة[3].

جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس: لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م)[4].

وهو من كتب التراجم، حيث رتبها حسب حروف المعجم، فذكر اسم الرجل وكنيته ومولده ووفاته، ومن روى عنهم، ومن روى عنه، كما أشار باختصار إلى ماثرهم .

وقد أسعف هذا الكتاب الدراسة فيما يتعلق بالشروط الواجب توافرها في الحُجّاب والوزراء[5]، ومكانتهم العلمية والثقافية، إضافة إلى أهمية المادة التي أوردها الحُميدي في مقدمته عن أمراء وخلفاء بني أمية[6].

---

(١) ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣، ص٢٣٩، وسيشار إليه تالياً: ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي .

(٢) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص ١٤ . ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٤١، ٤٤-٤٥، ٤٦، ٤٧، ٧٨، ٨٠، ٨٦، ١١٨-١٢٠، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٥، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٨-١٧٩، ١٨٤-١٨٥، ١٩٦-١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١ .

(٣) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص١١٨.

(٤) المقتبس : اسم فاعل من إقتبس، بمعنى طلب ناراً أو أوقدها، والجذوة الجمرة الملتهبة، والعنوان يعني: الشعلة المضيئة التي يعثر عليها الساعي في طلبها، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ٢ق، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣، ق١، ص١٨، (مقدمة المحقق)، وسيشار إليه تالياً : الحميدي، جذوة المقتبس .

(٥) المصدر نفسه، ق١، ص١٣٢، ١٣٣ .

(٦) انظر : ص٦٢، ١٧٨، ٢٠٣ من هذه الدراسة.

مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس: للوزير الكاتب أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان[1] (ت٥٢٩هـ/١٣٣٥م).

والمطمح في الأصل ثلاثة كتب هي المطمح الكبير، والمطمح الأوسط، والمطمح الصغير، سار ابن خاقان على نسق واحد في تأليفها جميعاً في تراجم الخلفاء والأمراء والوزراء والأدباء والكتاب .

والمطمح المنشور والمعتمد في هذه الدراسة، هو المطمح الصغير، وقد قسم المؤلف تراجمه فيه إلى ثلاثة أقسام حسب الوظيفة السياسية والإدارية والمركز الأدبي ضم القسم الأول: الوزراء، والثاني: الفقهاء والعلماء، والثالث: الكُتّاب، ولم يتبع ابن خاقان ترتيباً معيناً في الترجمة، فهو يترجم مثلاً للمصحفي (ت٣٧٢هـ/٩٨٢م) قبل أحمد بن عبد الملك بن شهيد (ذو الوزارتين) رغم أن الأخير توفي قبل الأول، كما ترجم لابن حزم (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) قبل الخُشني (ت٣٦١هـ/٩٧١م) وبينهما حقبة زمنية طويلة .

وكان للمطمح أهمية كبيرة في هذه الدراسة، بما أسعفها من معلومات تتعلق بالجانب العلمي لبعض الوزراء والحُجّاب خلال حقبة الدراسة، بالإضافة إلى الإفادة من ترجمة كل من الحاجب المصحفي والمنصور، وما لدور الحاجب من أثر في الناحية العمرانية كبناء مدينة الزاهرة[2].

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: لأبي الحسن على بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) نسبة إلى شنترين الواقعة غرب الأندلس (البرتغال).

---

(١) خاقان : تعني خان الخانات عند الأتراك، مثل شاهنشاه عند الفرس، والخاقانية كلمة الصقت به بسبب الخلوة والإنفراد بالنفس، أبو نصر الفتح بن محمد بن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، ط١، دار عمار، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣، ص٢٠-٢٢، (مقدمة المحقق)، وسيشار إليه تالياً: ابن خاقان، مطمح .

(٢) المصدر نفسه، ص١٥٤، ١٦٦، ١٧٧، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٩-٢١١، ٢٢٦٦، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢١٢-٢١٣، ٢٨٨، انظر : ص١٤٣و١٤٥ من هذه الدراسة.

واعتمدت هذه الدراسة على كتاب «الذخيرة» بشكل واسع، نظراً لأهمية المادة التي أوردها، والتي انفرد أحياناً ببعضها، نظراً لاعتماده على مصادر مفقودة ، لذا فقد أغنت مادته جميع فصول الدراسة كتطور الحجابة[1]، والوزارة في الأندلس أثناء عصر الخلافة، وشروط الحجابة والوزارة[2]، وتعيين الوزراء[3] وعزلهم[4] ورسوم الوزارة وأخبار عن الحُجّاب، وألقابهم وصلاحياتهم وعلاقة الحجابة بالخلافة[5]، وأثرهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ومما انفرد به معلومات عن كل من: الحاجب جعفر الصقلبي والمصحفي[6]، وقد أفرد مادة واسعة في كتابه حول دور الحُجّاب والوزراء في الأندلس من الناحية العلمية والثقافية، ضمّنها شعراً للوزراء والحُجّاب والكتاب والشعراء [7].

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك

للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض المالكي (ت٥٤٤هـ/ ١١٤٩م).

والقاضي عياض كان مهتماً بعلم الحديث، تولّى منصب القضاء عدة مرات، وله مصنفات مختلفة، منها كتاب «ترتيب المدارك» هذا الذي يتناول رد المالكية على المذاهب الأخرى معتمداً على المنطق والحجج الشرعية والمصادر الفقهية، ويضم الكتاب تراجم لعلماء المالكية، وقد نفع الدراسة بالأخص في حقل العلوم الدينية، وكان يذكر الاسم والكنية والولادة والوفاة للمُتَرْجَم لهم من

---

(١) أبو الحسن على بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٤ق، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٩، ق٤، م١، ص٥٩، ٦٠-٦١، ٦٤، ٦٥ . وسيشار إليه تالياً: ابن بسام، الذخيرة.

(٢) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٧٥، ٧٩.

(٣) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٥٩، ٦٧-٦٨.

(٤) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٦٦، ٦٧-٦٩، ٧٨ .

(٥) المصدر نفسه، ق١، م١، ص١٢١، ق٣، م١، ص٥٢٢-٥٢٨، ق٤، م١، ص٤٦-٥٣.

(٦) انظر : ص ١٦٥ من هذه الدراسة.

(٧) المصدر نفسه، ق١، م١، ص٣٢٢-٣٣٥، ١٣٢-١٣٣، ٧٧، ٥٩، ٦٢، ق٤، م١، ص٨-٢٥، ٣٠-٣٤، ٥٣-٥٦ .

العلماء والأدباء والذين كانوا معاصرين لحقبة عصر الخلافة[1].

كما أشار إلى علاقة هؤلاء العلماء والفقهاء المباشرة بحجّاب ووزراء هذه الحقبة.

الصلة في تاريخ علماء الأندلس : لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال (ت٥٧٨هـ/١١٨٢م).

وهو من كتب التراجم، أكمل به مؤلفه كتاب ابن الفرضي «تاريخ علماء الأندلس»، إذ رتب ابن بشكوال كتابه حسب حروف المعجم وعلى نسق كتاب ابن الفرضي، وقد اعتمد على عدة مصادر مفقودة[2].

وقد زود كتابُ «الصلة» هذه الدراسة بمادة عن الحياة العلمية والثقافية لبعض الحُجّاب والوزراء، ومن عاصرهم من العلماء والأدباء[3]، وأفاد أيضاً في موضوع شروط الحجابة والوزارة ونسب الوزراء[4]، وتطور منصب الحجابة أثناء عصر الخلافة، وعلاقتها بالخلافة[5].

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت٥٩٩هـ/١٢٠٢م).

وهو من كتب التراجم الأندلسية للخلفاء والأمراء والقادة والعلماء. يسير الضبي في ترتيب التراجم حسب حروف المعجم، وترجمته بمثابة سجل حافل بجميع المعلومات عن الشخصية المترجم لها، وقد أفادت هذه التراجم الدراسة

(١) ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض المالكي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ٣ج، تحقيق أحمد بكير، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، جـ٢، ص٥٨٢-٥٨٣، ٦٥٧-٦٥٨، ٦٦٨، ٦٤٣-٦٤٥، ٥٦٣. وسيشار إليه تالياً: عياض، ترتيب المدارك؛ انظر : ص١٨٥، ١٨٨ من هذه الدراسة.

(٢) ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال، الصلة، ٢ج، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب العربي، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩، جـ١، ص٢٣، ٢٤، ٢٦، وسيشار إليه تالياً: ابن بشكوال، الصلة.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٤٦٨، ٤٨٤، ٥٢١، ٧٩٢، جـ٣، ص٩٩٢-٩٩٣ .

(٤) المصدر نفسه، جـ١، ص٢٥.

(٥) المصدر نفسه، جـ١، ص٣٢٨-٣٢٩، جـ٢، ص٩٥٥ .

في رسوم الحجابة والوزارة، ومكانة الحجاب والوزراء العلمية والثقافية[1]، وألقاب الحاجب[2]، والعلاقة بين الحجابة والخلافة[3]، وتطور الوزارة في عصر الخلافة[4].

المعجب في تلخيص أخبار المغرب: تأليف عبد الواحد المراكشي(ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م).

يبدأ المراكشي الحديث في مصنفه بمقدمة موجزة عن تاريخ المغرب والأندلس للحقبة الممتدة من (٩٢-٦٢١هـ)، وكان لهذه المقدمة أهمية لهذه الدراسة[5].

وللكتاب قيمة أدبية إذ أورد مطارحات شعرية بين الحاجب المصحفي والزبيدي (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م)، وكذلك تراجم لشعراء كالرمادي، وابن دراج القسطلي، وألقى ضوءً كبيراً على حياة الحاجب المصحفي والمنصور بن أبي عامر والمظفر وتراجم لخلفاء بني أمية حتى سقوط الخلافة والوزير أحمد بن خالد الحائك[6]، وأفاد الرسالة في موضوع عزل الحُجّاب وأعطى صورة عن الحياة الاجتماعية للحجاب والوزراء، وصلاحيات كل منهم[7].

عيون الأنباء في طبقات الأطباء: لموفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس (ت٦٦٨هـ/١١٤٧م) .

يضم الكتاب تراجم للأطباء، وقد تناول في الباب الثالث عشر أطباء المغرب العربي، ومن أقام فيها من الأطباء الوافدين، وقد أفادت تراجمه هذه

(١) أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧، ص٢٩، وسيشار إليه تالياً : الضبي، بغية الملتمس.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٥-١٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٥٥.

(٤) انظر: ص١٩٧، ٢٠٣ من هذه الدراسة.

(٥) عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٣، وسيشار إليه تالياً: المراكشي، المعجب، ص٦٢، ٦٦، ٧٠، ٧٣، ٧٤، ٧٩، ٨٠، ٨٧، ٩٠-١٠٤، ١٢٤، ١٧٢، ١٧٨ .

(٦) المصدر نفسه، ص٦٢، ٦٦، ٧٠-٧١، ٨٥، ٨٦-٨٧، ٩٠، ٩٨، ١٠٤ .

(٧) المصدر نفسه، ص١٨٥، ٢٠١، انظر: ص٢٠٧، ٤٤، ١٢٢، ١٤٤ من هذه الدراسة.

الدراسة في حقل الطب بخاصة[1].

- مؤلفات ابن الأبار :

الحلة السِّيَراء[2]، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي المعروف بابن الأبار (ت٦٥٨هـ/١٢٦٦م).

وضم كتاب «الحلة السيراء» تراجم أدبية وتاريخية لكثير من الشخصيات الأندلسية كالخلفاء والأمراء والحُجّاب والوزراء والعلماء خلال عصر الإمارة والخلافة، وقد تميز مؤلفه بأنه انفرد بروايات عن غيره من الكتب، خاصة وأنه اعتمد على كتب لم يتسن لغيره من المؤرخين الاعتماد عليها، وتناولت وزراء وحجاب عصر الإمارة، ويعد كتاب الحلة بالنسبة لهذه الرسالة من المصادر الرئيسة التي انتفعت بها خاصة في موضوع الشروط الواجب توافرها في الوزراء والحُجّاب، وألقاب الوزراء والحُجّاب، وتعيينهم وعزلهم، ومكانتهم العلمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، والعلاقة بين الحجابة والخلافة[3]. كما أفادت الرسالة من كتبه الأخرى مثل «تكملة كتاب الصلة»، و«إعتاب الكتاب»، وأورد الأخير معلومات حول المكانة العلمية للحُجّاب والوزراء، خاصة وأنه من الكتب الأدبية النافعة، إضافة إلى معلوماته القيمة عن عزل الوزراء .

المغرب في حلى المغرب، أكمله أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت٦٨٥هـ/١٢٧٤م)[4].

---

(١) موفق الدين ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار الحياة، بيروت، د.ت، ص ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٨، وسيشار إليه تالياً: ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء .

(٢) الحلة السيراء: تعني الثوب المخطط كناية عما يتضمنه الكتاب من أدب وشعر وتاريخ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن الأبار، الحلة السيراء في أشعار الأمراء، ٢ج، تحقيق حسين مؤنس، ط١،الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣، جـ١، ص٤٧ (مقدمة المحقق). وسيشار إليه تالياً: ابن الأبار، الحلة.

(٣) المصدر نفسه، جـ١، ص ١٢٠، ١٢١، ١٣٥، ١٣٩-١٤٠، ٢٢٣٣، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٨، ٢٧٥، ٢٨٦.

(٤) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ق٢، تحقيق شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨، ق١، ص٩-١٢. وسيشار إليه تالياً : ابن سعيد، المغرب .

اشتمل هذا الكتاب على معلومات متنوعة عن أخبار الأندلس، جاءت في الباب الخامس من القسم الخامس من الفن الخامس[1] .

وقد أفادت منه الدراسة وبخاصة ما يتعلق بنشأة كل من الحجابة والوزارة، كذلك ما يخص ألقاب الحُجّاب والوزراء وعزلهم وتعيينهم، بالإضافة إلى أهمية ما أورده عن الدولة العامرية، والفتنة البربرية ثم تطور الأوضاع في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م[2].

أعمال الأعلام فيمن بويع قبل سن البلوغ من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، للسان الدين ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م).

كان المؤلف الوزير الأول في عهد أبي الحجاج يوسف الأول وابنه محمد الخامس الغني بالله من ملوك بني الأحمر أو بني نصر في غرناطة .

ألف الكتاب للسلطان المريني الطفل زيان محمد السعيد بن عبد العزيز ووزيره أبي بكر بن غازي في محاولة من ابن الخطيب للتقرب منهما، وهو آخر إنتاج علمي لابن الخطيب، يتناول فيه التاريخ العام للعالم الإسلامي، وينقسم إلى ثلاثة أقسام، أفاد هذه الدراسةَ القسمُ الثاني الذي يتحدث عن تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى القرن الثامن الهجري.

وأفاد الدراسة بشكل كبير في موضوع الحالة السياسية لعصر الخلافة الأموية بالأندلس، وكذلك في الفصول الأخرى، المتضمنة شروط الحجابة والوزارة، وصلاحيات كل من الحاجب والوزير، وأثر الحاجب في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وقد أورد ترجمة واسعة ومفيدة للحاجب المنصور وانجازاته العسكرية والحضارية، وكذلك الحاجب عبد الملك المظفر وعبد الرحمن

= وسيشار إليه تالياً: ابن عذاري، البيان؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار المغرب، دار صادر، بيروت، مطبعة المناهل، ١٩٥٠، وسيشار إليه تالياً، ابن عذاري، البيان، صادر .

(١) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٧ج، تحقيق أحمد كمال زكي، مراجعة مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٠، جـ٢٢ . وسيشار إليه تالياً: النويري، نهاية الأرب.

(٢) المصدر نفسه، جـ٢٢، ص٤١٦-٤١٧ .

شنجول، إضافة إلى وثائق حول ألقاب بعض الحُجّاب ووصاياهم[1].

تاريخ قضاة الأندلس المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، لأبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد المالقي النباهي (ت٧٩٣هـ/١٣٩٠م).

وقد أفاد هذا الكتاب الدراسة بما ورد فيه من مادة حول ألقاب الحاجب، وشروط الحجابة، ومكانة الحُجّاب والوزراء العلمية خاصة في حقل العلوم الدينية[2].

-مؤلفات ابن خلدون :

مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م).

وتشكل الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون، وكان للنصوص التي أوردها ابن خلدون في المقدمة عن الخطط الأندلسية كالوزارة والحجابة في الأندلس، أهمية كبيرة لهذه الدراسة، وبخاصة في نشأة كل من الوزارة والحجابة في الأندلس، وتطورهما[3].

تاريخ ابن خلدون، المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر:

والكتاب من المصادر التاريخية الهامة التي رفدت الدراسة بمعلومات

(١) لسان الدين بن الخطيب السلماني، (تاريخ إسبانيا الإسلامية) المسمى كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، ٣ق، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦، ق٢، ص٣-٤. وسيشار إليه تالياً: ابن الخطيب، أعمال.

(٢) أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد المالقي النباهي: تاريخ قضاة الأندلس المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، لجنة احياء التراث العربي، دار الآفاق، بيروت، لبنان، ١٩٨٠، ص٧٨، ٨١. وسيشار إليه تالياً: النباهي، المرقبة العليا؛ انظر: ص٢٨ من هذه الدراسة.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ٣ج، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط٣، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ١٩٨١، جـ٢، ص٦٧٠-٦٧١. وسيشار إليه تالياً: ابن خلدون، المقدمة؛ انظر: ص٥٤، ١٠٨، ٢١٧ من هذه الدراسة.

حول الحالة السياسية للأندلس في عصر الخلافة[1]، وموضوع صلاحيات الحُجّاب وألقابهم[2].

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٠٥م)[3].

تكمن قيمة هذا الكتاب الموسوعي في اعتماد مؤلفه المقري على الكثير من المصادر المفقودة في الوقت الحاضر، وقد شملت أهمية الكتاب مختلف فصول الدراسة وهي الحالة السياسية لعصر الخلافة في الأندلس، ونشأة وتطور منصبي الحجابة والوزارة وشروطهما، وتعيين وعزل كل من الحاجب والوزير، وصلاحيات كل منهما إضافة إلى أثر الحُجّاب والوزراء في الحياة العلمية والثقافية وكان له إشارات كبيرة يكاد ينفرد بها حول العمارة والحياة الاجتماعية، وأثر الحُجّاب فيها، كما أشار إلى الأوضاع الاقتصادية في عصر الخلافة والسفارات السياسية، والهدايا المتبادلة بين الحُجّاب والخلفاء والحُجّاب والوزراء[4].

ومن المصادر الأخرى التي اعتمدت عليها أهمية هذه الدراسة، كتاب «طبقات الأطباء» لابن جلجل (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، الذي أفاء في موضوع أثر الحجاب والوزراء في الحياة العلمية والثقافية، وخاصة حقل الطب والفلسفة[5].

وكذلك «ديوان الشاعر أحمد بن دراج القسطلي» (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م). وهو من كتاب الإنشاء في الدولة العامرية، ومن أبرز شعراء بلاط الحاجب المنصور

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧١ جـ١، ص٢٢٨، ٢٢٩، جـ٤، ص١٢٢-١٢٧، وسيشار إليه تالياً: ابن خلدون، تاريخ، ؛ انظر: ص٢٢ من هذه الدراسة.

(٢) انظر: ص٥٢ ، ٢١٧ من هذه الدراسة.

(٣) أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٨م، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨، ص٤١٧، ٥٤٧. وسيشار إليه تالياً: المقري، نفح.

(٤) انظر : ص١٤٣ من هذه الدراسة.

(٥) انظر : ص٢١٢، ٢١٣ من هذه الدراسة.

وابنه المظفر، لذلك كان لديوانه أهمية تاريخية وأدبية كبيرة، خاصة وأنه معاصر لأحداث الدولة العامرية، ومرافقٌ لحجابها في الغزوات، واصفٌ ومؤرخٌ لها، كما وردت له الكثير من القصائد التي مدح فيها حجاب ووزراء هذه الحقبة في عدة مناسبات، وهذه الدواوين أفادت الدراسة في موضوع أثر الحُجّاب والوزراء في الحركة العلمية والثقافية والحياة الاجتماعية[1].

أما ديوان «أبو عامر بن شهيد الأندلسي» (ت٤٢٦هـ/١٠٣٤م) فقد أعطى صورة عن الأحداث السياسية والاجتماعية السائدة خلال حقبة الدراسة، كما عكس الديوان المكانة العلمية والأدبية التي احتلها وزراء هذه الحقبة، وكان لمقدمة المحقق أهمية كبيرة للدراسة[2].

أما من حيث تفسير بعض المصطلحات والكلمات الغامضة، فقد اعتمدت الدراسة على كتابي «المخصص» لابن سيده (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م)، ومعجم «لسان العرب» لابن منظور (ت٧١١هـ/١٣١١م)[3].

وكان للمصادر الجغرافية أهمية في هذه الدراسة وخاصة كتاب «الروض المعطار في خبر الأقطار» للحميري (ت٧٢٣هـ أو ٧٢٧هـ/١٣٢٣م أو ١٣٢٦م) وللكتاب الذي أستُلَّ منه بعنوان «صفة جزيرة الأندلس»، وهو من الكتب التي عولت عليها الدراسة في التعريف بالمواقع الجغرافية، وفي إنجازات الحاجب المنصور المعمارية خاصة في بناء مدينة الزاهرة رغم أنه نقل عن كتاب «المطمح» لابن خاقان الذي سبق ذكره.

وكان لكتاب «الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» لابن أبي زرع (ت٧٢٦هـ/١٣٢٢م) قيمة تاريخية لما احتواه هذا الكتاب من معلومات قيمة حول علاقات حكام المغرب بالأندلس خاصة في عهد الخليفة الحكم المستنصر والحاجب المنصور وابنه الحاجب المظفر، وكذلك أفاد

---

(١) انظر : ص١٩٣، ١٩٦ من هذه الدراسة.

(٢) ابن شهيد، ديوان ابن شهيد الأندلسي، تحقيق يعقوب زكي، راجعه الدكتور محمود علي مكي، دار الكاتب العربي، القاهرة، د.ت. وسيشار إليه تالياً: ابن شهيد، ديوان.

(٣) انظر : ص٢٨٢ من هذه الدراسة.

الدراسة في ألقاب الوزراء ومكانتهم الاجتماعية والاقتصادية، من خلال الإشارة إلى الهدية القيمة التي قدمها زيري بن عطية للحاجب المنصور[1].

ومن الدراسات الهامة في هذا المجال كتاب «السفارات بين الأندلس والدول الأجنبية في العصر الأموي» لحسين دويدار، وقد أفاد بمعلومات عن رسوم الحجابة والوزارة، وصلاحيات الحُجّاب والوزراء، وكذلك أعطى لمحة عن الزواج السياسي للحجاب في هذه الحقبة، كما هو مبين في أثر الحُجّاب في الحياة الاجتماعية، أما كتابه الآخر «المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م)»، كما هو واضح من عنوانه يتناول المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، وهو من الأهمية بمكان خاصة في جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، وهذه المعلومات وظفت في هذه الدراسة .

أما كتاب «دراسات في تاريخ المغرب والأندلس»، وكتاب في «التاريخ العباسي والأندلسي» للعبادي، فهما من المراجع الهامة للدراسة نظراً لما تضمنان من معلومات وآراء شملت عن جميع الجوانب التاريخية للدراسة .

(١) انظر : ص٢٧٠، ٢٨٢ من هذه الدراسة.

تمهيد

الحالة السياسية

لعصر الخلافة الأموية في الأندلس

(٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٨-١٠٣٠م)

الحالة السياسية لعصر الخلافة الأموية

في الأندلس (٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٨-١٠٣٠م)

بعد مُضي ما يُقارب قرناً على استقرار حكم الدولة الأموية في الأندلس، أخذت عوامل التفكك والضعف تظهر في هذه الدولة، وذلك منذ النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي بسبب معاناتها من الفتن والثورات الداخلية[1].

---

(١) شهدت الأندلس العديد من الثورات والفتن، ولكن بحكم كون الأمراء الأوائل من بني أمية أقوياء وهم عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م)، وهشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م)، والحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م)، وعبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م)، فقد تمكنوا من القضاء عليها، ومن هذه الثورات التي قامت في عهد الأمير الحكم بن هشام ثورة الربض، ووقعة الحفرة بطليطلة، وثورة قعنب في منطقة موررو وماردة، واستمرت الثورة الأخيرة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م)، ثم ظهر الضعف والتفكك في عصر الأمير محمد (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م)، فالأمير المنذر (٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م)، فالأمير عبد الله (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) حتى سميت حقبة هؤلاء الثلاثة بعصر الطوائف الأول، ومن هذه الثورات التي قامت، ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقي وهو من المولدين سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م في عهد الأمير محمد وتمرد محمد بن تاكيت بماردة، ولُبّ بن محمد بسرقسطة وتطيلة سنة ٢٥٨هـ/٨٧١م، وتمرد موسى بن ذي النون بشنت برية، ثم ثورة عمر بن حفصون ت٣٠٥هـ/٩١٧م، وأبنائه من بعده في ببشتر ومالقة ورندة وأليس، وقد بدأت ثورة ابن حفصون سنة ٢٦٧هـ/٨٨٠م في أواخر عهد الأمير محمد واستمرت في عهد الأمراء المنذر وعبد الله إلى أن قضى عليها تماماً الأمير عبد الرحمن الثالث سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م، كما ظهر تمرد بعض ولاة إشبيلية مثل أمية بن عبد الله بن أبي عبيدة، وكريب بن خلدون، وإبراهيم بن حجاج، وحجاج بن مسلمة للمزيد من التفاصيل عن هذه الثورات، انظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١١٢، ١٢٤-١٤٢؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٠٥، ١١٧، ١٣١، ١٥١؛ ابن خلدون، تاريخ،جـ٤، ص١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧؛ انظر أيضاً: عواد صالح محمد، الأندلس في عصر الطوائف الأولى، كلية الآداب،جامعة الموصل، ١٩٨٦؛ عبد الرحمن الحجي بعنوان العلاقات السياسية بين ثوار الأندلس وإسبانيا المسيحية في الفترة الأموية، مجلة أبحاث، عدد١٦، جـ١، آذار، ١٩٦٥ .

وبعد وفاة الأمير عبد الله تولى الحكم حفيده عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن عبد الرحمن الداخل[1].

واتفقت عدة مصادر إلى أن ولايته كانت مستطرفة، بسبب أن تقلده الخلافة تمّ بالرغم من وجود عدد من كبار البيت الأموي ومن المقربين إليه، وبذلك تقول بعض المصادر «وكانت ولايته من المستطرف لأنه كان في هذا الوقت، وبالحضرة جماعة أكابر من أعمامه وأعمام أبيه... فلم يعترض معترض، واستمر له الأمر ...»[2].

ويعود زهد أمراء البيت الأموي في الحكم وسهولة انتقاله إلى عبدالرحمن الثالث إلى معاناة البلاد من الفتن والثورات الداخلية، مما أدى إلى إضعاف مكانة الأمير في قرطبة، وكان أشد هذه الثورات، ثورة ابن حفصون، وأبنائه جعفر وسليمان وحفص، وقد استمرت هذه الثورة قرابة تسع وأربعين سنة[3].

وقد عزا ابن الخطيب أسباب كثرة الثورات في الأندلس إلى مناعة وحصانة معاقلها، والتي اتخذت ملجأ للمتمردين والخارجين على السلطة،

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب، ص١٠٠؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٣٩٦؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٣٧ .

(٢) ابن حزم، رسائل، جـ٢، ص١٩٤؛ المراكشي، المعجب، ص٥٤؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص١٨١.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص ١٢٥، ١٢٦، ١٣٣؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، وذكر أمرائها -رحمهم الله- والحروب الواقعة بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨١، ص ١٢٣، ١٢٤. وسيشار إليه تالياً: مجهول، أخبار مجموعة؛ انظر: ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ٣١-٣٤؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص ١٣٤-١٣٥؛ أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ١٢ج، خرجه جماعة من العلماء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، جـ٩، ص ٤٦٧. وسيشار إليه تالياً: الونشريسي، المعيار، انظر: بحث إبراهيم القادري، الانحسار العربي عن الأندلس في أواخر عصر الإمارة، هل كان وراءه تفوق مسيحي، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٣٤، سنة ١٢، ١٩٨٧، ص ١٧٤-١٨١. وسيشار إليه تالياً: القادري، الانحسار العربي.

بالإضافة إلى عدم انصياع أشراف الأندلس من العرب والبربر لبعضهم البعض، واعتماد الثوار على ملوك النصارى في الشمال[1].

ولم تقتصر معاناة البلاد على التفكك الداخلي، بل كان يحدق بها خطر خارجي آخر متمثلٌ بالخطر الفاطمي الذي يهدد جنوب الأندلس[2].

وتجاه هذه الأخطار الداخلية والخارجية، كان الاختيار قد وقع على عبد الرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) ليحكم البلاد وهو في الثانية والعشرين من العمر[3]، واستطاع بكفاءته أن يثبت مقدرة فائقة في إدارة الحكم، خاصة وأنه اكتسب مهارة وخبرة سياسية من جدّه عبد الله الذي كفله ومنحه ثقته، وأسكنه معه في القصر دون غيره، كما أنابه عنه للجلوس مكانه لتسليم الجند عليه أيام الأعياد، ورشحه لعدة مهام. وأشارت عدة مصادر إلى أن جدّه رمى إليه بخاتمه إشارة منه بتولية العهد واستخلافه من بعده، فكان أول من بايعه أعمامه أولاد الأمير عبد الله ثم أعمام أبيه[4].

وعدّ عهد عبد الرحمن الثالث بمثابة الذروة العليا لأمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس، إذ تمكن بعزيمته القوية أن ينقذ الأندلس، ويعيد إليها وحدتها، ويقضي على جميع الفتن وحركات التمرد والعصيان التي زلزلت الأندلس في عهد من سبقه من أمراء بني أمية فأطفأ تلك النيران[5]، وبقي يعمل حتى إعلان الخلافة سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م على توحيد الأندلس، فقضى على حركات التمرد

---

(١) أعمال، ق٢، ص ٣٦؛ انظر: القادري، الانحسار العربي، ص ١٧٤-١٨١.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢١١-٢١٢.

(٣) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص١٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٧؛ المراكشي، المعجب، ص٥٤ .

(٤) المراكشي، المصدر نفسه، ص٥٤؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص١٨٢؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٥٧؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٢٨-٢٩ .

(٥) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٣٥؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٢٩٧؛ المقري، نفح، م٢، ص٣٥٢.

والعصيان في ببشتر[1]، واقتحم ما يزيد عن سبعين حصناً في غزوة المنتلون[2]، كما دخل إلى سرقسطة[3] وإشبيلية[4]، وقضى تماماً على ما تبقى من حركة ابن حفصون وأبنائه سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م، كما استعاد حصون كورة ريّة[5]، وشذونة[6]، وبلنسية وشاطبة[7].

وبعد أن نجح عبد الرحمن الثالث في محاربة حركات التمرد والعصيان في البلاد، أقدم على اتخاذ خطوة جريئة لتوطيد نفوذه في الداخل والخارج، تمثلت بإعلان قيام الخلافة الأموية بالأندلس سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م وإعلان نفسه خليفة للمسلمين[8].

---

(١) ببشتر: مدينة حصينة، تقع في كورة رية، وهي معقل عمر بن حفصون. أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، ط٢، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨٨، ص ٣٧. وسيشار إليه تالياً: الحميري، صفة.

(٢) المنتلون هو حصن منت ليون يقع قرب مالقة وهي أول غزوات الناصر سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م. عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص ٣٧٥.

(٣) سرقسطة: من أكبر قواعد الأندلس، وتقع في شرق الأندلس وتسمى المدينة البيضاء. ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص ٢٢٧؛ الحميري، صفة، ص ٩٦-٩٧.

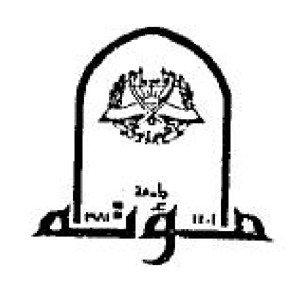
(٤) إشبيلية: المدينة المنبسطة بناها يوليوس قيصر، وبنى سورها الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) نتيجة تعرضها للغزو النورماندي. ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص ١٠٩؛ الحميري، صفة، ص ١٨-٢٢؛ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٤ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧، جـ٥، ص ٢١٧. وسيشار إليه تالياً : القلقشندي، صبح الأعشى.

(٥) رية: من كور الأندلس، تقع بالقرب من قرطبة وأطلق عليها اسم مالقة فيما بعد. الحميري، صفة، ص ٩٧؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص ٤٢٣.

(٦) شذونة: من كور موررو ذكرها هكذا، وذكرها ابن سعيد من كور إشبيلية، المغرب، ق١، ص٣٠١؛ الحميري، صفة، ص ١٠٠.

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص ٢٠٤-٢٠٩، ٢٣٨، ٢٤٩؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٩٢-١٩٩، ٣٠١.

(٨) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص ٢٤١؛ المراكشي، المعجب، ص ٥٤؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص ١٨٢؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٩٨؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ٢٩.



جامعة مؤتة
كلية الآداب - قسم التاريخ

الحجابة والوزارة
في عصر الخلافة الأموية في الأندلس

(٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٨-١٠٣٠م)

إعداد
آمنة محمود عودة الذيابات

إشراف
الأستاذ الدكتور تقي الدين عارف الدوري

السنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م

وتلقب بأمير المؤمنين الناصر لدين الله[1].

وأشارت بعض النصوص إلى إعلان الناصر الخلافة بالقول: «وفي هذه السنة ٣١٦هـ/٩٢٨م، استكمل الناصر لدين الله مرتبة الخلافة، واستتم ميسمها بتسميته بأمير المؤمنين، وإنفاذ كتبه في أقطار مملكته .. إذ هو ابن أمراء المؤمنين وسلالة الهداة الفاضلين»[2].

وذهب نص آخر إلى القول أن الناصر «رأى في هذه السنة أن تكون الدعوة له في مخاطباته والمخاطبات له في جميع ما يجري ذكره فيه بأمير المؤمنين، لما استحقه هذا الاسم الذي هو له بالحقيقة، ولغيره بالانتحال والاستعارة، فهو أبرُ أمراء المؤمنين والهداة الفاضلين من كل منتخب في المشرق والمغرب وقائم بالحق وسالك لسبيل الهدى والرشد»[3].

وأشار ابن الخطيب بما يفيد بأن الخليفة الناصر، خاطب عُمال البلدان الأندلسية عندما أراحه الله من الغم القديم وهم ابن حفصون فقرر مخاطبته بأمير المؤمنين وأن يلقب بالناصر لدين الله، وجاء في كتابه أيضاً: «وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين وخروج الكتب عنا، وورودها كذلك إذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ودخيل فيه ومتسم بما لا يستحقه وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق ضيعناه، واسم ثابت أسقطناه، فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به وأجرِ مخاطباتك لنا عليه، إن شاء الله»[4].

ويتضح مما سبق أن عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) أول

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب، ص ١٠٠؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص ١٨٢؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٩٨-١٩٩؛ مؤلف أندلسي مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩، ص ٣٠. وسيشار إليه تاليا: مجهول، الحلل الموشية؛ S. M. S. Imamuddin, Muslim Spain, 711-1492 A.D, Leiden, Brill, 1981, p. 47. وسيشار إليه تالياً: Imamuddin, Muslim Spain.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص ٢٤١.

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٩٨.

(٤) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٣٠؛ مجهول، الحلل الموشية، ص ٢١-٢٢.

حاكم في الأندلس يلقب نفسه بالخلافة.

ولقد أطلق على حكام بني أمية في الأندلس خلال الحقبة السابقة الممتدة من (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م) ألقاباً أخرى مثل بنو الخلائف[1]، أو الأمير[2].

ورغم أن الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م) قطع الدعوة لبني العباس في الأندلس إلا أنه لم يتسم بالخلافة. كما لم يحاول أحد من الأمراء الذين حكموا بعده أن ينافس العباسيين في هذا اللقب[3].

ويفسر عدم اتخاذ أمراء بني أمية في الأندلس لقب الخلافة بمبررات منها احترام حكام بني أمية الخلافة العباسية في المشرق كونها تملك الأراضي المقدسة والحرمين في الحجاز، وأشارت بعض المصادر في هذا المضمار إلى القول: أن الخلافة عندهم لا يستحقها إلا من كان مالكاً للحرمين[4]. بالإضافة إلى حرصهم على عدم إثارة الخلافات بين الناس[5]. وربما أن عدم استقرار الأوضاع السياسية في الأندلس وقيام الثورات في عصر الإمارة من بين المبررات التي حالت دون تلقب حكام بني أمية بلقب الخلافة حتى سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م.

---

(١) المسعودي، مروج، جـ١، ص ١٦٢؛ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٠م، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧، م٧، ص ٢٧٠. وسيشار إليه تالياً: ابن الأثير، الكامل؛ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، ٤ج، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، د.ت، جـ٢، ص ١٠٢. وسيشار إليه تالياً: أبو الفداء، المختصر؛ زيد الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٢ج، ط٢، المطبعة الحيدرية، ١٩٦٩، جـ١، ص ٤٠٠. وسيشار إليه تالياً : ابن الوردي، تاريخ.

(٢) ابن الأثير، الكامل، م٧، ص ٢٧٠؛ المراكشي، المعجب، ص ٥٤؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص ١٨٢؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٢٩٧؛ مجهول، الحلل الموشية، ص ٣٠.

(٣) أبو الفداء، المختصر، جـ٢، ص ١٠٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤ج، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ١٩٨٨، جـ١١، ص٢٢٨. وسيشار إليه تالياً: ابن كثير، البداية والنهاية.

(٤) ابن الوردي، تاريخ، جـ١، ص ٤٠٠.

(٥) عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص ٢٤٩.

ويتضح أن إحجام الحكام الأمويين في الأندلس عن إعلان الخلافة لم يستمر طيلة الحقبة التي حكموها في الأندلس، فقد جاء الوقت المناسب ليتم إعلانها من قبل حاكم أموي جريء هو عبد الرحمن الناصر بعد أن حكم ستة عشر عاماً.

ولكن لا بد من التساؤل عن الأسباب التي دفعت عبد الرحمن الناصر إلى إعلان الخلافة.

ولأهمية هذا الحدث فقد أشارت المصادر إلى أسباب ذلك ومنها ضعف الخلافة العباسية في المشرق[1]. وذكر آخر : «إنما تسمى بأمير المؤمنين، حين بلغه أن المقتدر خطب له بالخلافة وهو دون البلوغ[2]» بينما عزت مصادر أخرى أن السبب «ضعف الخلافة في العراق يعود إلى سيطرة الأتراك عليها»[3]. فذكر ابن عذاري: «أن الناصر هو أول من تسمى منهم بأمير المؤمنين ... وتلقب بالناصر وأثر اللقب السلطاني، وذلك حين هاجت الخلافة العباسية وضعفت وظهرت الدولة التركية، فصارت إمرة المؤمنين لائقة بمنصبه، وكلمة باقية في عقبه[4]» .

ويبدو مما سبق أن ضعف مركز الخلافة في العراق ، من الأسباب التي ساعدت عبد الرحمن الناصر على إعلان الخلافة في الأندلس .

---

(١) ابن الوردي، تاريخ، جـ١، ص ٤٠٠؛ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، العبر في خبر من غبر، ٤ج، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٥، جـ٢، ص ٨٥٢. وسيشار إليه تالياً: الذهبي، العبر؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١١، ص ٢٣٨؛ انظر: أحمد العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٧٢، ص ٢٨٠. وسيشار إليه تالياً: العبادي، في التاريخ العباسي.

(٢) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص ١٨٢.

(٣) ابن حزم، رسائل، جـ٢، ص ١٩٤؛ المراكشي، المعجب، ص ٥٤؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص ١٨٢؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٣٩٧.

(٤) البيان، جـ٢، ص ١٥٧.

وذكرت بعض المصادر أسباباً أخرى هي قيام الخلافة الفاطمية سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م على يد عبيد الله المهدي (٢٩٦-٣٢٢هـ/٩٠٨-٩٣٣م) فقالت: «لما بلغه... ظهور الشيعة بالقيروان ... تسمى بأمير المؤمنين[١]».

كما يتضح من النصوص أن هناك سبباً آخر لإعلان الخلافة يخص البيت الأموي، فقد كان عبد الرحمن الناصر على اقتناع تام بأحقية البيت الأموي في الخلافة دون غيره، ويتبين ذلك من خلال ما أورده في الكتاب الذي أرسله إلى عماله في الأندلس «أما بعد ... فأنا أحق من استوفى حقه، وأجدر من استكمل خطه ... وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك، حق أضعناه، واسم ثابت أسقطناه»[٢].

وشجّع الاستقرار السياسي واستتباب الأمن في عهده المنصرم على إعلان الخلافة، بعد أن قضى على جميع المتمردين، وصارت جميع بلدان الأندلس في طاعته، بعد أن كان الأمراء السابقون يخطب لهم بأبناء الخلائف، أصبح يخطب لهم بالخلافة[٣].

ويتبين أن للأندلسيين الرغبة القوية في أن تكون بلادهم مركزاً للخلافة، خاصة بعد أن شهدت استقراراً سياسياً في ظل حاكم قوي كالناصر. وبلغت بهم الرغبة في مخاطبتهم إياه بلقب الخليفة قبل أن يتلقبْ به هو. والدليل على ذلك قول صاحب الحلل الموشية الذي انفرد بهذه الرواية: «أنه تسمى بأمير المؤمنين الناصر لدين الله ... ونسخ بها ما كان يدعى به أولاً من اسم الإمارة فقد كان لنمو فضله ... وسماء ذكره، وربما كان بعض أولي التحصيل والتأمل من الناس سموه بهذا الاسم، قبل أن يتسمى بها هو، وخاطبه به كثير من خاصتهم في كتبهم وأشعارهم، فكثر عليه ذلك... وجاءه من كل ناحية، حتى اضطره إلى حمله»[٤]. وأضاف إلى ما يفيد أن الأندلسيين ناقشوه في هذا الأمر وحثوه على

(١) ابن حزم، رسائل، جـ٢، ص ١٩٤؛ المراكشي، المعجب، ص ٥٤؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص١٨٢.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص ٢٤١؛ مجهول، الحلل الموشية، ص ٣٢.

(٣) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص ١٨٢؛ المقري، نفح، م١، ص ٢١٣.

(٤) مجهول، الحلل الموشية، ص ٣٠-٣١.

اتخاذه ويقول بهذ الصدد: «وحاجوه أن يكون باخساً لنفسه في رفضه، وهونوا عليه مخالفة آبائه في اقتصارهم على سواه[1]». ونجح هؤلاء الأندلسيون في ذلك، فأوصى عبد الرحمن الناصر بأن يتم مخاطبته بأمير المؤمنين الناصر لدين الله، وإثبات ذلك على السكة والطراز[2].

وبذلك أصبح العالم الإسلامي في هذه الحقبة ثلاث خلائف يتقلدها ثلاثة خلفاء تلقب كل منهم بأمير المؤمنين، وهم الخليفة العباسي المقتدر بالله في بغداد (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م) وعبيد الله الفاطمي بالقيروان (٢٩٦-٣٢٢هـ/٩٠٨-٩٣٣م) وعبد الرحمن الناصر الأموي في الأندلس (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)[3].

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى الخطر الفاطمي، فقد شكل قيام الدولة الفاطمية في المغرب العربي خطراً على الدولة الأموية في الأندلس لذا فقد اقتحم الناصر ٣١٧هـ/٩٢٩م مدينتي مليلة وطنجة[4]، ثم اقتحم سبتة[5] سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م، إذ أمر بتحصين الأخيرة «فشكها بالرجال وأتقنها بالبنيان، وبنى سورها، وقامت الخطبة بأمير المؤمنين»[6]. وبذلك تمكن من التحكم بمضيق جبل طارق، وأصبحت المدن المذكورة تشكل حاجزاً يمنع امتداد النفوذ الفاطمي إلى الأندلس، كما استمر في إرسال قادته لإخضاع بقايا الأدارسة المتمردين حتى أعلنوا الطاعة له سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م[7].

ولم يكتفِ الخليفة عبد الرحمن الناصر بإرسال الجيوش إلى المغرب، بل

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠-٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠-٣١.

(٣) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٣٩٧.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص ٣٧١-٣٧٣.

(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٠٤.

(٦) المصدر نفسه، جـ٢، ص ٢٠٤.

(٧) المصدر نفسه، جـ٢، ص ٢١١-٢١٣؛ انظر: إقبال موسى، حركة الصراع بين الأمويين والفاطميين في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي من خلال مجالس النعمان ومقتبس ابن حيان، مجلة المؤرخ العربي، العراق، عدد ٢١، سنة ١٩٨٢م.

اتبع تجاه الفاطميين سياسة حازمة في محاربتهم، تمثلت في ضرب القبائل البربرية بعضها ببعض، ثم استمالة بعضها لجانبه مثل قبيلة زناتة مع المحافظة على استمرارية إرسال الهدايا والخلع والأموال إلى هذه القبائل الموالية له[1].

كما وطد علاقاته مع بعض الدويلات المغربية في منطقة الريف مثل إمارة بني صالح (نكور)[2]، ودولة بني رستم في تاهرت، وشجع الخليفة الناصر المتمرد أبا يزيد بن مخلد بن كيداد للعمل ضد الفاطميين وأعلن أبو يزيد طاعته للناصر سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م[3].

واستمر الناصر في استمالة بعض أمراء الأدارسة في المغرب مثل محمد ابن إدريس، ومحمد بن أبي العيش، وعمر بن إدريس[4].

وبالإضافة إلى ما سبق، اتبع الناصر أسلوباً آخر ضد الفاطميين هو بث العيون في أنحاء المغرب، واعتمد في هذا على الجاليات الأندلسية الموالية للأمويين القاطنة على طول السواحل المغربية في طنجة ووهران وتنس وعنابة وبجاية، وبذلك ضمن تزويدهم إياه بمعلومات عن الفاطميين[5]. ونورد مثالاً في هذا المجال أن أحد فقهاء المالكية واسمه جبلة بن حمود (ت٣٠٩هـ/٩٢١م) الموالي للأمويين والمبغض لعبيد الله وشيعته، أنه انتقل من رباطه بقصر الطوب إلى القيروان وكان يلقي دروساً في مسجدها قال: «كنا نحرس عدواً بيننا وبينه البحر، فتركناه وأقبلنا نحرس الذي حل بساحتنا، لأنه أشد علينا

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص ٣٠٧-٣١٢، ٣٢٦-٣٢٧، ٣٥١-٣٥٢، ٤١٤؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٠٤؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص ١٤١؛ عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٥، ص ٣٧٤. وسيشار إليه تالياً: سالم، حضارة الإسلام.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ ٥، ص ٤١٣؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١٧٦-١٧٧.

(٣) ابن عذاري، المصدر نفسه، جـ٢، ص ٢١١-٢١٢.

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص ٢١١-٢١٢؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص ١٤١.

(٥) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٨٥.

من الروم»[1].

واتبع الفاطميون أساليب مماثلة ضد الأمويين، فتسرب بعض الدعاة الفاطميين إلى الأندلس بهدف نشر دعوتهم والعمل لحساب الدولة الفاطمية عن طريق التستر بالتجارة أو العلم والتجارة معاً[2].

وقيل أن من هؤلاء العيون ابن حوقل النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) الذي كتب إلى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ما يشجعه على غزو الأندلس واصفاً له أهل الأندلس حاطاً من شأنهم، كما وصف مقدار جبايتها وخيراتها الاقتصادية. إلا أن ابن حوقل لم يحقق ما كان يصبو إليه [3].

واجتذب الفاطميون-من الأندلس-القائد علي بن حمدون الجذامي[4] المعروف بابن الأندلسي[5]، والذي لجأ إلى المغرب واحتمى بالخليفة الفاطمي عبيد الله

---

(١) أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ٣ج، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨١، جـ٢، ص ٣٧، ٣٨-٤١. وسيشار إليه تالياً: المالكي، رياض النفوس.

(٢) ابن الأبار، درر السمط في خبر السبط، تحقيق عز الدين عمر موسى، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ١٩٨٧، ص ٣٣-٣٤، مقدمة المحقق. وسيشار إليه تالياً: ابن الأبار، درر السمط؛ انظر أيضاً: جعفر ماجد، العلاقات الأدبية بين قرطبة والقيروان في القرن الرابع الهجري، حوليات الجامعة التونسية، تونس، عدد ١٣، ١٩٧٦، ص ١١١-١١٢. وسيشار إليه تالياً : ماجد، العلاقات الأدبية .

(٣) أبو القاسم ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، ط٢، طبع ليدن، بريل، ١٩٣٨، ق١، ص١٠٤-١٠٥، ١٠٨. وسيشار إليه تالياً: ابن حوقل، صورة الأرض؛ انظر العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٨٢، ١٨٣؛ وبحث عبد الواحد ذنون طه، الأندلس من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٢٣، ١٩٨٣، ص ٥٢-٥٤.

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ١، ص ٢٤٢.

(٥) جده هو عبد الحميد الداخل من الشام إلى الأندلس، نزل بكورة البيرة وتنقل حفيده حمدون في بجاية، ودخل في المذهب الشيعي، وعندما تغلب عبيد الله الشيعي على إفريقية ازداد ظهور ابن حمدون في عهده وعهد ابنه الخليفة القائم، وأمره القائم ببناء مدينة المسيلة المحمدية وولاه عليها حتى وفاته سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م، ثم حكمها ابنه جعفر بن علي. المصدر نفسه، جـ١، ص ٢٤٢-٢٤٣ .

المهدي (ت٣٢٢هـ/٩٣٣م) ثم ابنه الخليفة القائم بأمر الله (٣٢٢-٣٣٤هـ/ ٩٣٣-٩٤٥م)[1]، وكذلك الشاعر محمد بن هانئ الأندلسي (ت٣٦٢هـ/٩٧٢م)، والتحق الأخير بخدمة المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م).

وعندما علم المعز بموته قال: «أردنا أن نفاخر به شعراء المشرق»[2].

واهتم عبدالرحمن الناصر بتحصين الثغور الأندلسية الجنوبية حيث أقام داراً لصناعة السفن في الجزيرة الخضراء، وعين أميراً أموياً عليها نظراً لأهميتها، وكان الناصر قد سيطر على الثغور المغربية المطلة على مضيق جبل طارق[3].

وفي سبيل محاربة المذهب الشيعي في مصر، وطد الناصر علاقاته مع الأخشيديين في مصر[4]، فاهتم بإرسال فقهاء المالكية لهذا الغرض، وكان يقدم لهم الأموال، ومن أشهر هؤلاء الفقيه أبو إسحاق محمد بن قاسم بن شعبان المعروف بابن القرطبي[5].

ومن الناحية العسكرية أنشأ الناصر أسطولاً قوياً لمحاربة الأسطول الفاطمي، وجعل مدينة المرية قاعدةً له وداراً لصناعة السفن، واختار لقيادة

---

(١) المصدر نفسه، جـ٢، ص ٢٤٢-٢٤٣.

(٢) محمد بن هانئ الأندلسي، ديوان ابن هانئ الأندلسي، تحقيق دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٦، (مقدمة المحقق). وسيشار إليه تالياً: ابن هانئ، ديوان؛ انظر: العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٨٤؛ انظر أيضاً: محمد مرسي الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي (١٣٨-٣٦٦هـ/٧٥٥-٩٧٦م)، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٨١، ص ١١٦. وسيشار إليه تالياً: الشيخ، دولة الفرنجة؛ انظر: عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية من المغرب إلى المشرق، ٣ج، لندن، قبرص، ط١، ١٩٩١، جـ٢، ص٢٠٦-٢١٤. وسيشار إليه تالياً: تامر، تاريخ الإسماعيلية.

(٣) العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٨٧-١٨٨.

(٤) الشيخ، دولة الفرنجة، ص ١١٩.

(٥) برهان الدين إبراهيم بن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٢٤٨. وسيشار إليه تالياً: ابن فرحون، الديباج المذهب.

للأمويين ثم وصل قرطبة سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م[1]، وبقي فيها إلى أن أعاده الحاجب المصحفي إلى المغرب ليتخلص من نفقاتهم ومطالبهم، فذهب إلى مصر، فاستقبله الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) واحتفظ به كسلاح يمكن استخدامه ضد نفوذ الأمويين في المغرب الأقصى[2].

كما انتهج المستنصر سياسة ضرب القبائل البربرية بعضها ببعض، واستمالة بعضها الآخر مثل قبيلة زناتة[3].

وعندما أعلن جعفر بن علي وأخوه يحيى الطاعة للأمويين، قدما الأندلس مع أهلهما واستقبلا بحفاوة بالغة سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م[4]، خاصة وأنهم كسبوا تأييد الأمويين لهم بعد أن قتلوا زعيم صنهاجه الموالي للفاطميين زيري بن عطية، وبعثوا برأسه للخليفة الحكم المستنصر[5].

توفي المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م[6]، فخلفه ابنه العزيز بالله، فكتب إلى الخليفة الحكم كتاباً يشتمه فيه ويسبه، فرد عليه الحكم المستنصر بقصيدة يفتخر فيها:

ألسنا بني مروان كيف تبدلت   بنا الحال أو دارت علينا الدوائر

إذا ولد المولود فينا تهللــت   له الأرض واهتزت إليه المنابر

ثم كتب إليه:

أما بعد:

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٧٩-٨٠، ٨٩-٩١، ١٠٠-١٥٢.

(٢) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، الرباط، ١٩٣٧، ص٢٤. وسيشار إليه تالياً: مجهول، مفاخر؛ انظر: العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٢٤؛ ابن الأبار، درر السمط، ص ٢٣ (مقدمة المحقق).

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٤٥.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٤٤-٥٤؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٤٥.

(٥) ابن عذاري، المصدر نفسه، جـ٢، ص ٢٤٥.

(٦) ابن الأثير، الكامل، م٧، ص ٣٦٠.

« فإنك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لهجوناك[1]»

ولم يكن الخطر الفاطمي هو الخطر الوحيد الذي جابهه الأمويون في الأندلس، بل جابهوا الخطر النورماندي[2].

بدأ خطر النورمانديون بالظهور على السواحل الأندلسية في عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م[3]، ثم شنوا هجوماً آخر في سنوات

---

(١) ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص ١٠٧؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٢، ص ٤٠٢؛ المقري، نفح، م٢، ص٢٩٧.

(٢) النورمانديون : شعب جرماني أو تيتوني، ينقسم إلى ثلاثة مجموعات هي: السويديون، والنرويجيون، والدانماركيون. وجميعها يطلق عليها سكان الشمال، ويقطنون الدول الاسكندنافية، وعرفوا جميعاً باسم الفايكنج (Vikings)، وكانت جماعة الدنماركيين هي التي كانت تقوم بشن هجومها على سواحل الأندلس والمغرب. وأطلقت المصادر على النورمانديين أسماء مختلفة مثل النورمان(Normandos)، أو النورثمان(Northman)، أو (Norsemans)، وذكر ابن الخطيب بأن نصارى قشتالة أطلقوا عليهم الأنقليش وأهل المشرق يسمونهم الفرنج والانكليز، كما أطلق عليهم اسم الأردمانيين (Nordmanni) وهي كلمة لاتينية تعني سكان الشمال . وكان اسم المجوس هو المتداول في الكثير من المصادر، ويعود سبب التسمية الأخيرة لهم، إلى إشعالهم النار في المناطق التي يدخلون إليها، كما كانوا يحرقون جثث موتاهم في سفنهم فظن الناس أنهم يعبدون النار كالزرادشتية والمجوس.

ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص.١١-١١١؛ المسعودي، مروج، ط١، ص١٦٣؛ انظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص تحقيق الحجي، ص٦٧، ٧٨، ٩٣، ٢٤٩-٢٥٢؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٨٧؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ٢٠، ٤١؛ خليل إبراهيم الكبيسي، غزوات النورمانديين على الأندلس في عصر بني أمية، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٤٠، سنة ١٩٨٩/١٤، ص ١٤٦-١٥٤؛ انظر عن الفايكنج (Vikings): س ورن هلستر، أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحي الشاعر، مكتبة الانلجو المصرية، ١٩٨٠، ص.١٣-١٣٣؛ انظر: الشيخ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الاسكندرية، ١٩٩٥، ص٢٩٣-٣٢١؛ انظر جوزيف رينو، الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر، ترجمة إسماعيل العربي، ط١، دار الحداثة، الجزائر، ١٩٨، ص١٢٧، ١٤٠، ١٦٠؛

Reedy Reference, Viking, The New Encyclopedia Britannica, Voll2, P.367.

(٣) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص ٤٩.

٢٣٠هـ/٨٤٤م[1]، ٢٤٤هـ/٨٥٨م و ٢٤٥هـ/٨٥٩م و٢٤٧هـ/٨٦١م[2].

وكانت حملاتهم في عهد عبدالرحمن الناصر قليلة جداً، خاصة وأنه اتخذ المحارس في مدينة المرية، وجعلها مرأى لهم[3]. في الوقت الذي اتخذ فيه النورمانديون منذ سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م ولاية نورمانديا الواقعة غرب فرنسا قاعدة لهم لشن هجماتهم على المدن والسواحل معتمدين على سفنهم المميزة وأسلحتهم مثل السهام النارية[4].

وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر هاجم النورمانديون السواحل الأندلسية سنة ٣٥٥هـ/٩٦٦م وتصدى لهم الأسطول الأندلسي بقيادة عبد الرحمن ابن رماحس[5]. ثم تجددت هجماتهم ثانية سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م و ٣٦١هـ/٩٧١م، إلا أنها باءت بالفشل، وعادت من حيث أتت قبل وصولها مدينتي المرية وإشبيلية، عندما عرفوا بقدوم الأسطول الأندلسي بقيادة غالب الناصري[6].

واعتمد الحكم المستنصر في محاربة النورمانديين طرقاً متعددة منها صناعة السفن الأندلسية على هيئة سفنهم ومحاربتهم بنفس أساليبهم القتالية، كما نشر الجواسيس على طول السواحل الأندلسية[7]. لموافاته بأخبارهم قبل وصول سفنهم وظهورها على السواحل الأندلسية،.وساهمت يقظة الأسطول

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص ١٠٩، ١١٠-١١١؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٨٧-٨٨؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ٢٠.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص ١١٠-١١١؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٨٨، ٩٦-٩٧؛ المقري، نفح، م١، ص ٣٥١؛

Abdurrahmān Ali El-Hajji, Andalusian Diplomatic Relations with Western Europe During the Umayyad Period (AH/138-366/AD755-976), Dar Al-Irshad, Beirut, 1970, p.159, 162.

وسيشار إليه تالياً : El-Hajji, Andalusian.

(٣) الحميري، صفة، ص ١٨٣.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص ١١١؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٨٧. انظر: العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٠٢.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٢٧؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ٤١-٤٢.

(٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٢٣-٢٦، ٦٧، ٧٨؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٤١؛ El-Hajji, Andalusian, p. 85.

(٧) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٣٩، ٢٤٠-٢٤١.

الأندلسي في تراجع وفشل هجماتهم في عامي ٣٦٠هـ/٩٧١م و ٣٦١هـ/٩٧١م[١].

بيد أن خطراً آخر تصدت له الدولة الأموية ألا وهو خطر الممالك النصرانية في الشمال، وهي: مملكة نافار (نبرة)، ومملكة قشتالة ومملكة ليون (جليقية) والبرتغال[٢].

ومنذ أن تولى الأمير عبد الرحمن الناصر الحكم (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) وجه حملاته العسكرية إلى هذه الممالك النصرانية، ففي سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م انتصر على الحلف الثنائي المكون من ليون ونافار، ودمر حصن بقيرة المشرف على مملكة نافار، وأسر عدداً من الجيشين.

وبعد إعلان الخلافة سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م، اقتحم الناصر مدينة طليطلة سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، وأخضع المتمردين في سرقسطة، والكثير من المدن والحصون في الثغور[٣]، كما استعاد مدينة وخشمة التي هي بمثابة قاعدة دفاعية على الحدود الإسلامية مع قشتالة[٤].

وعلى أثر مواصلة الناصر غزو ألبة واقتحام حصونها، عقد ملك ليون والأمير راميرو (Ramiro) صلحاً في ليون، مثل الجانب الأندلسي الوزير يحيى ابن إسحق سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م. وهدف الناصر من وراء عقد هذا الصلح فصم عُرى أي تحالف يمكن أن يعقد بين ملك ليون والثائر التجيبي محمد بن هاشم صاحب سرقسطة. وتمكن بذلك من القضاء على أخطر الثورات في الثغر الأعلى (سرقسطة) سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م. خاصة وأن هذا الثغر ذو خطورة على قرطبة

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٥٨، ٩٣؛ انظر: العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص ٤٣١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ٤٧٧.

(٣) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٤ج، تحقيق محمد محيالدين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٨٧، جـ١، ص١٦١. وسيشار إليه تالياً : المسعودي، مروج؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٠٠-٢٠٧؛ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، الخلافة الأموية والدولة العامرية، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٩، ق٢،ص٤٠١. وسيشار إليه تالياً : عنان، دولة الإسلام .

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص ٣٧، ١٨٦-١٨٧، ٣٢٠، ٣٢٣-٣٤١.

لكونه مركزاً للثوار الخارجين عن طاعة الخليفة[1].

أما السياسة التي اتبعها الناصر مع الثائر محمد بن هاشم التجيبي قائد الثورة، فإنه عفا عنه، ثم أعاده إلى منطقته وعهد إليه بإدارة شؤونها[2].

ويبدو أن هزيمة الناصر في موقعة الخندق[3] سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م أمام التحالف النصراني الذي تشكل ضده من مملكتي نافار وليون، تعود لأسباب عللتها بعض المصادر بما يفيد بأن الناصر اعتمد على العناصر الصقلبية التي تبوأت مركز الصدارة في مراكز الإدارة والجيش في قرطبة على حساب الزعامات العربية، مما أدى إلى إضعاف معنويات الجيش الأندلسي، إذ جعل قيادة جيشه إلى نجدة الصقلبي[4]، إضافة إلى خيانة جنده له في هذه الموقعة التي دارت قرب مدينة سمورة[5]، وقيل وقعت قرب مدينة شانت مانكش[6].

اكتشف الناصر خيانة جنده له، فأمر بإعدام ما يقارب ثلاثمائة جندي من جنوده[7] وقال: «هذا جزاء من غش الإسلام، وكاد أهله»[8].

ونتج عن هذه الهزيمة، أن أعاد الناصر النظر في سياسته فعهد إلى قادته بمرافقة الجيوش إلى مناطق الثغور بدلاً منه، كما اتبع سياسة حكيمة نحو الثغور الشمالية، عندما جعل إدارة شؤون الثغور إلى أكابر الأسر فيها، مثل آل تجيب، وآل ذي النون، وآل زروال، وآل غزوان، وآل الطويل، وآل رزين، فقسم الثغور بينهم، ووثق علاقته بهذه الأسر وخصهم بالهدايا والصلات[9].

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ ٥، ص ٤١٩، ٤٢٠-٤٢٤.

(٢) المصدر نفسه، تحقيق شالميتا، جـ ٥، ص ٤٢٠-٤٢٤.

(٣) سماها أحدهم موقعة القدره، وجعلها سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م. انظر مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٣٧.

(٤) المسعودي مروج، جـ ١، ص١٦٢؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٣٧؛ المقري، نفح م١، ص٣٥٤-٣٥٥.

(٥) المسعودي، مروج، جـ ١، ص ١٦٢؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ٣٦-٣٧؛ المقري، نفح، م١، ص ٣٥٥.

(٦) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ٣٦.

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ ٥، ص ٤٤٥-٤٤٧؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٣٧.

(٨) ابن الخطيب، المصدر نفسه، ق٢، ص ٣٧.

(٩) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص٤٣٧، ٤٤٥-٤٤٧؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١٣٧.

ونجحت هذه السياسة بدليل أن هذه الأسر قامت برد النصارى عن مهاجمة شمال الأندلس[1].

وأشارت دراسة حديثة في هذا المجال أن هذه الأسر شكلت حاجزاً منع تغلغل جيوش النصارى إلى داخل الأراضي الإسلامية في الأندلس[2].

كما حققت الصوائف والبعوث التي كانت ترسل من قرطبة إلى الثغور انتصارات على ليون ونافار، حتى جاءته السفارات طالبة الصلح والمهادنة[3]. من دول ألمانيا والفرنج سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م[4]، وليون سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م ، والنافار سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م[5].

وتبين هذه السفارات المكانة السياسية التي احتلتها الأندلس خلال حقبة حكم الناصر، والتي حافظ عليها من بعده الخليفة الحكم المستنصر، فقد استقبل الحكم المستنصر رسل ملك ليون سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م[6]، ورسل ملك برشلونة سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م[7]، ورسل شانجه (Sancho) ملك النافار، ورسل ملك قشتالة تطلب الصلح، ورسل أخرى من جليقية وسمورة وأساقفتهم، حيث تم موافقة الوفد على الصلح وهدم الأبراج والحصون القريبة من الثغور الإسلامية، وجميع هذه السفارات وصلت قرطبة سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م[8].

وواصل المستنصر استقبال الرسل والوفود، فقد جدّد الصلح لرسل

---

(١) عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص ٤.

(٢) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص ٢٨٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٨٩.

(٤) ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص ١٤٣؛ المقري، نفح، م١، ص ٣٦٥.

(٥) المقري، المصدر نفسه، م١، ص ٣٦٥-٣٦٦؛ انظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص ٢٩٠؛ عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص ٤٥٦ .

(٦) ضيا باشا، الأندلس الذاهبة، ٣ج، تعريب عبد الرحمن ارشيدات، تحقيق صلاح ارشيدات، ط١، الأردن، عمان، ١٩٨٩، جـ١، ص ١٨٠. وسيشار إليه تالياً: ضيا باشا، الأندلس الذاهبة.

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٢١؛ المقري، نفح، م١، ص ٢٨٤.

(٨) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص ١٣٨-١٣٩؛ المقري، نفح، م١، ص ٣٨٤-٣٨٥.

برشلونة وطركونة، وفي سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م استقبل المستنصر الملكة حلويرة (Elvira) أم لذريق[1]، لكنها نقضت الصلح بعد أن تحالفت مع مملكة قشتالة ونافار وهاجموا معاً حصن غرماج[2] سنة٣٦٤هـ/٩٧٤م.

أما الحملات العسكرية في عهد المستنصر فكانت تتوجه إلى الممالك النصرانية في الشمال، ومنها حملته إلى ليون سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م حيث دخل مدينة شنت اشتيبن[3]، واقتحم حصن قلهرة في مملكة النافار ومدينة قطوبية[4]، وغزا البيرة[5]، واستعاد حصن غرماج مرتين وذلك سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م[6] ، و ٣٦٤هـ/٩٧٤م[7].

ولقد بلغت الخلافة الأموية في الأندلس ذروة القوة والنفوذ السياسي في الحقبة الممتدة من (٣١٦-٣٦٦هـ/٩٢٨-٩٧٦م) حكم خلالها الخليفة الناصر لدين الله، ثم ابنه الحكم المستنصر.

أما الحقبة الممتدة من (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٩م) فحكم خلالها الخليفة هشام المؤيد الذي كان ضعيف الشخصية، فحكم بشكل اسمي في ظل حاجبه المنصور وابنيه المظفر عبد الملك وعبد الرحمن (شنجول)[8] من بعده، الذين

---

(١) أم لذريق: هي البيرة (Elvira) عمة ملك ليون راميرو الثالث (Ramiro III) والوصية عليه، وسماها ابن حيان حلويرة ، وقيل حلورية. المقتبس، تحقيق الحجي، ص ١٤٦، ٢٣٥؛ انظر: تعليق المحقق، ص٢٥٩.

(٢) حصن غرماج: من الحصون الواقعة في الثغر الشمالي، ويتبع لثغر مدينة سالم. ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٢١٨.

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٣٦.

(٤) المقري، نفح، م١، ص ٣٨٢؛ انظر: عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص ٤٨٧.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ٤م، حققه وقدم له محمد عبد الله عنان، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٩٧٣، م١، ص٤٧٨-٤٧٩، وسيشار إليه تالياً: ابن الخطيب، الإحاطة ؛ المقري، نفح، م١، ص ٣٨٢.

(٦) المقري، نفح، م١، ص ٣٨٢؛ عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٤٨٧.

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٢٢٤-٢٣٥.

(٨) لقب الشهرة للحاجب عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر، وسيشار إليه في الدراسة بهذا اللقب فقط.

قبضوا على زمام الأمور السياسية والإدارية في الدولة. في الوقت الذي وصف فيه الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٩م) على هذا النحو «كان مندرجاً في طي كافله الحاجب المنصور ... بحيث لا ينسب إليه تدبير، ولا يرجع إليه من الأمور قليل ولا كثير إذ كان في نفسه وأصل تركيبه مُضعفاً مهيناً مشغولاً بالنزهات، ... ويحرص على اكتساب البركات والآلات المنسوبات[*]»[1].

ورغم تراجع قوة الخلافة، إلا أن الأسرة العامرية تمكنت من المحافظة على مكانة الدولة الأموية داخل وخارج الأندلس، حتى سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م عندما سيطر الحاجب شنجول على الخلافة، فكانت بداية سقوط الأسرة العامرية في الأندلس، وقيام الفتنة البربرية (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٩-١٠٣٠م) والصراع على السلطة بين عناصر مختلفة، وأدى هذا في النهاية إلى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس تماماً سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م[2].

ولخطورة الحقبة الممتدة من (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٩-١٠٣٠م) في تاريخ الأندلس، نستعرض أحداثها بقليل من التفصيل.

أدى استبداد الأسرة العامرية بالخلافة إلى استياء أفراد الأسرة الأموية في الأندلس من هؤلاء العامريين (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٩م)، وبخاصة بعد تجرأ الحاجب شنجول ٣٩٩هـ/١٠٠٩م ، وأجبر الخليفة المستضعف هشام المؤيد على نقل ولاية العهد إليه سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م. وهذا الحدث حرك الأمويين للإطاحة بحكم الأسرة العامرية، وكان متزعم هذا الانقلاب من البيت الأموي محمد بن هشام بن عبد الجبار، الذي خلع هشام المؤيد من الخلافة وتقلدها سنة

---

(١) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ٥٨.

(*) الآلات المنسوبات: هي كل ما ادُعي زوراً نسبه إلى نبي، أو رجل صالح مثل ألواح منسوبة إلى سفينة نوح، وقرون منسوبة إلى كبش إسحاق، وخفاف منسوبة إلى ناقة صالح، أو أواني وضوء متوارثة عن زهّاد، وحقيقة أنها كانت تجلب إليه من المجازر، لا علاقة لها بما نُسب إليهم؛ انظر: ابن سعيد، المغرب، ق١، ص ١٩٣-١٩٤؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ٥٨.

(٢) المقري، نفح، م١، ص ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٢٨.

٣٩٩هـ/١٠٠٩م[١] ولقب نفسه بالمهدي[٢].

أما الحاجب شنجول، فقد قبض عليه بعد عودته مباشرة من غزوته الأولى إلى قرطبة وقتل ولم يمض على حجابته للخليفة هشام المؤيد سوى أربعة أشهر[٣].

وعلق ابن خلدون على اغتصاب العامريين للخلافة بقوله: «ونقم لذلك الأمويون والقرشيون، وغصوا بأمره، واتفق العامريون على تحويل الأمر جملة من المضرية إلي اليمنية»[٤].

وبسقوط الأسرة العامرية بدأت مرحلة الصراع الدموي على السلطة فيما سمتها بعض المصادر بالفتنة البربرية[٥]، وقال ابن عذاري: «لو سموها بفتنة ابن عبد الجبار كان الأحق والأولى»[٦].

ويبدو أن المهدي كان ناقماً على البربر، فبعد أن هدمت مدينة الزاهرة ونهبت قصورها وخزائنها[٧]، ونُهبت بيوت البربر -أنصار العامريين- على مسمع ومرأى من المهدي[٨] الذي كان مبغضاً لهم[٩]، مهيناً لرؤسائهم[١٠].

ومنذ قيام الفتنة البربرية انقسمت الأندلس إلى فريقين: الفريق الأول يتكون من البربر والصقالبة والعامريين، وهم مؤيدون للخليفة المخلوع هشام

---

(١) ابن حزم، رسائل، جـ٢، ص ١٩٦؛ ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص ٥١، ٥٣، ٦٠؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص ٥١٣.

(٢) ابن حزم، رسائل، جـ٢، ص ١٩٦؛ ابن الأثير، الكامل، م٧، ص ٢٧٠.

(٣) ابن حزم، رسائل، جـ٢، ص ١٩٦؛ ابن الأثير، الكامل، م٧، ص ٢٧٠.

(٤) ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص ١٤٩.

(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص ٧٦؛ المقري، نفح، م١، ص ٤٢٧؛

(٦) المصدر نفسه، جـ٣، ص ٧٦.

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق محمد مكي، القاهرة، ١٩٧١، ص ٢٥. وسيشار إليه تالياً: ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي؛ ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص ٦٢-٦٤؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص ١٥٠.

(٨) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص ٧٦-٧٨، ٨١-٨٢؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٤١٣-٤١٤؛ المقري، نفح، م١، ص ٤٢٧.

(٩) ابن الأثير، الكامل، م٧، ص ٢٧٠.

(١٠) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص ٧٨.

المؤيد، والتف هؤلاء حول مرشحهم الجديد هشام بن سليمان بن الناصر لدين الله ولقبوه بـ (الرشيد)[1].

أما الفريق الثاني فتكون من الأمويين والزعامات العربية، والتفوا حول الخليفة الجديد (المهدي)[2].

وشهدت الأندلس صراعاً مسلحاً بين الفريقين على السلطة ذهب ضحيته مرشح الفريق الأول (الرشيد) الذي قبض عليه المهدي وقتله، ليرشحوا عوضاً عنه شخصاً أموياً آخر يدعى سليمان بن الحكم ولقبوه بـ (المستعين)[3].

ومن التطورات الجديدة في هذه الحقبة ظهور الاشتباكات المسلحة بين الأمويين أنفسهم الذين يتنافسون على السلطة، وكذلك استنجاد كل منهم بالأعداء المتمثلين بالممالك النصرانية، فقد تحالف المستعين مع ملك النافار شانجه بن غرسيه (Sancho Garces) الذي وجد في هذا فرصةً سانحةً للانتقام من المسلمين والتدخل في شؤونهم. وقال ابن الخطيب بهذا الصدد: «وكانت أول ثارات المشركين على المؤمنين»، وذلك بعد أن نجح المستعين في تولي السلطة بدلاً من المهدي سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م[4].

ولم يتوانَ المهدي في الاستنجاد هو الآخر بأحد ملوك النصارى ضد المستعين وأنصاره، ودارت بين الفريقين -سليمان والمهدي- معركةٌ حاسمةٌ قرب موضع دار البقر[5] هُزم فيها المستعين وهرب إلى شاطبة ليستعد لخوض تجربة مسلحة أخرى لتقلد السلطة[6].

---

(١) المراكشي، المعجب، ص ٨٨؛ ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص ٨٤؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١١٢.

(٢) ابن الخطيب، المصدر نفسه، ق٢، ص ١٠٩-١١٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل، م٧، ص ٢٧١-٢٧٢؛ المراكشي، المعجب، ص ٨٨-٨٩؛ ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص ٩٢-٩٣؛ المقري، نفح، م١، ص ٤٢٨.

(٤) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ١١٣.

(٥) دار البقر أو عقبة البقر تقع على بعد ٢كم شمال قرطبة. المقري، نفح، م١، ص ٤٢٨، حاشية (٢).

(٦) ابن حزم، رسائل، جـ٢، ص ١٩٧؛ المراكشي، المعجب، ص ٨٩؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ١١٣-١١٤.

أما المهدي فتولى الحكم للمرة الثانية سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م ثم قتل في السنة نفسها من قبل العبيد وحاجبه واضح العامري، الذين أعادوا هشام المؤيد للخلافة للمرة الثانية (٤٠٠-٤٠٣هـ/١٠١٠-١٠١٣م) وتولى حجابته واضح العامري[1] الذي بذل مع الخليفة هشام المؤيد محاولات لتصفية الخلافات مع سليمان المستعين، إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل، فاستغاث هشام المؤيد وحاجبه واضح بنصارى الشمال مقابل التنازل عن الحصون والثغور الشمالية التي سبق وأن استعيدت في عهد الخليفة الناصر، والحكم المستنصر، والأسرة العامرية (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٩م)[2].

نجح سليمان المستعين (٤٠٣-٤٠٧هـ/١٠١٣-١٠١٧م) في السيطرة على مقاليد الأمور في قرطبة بعد أن قتل الخليفة هشام المؤيد سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م[3].

أما سياسة المستعين، فقد سيطر عليه البربر وقسم كور الأندلس بين رؤسائهم[4].

وشهدت الأندلس صراعاً آخر على الحكم بين الأمويين والعلويين الأدارسة، وبدأ هذا الصراع عندما دخل علي بن حمود الإدريسي قرطبة سنة ٤٠٧هـ/١٠١٧م مبرراً دخوله بأن الخليفة هشام المؤيد كان قد كتب إليه بولاية العهد من بعده[5]. وقبض على الخليفة الأموي سليمان المستعين وقتله قائلاً: «لا يقتل السلطان إلا السلطان»[6]، وذلك سنة ٤٠٧هـ/١٠١٧م وتولى الخلافة ولقب

---

(١) ابن حزم، رسائل، جـ٢، ص ١٩٧؛ المراكشي، المعجب، ص ٨٩؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٤٢٦-٤٣٠؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص ١٥٠؛ المقري، نفح، م١، ص ٤٢٧-٤٢٨.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص ١٠٣-١٠٤؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص ١٥١؛ المقري، نفح، م١، ص ٤٢٨-٤٢٩.

(٣) ابن حزم، رسائل، جـ٢، ص ١٩٦؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص ١٥١.

(٤) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٤٢٩؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ١١٤-١١٥.

(٥) المراكشي، المعجب، ص ٩١.

(٦) ابو الفداء، المختصر، جـ٢، ص ١٤٦؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ١٢١؛ المقري، نفح، م١، ص ٤٣٠.

نفسه الناصر لدين الله[1]، وقيل المتوكل على الله[2].

وبمقتل الخليفة سليمان المستعين سنة ٤٠٧هـ/١٠١٧م، انقطعت الدعوة للأمويين في جميع أنحاء الأندلس ليحكمها ولأول مرة (٤٠٧-٤١٤هـ/١٠١٧-١٠٢٤م) حكامٌ أدارسةٌ هم علي بن حمود الملقب بالناصر (٤٠٧-٤٠٨هـ/١٠١٧-١٠١٨م) الذي قتل على يد عبيده الصقالبة، ثم حكم أخوه القاسم بن حمود الملقب بـ (المأمون) (٤٠٨-٤١٢هـ/١٠١٨-١٠٢٢م) الذي قام بملاحقة الأموي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك الملقب بـ (المرتضى)[3].

وبالنسبة للأدارسة العلويين فقام بينهم صراعٌ على الحكم بين القاسم المأمون وابن أخيه يحيى الملقب بـ (المعتلي)[4] (٤١٣-٤١٤هـ/١٠٢٣-١٠٢٤م) ليتقلد الأخير الخلافة ثم يتولاها المأمون ثانية سنة ٤١٤هـ/١٠٢٤م.

إلا أن عدم استقرار الأوضاع في قرطبة أدى إلى هروبه منها -أي القاسم المأمون- متوجهاً إلى إشبيلية التي أوصدت أبوابها في وجهه، ليرحل إلى شريش[5]، ثم قبض عليه ابن أخيه يحيى المعتلي الموجود في مالقه فسجنه حتى مات في سنة ٤٣١هـ/١٠٥١م[6]، وقيل سنة ٤٢٧هـ/١٠٤٧م[7].

وتجاه هذه الأحداث والصراعات الدموية، لا بد من التساؤل عن موقف أهل قرطبة منها؟

سئم أهل قرطبة الحروب، فنظروا في إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح، فأجمعوا على رد الأمر إلى بني أمية، وتمت مبايعة عبد الرحمن بن هشام بن عبد

---

(١) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ١٢٨؛ المقري، نفح، م١، ص ٤٣٠-٤٣١.

(٢) ابو الفداء، المختصر، جـ٢، ص ١٤٥-١٤٦.

(٣) المرتضى: قتل من قبل انصاره لما رأوا فيه من صرامته وحدة نفسه. المراكشي، المعجب، ص ٩٨.

(٤) هرب سنة ٤١٤هـ/١٠٢٤م إلى مالقة. المصدر نفسه، ص ١٠٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ٩٩-١٠٠؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص ١٥٣-١٥٤.

(٦) المراكشي، المعجب، ص ١٠٠؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٣، ص ٤٣٣؛ المقري، نفح، م١، ص٤٣٢.

(٧) ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص ١٥٤.

الجبار المستظهر بالله سنة ٤١٤هـ/١٠٢٤م[١]. لكن المستظهر قام بحملة اعتقالات ضد كبار الشخصيات وصادر أموالهم، كما تقرب من البربر[٢]، فسرعان ما قُتل في نفس العام[٣]. ثم تولى الخلافة أموي آخر يدعى محمد بن عبد الرحمن الملقب بـ (المستكفي بالله) (٤١٤-٤١٦هـ/ ١٠٢٤-١٠٢٦م)، إلا أنه أساء السيرة، فقام عليه أهلُ قرطبة ونفوه إلى الثغر، وهناك مات مسموماً سنة ٤١٦هـ/١٠٢٦م[٤].

عاد حكم البلاد إلى الأدارسة، حيث تولاه يحيى بن علي المعتلي للمرة الثانية (٤١٦-٤١٧هـ/١٠٢٦-١٠٢٧م)[٥]. ولكن عدم استقرار الأوضاع في قرطبة حال دون دخوله إياها، فعين عطاف بن عبد الرحمن اليفرني[٦] نائباً عنه[٧] فيها وقيل عين وزيره وكاتبه أحمد بن موسى ودوناس بن أبي روح نائبين عنه ولكنهما طُردا من قرطبة سنة ٤١٧هـ/١٠٢٧م[٨]، بينما قُتل المعتلي سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م في قرمونة[٩].

وعاد كبار الشخصيات في قرطبة إلى الاجتماع وتدارسوا الأمر فقرروا غيابياً تولية حكم البلاد إلى الأموي هشام بن محمد بن عبد الملك ولقبوه بـ (المعتد بالله) وذلك سنة ٤١٨هـ/١٠٢٨م، وكان هشام مقيماً بحصن البونت في الثغور[١٠].

---

(١) ابن حزم، رسائل، جـ٢، ص ٢٠١؛ المراكشي، المعجب، ص ١٠٥؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٥٢.

(٢) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٤٣٥ .

(٣) المراكشي، المعجب، ص ١٠٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٧-١٠٨؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٤٣٦؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ١٣٥-١٣٦ .

(٥) المراكشي، المعجب، ص ١٠٢؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٤٣٦.

(٦) المراكشي، المعجب، ص ١٠٢-١٠٣، حاشية (٢).

(٧) المصدر نفسه، ص ١٠٢؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٣٤؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٥٤.

(٨) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٤٣٦.

(٩) المراكشي، المعجب، ص ١٠٤.

(١٠) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

دخل المعتد بالله قرطبة سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م[1]، إلا أن سياسته لم تحظَ بالنجاح، فخرج عليه ابن عمه أمية بن عبد الرحمن العراقي محاولاً تولي الحكم[2].

ويبدو أن أهل الحل والعقد سئموا الفوضى وعدم الاستقرار واتفقوا برئاسة الوزير أبي الحزم جهور بن جهور على إنهاء الحكم الأموي في الأندلس، وعزل الخليفة المعتد بالله[3] (٤١٨-٤٢٢هـ/١٠٢٨-١٠٣٠م) لافتقاره إلى صفات الحاكم الناجح، كما قرر ابن جهور «إبطال رسم الأموية ... لعدم الشاكلة، وعلى نفي المروانية وإجلائهم»[4].

وأشار ابن الخطيب في معرض حديثه عن إنهاء الحكم الأموي في الأندلس فقال: «واتفقت رأي الجماعة بقرطبة على محو رسم الخلافة لعدم الصلوح في أهل بيتها ... وسوء الجوار ... وفناء الأحوال»[5].

وبانتهاء الأسرة الأموية، سقطت الدولة الأموية بالأندلس[6]، بعد أن شهدت اضطرابات شديدة خلال الحقبة الممتدة من (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٩-١٠٣٠م) والتي حكم فيها تسعة من الخلفاء، ستةٌ من البيت الأموي، وثلاثةٌ من البيت العلوي الإدريسي، وأكثر هؤلاء تولى الخلافة مرتين، وانتهى أمرهم إلى الموت[7].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٩-١١٠؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ١٣٨-١٣٩؛ ابن خلدون تاريخ، جـ٤، ص ١٥٢.

(٢) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ١٣٨.

(٣) فر المعتد بالله إلى لاردة، وقام عند ابن هود في سرقسطة، ومات سنة ٤٢٧هـ/١٠٤٧م، وقيل سنة ٤٢٨هـ/١٠٤٨م وهو آخر حكام الأندلس من بني أمية. انظر: المراكشي، المعجب، ص ١١٠؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص ١٥٢.

(٤) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ١٣٩.

(٥) المصدر نفسه، ق٢، ص ١٤٧.

(٦) ابن حزم، قلائد الذهب، جـ١، ص٩٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣، جـ١٧، ص ١٣٤-١٣٥، وسيشار إليه تالياً: الذهبي، سير؛ أبو الفوز محمد أمين البغدادي السويدي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، المكتبة العلمية، د.ت، ص ٨٤. وسيشار إليه تالياً: السويدي، سبائك الذهب.

(٧) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١٣٩؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٢٥ (مقدمة المحقق).

ونتج عن سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م، أن انقسمت البلاد إلى دويلات صغيرة متنازعة، فاستقل كل أمير بناحيته، فدخلت البلاد بذلك في عصر جديد هو عصر الطوائف[1].

(١) المراكشي، المعجب، ص ١٢٣.

الباب الأول

الحجابـــة

الفصل الأول

نشأة الحجابة في الأندلس وتطورها

نشأة الحجابة في الأندلس وتطورها :

كانت حكومة الأندلس في عصر الولاة، هيئة إدارية محلية يرأسها الوالي، وهو رئيس مؤقت لإدارة الإقليم، وكان الوالي في بعض الأحيان هو قائد الجيش.

ومنذ قيام الدولة الأموية في الأندلس على يد مؤسسها عبد الرحمن الداخل، أخذت النظم السياسية والإدارية في الظهور، وقد اقتبس الداخل بعض أنظمة إمارته من النظم السائدة في المشرق[1].

ومع بداية عصر الإمارة (١٣٨هـ) برزت وظيفة الحجابة، إلاّ أنها تضمنت إضافة إلى مهمة حجب الحاكم عن العامة والخاصة، أن صاحبها كان واسطة بين الحاكم وبين الوزراء ومن دونهم[2]، بل أنه -على حد تعبير ابن خلدون- كان واحداً من الوزراء (ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت، فارتفع مجلسه عن مجالسهم، وخصوه باسم الحاجب)[3]. وهذا ما جعل المقري يجعل الحاجب بمكان النائب للخليفة[4].

من الواضح أن منصب الحجابة يمثل استمراراً لهذا المنصب في المشرق نظراً للتماثل في المهمة التي كان يقوم بها الحاجب في المشرق وفي الأندلس، من حيث أنه كان يتولى مهمة حجب الحاكم عن العامة والخاصة وينظم علاقته بهم[5]، بيد أن تطور وظيفته في الأندلس إلى ما يجعله بمثابة (الوزير الأول).لم يكن له

---

(١) عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٦٨٤ .

(٢) ابن خلدون، المقدمة، دار النهضة، جـ٢، ص٦٧٠-٦٧١؛ انظر : أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٣، ص٢٩١. وسيشار إليه تالياً : فكري، قرطبة .

(٣) ابن خلدون، المقدمة، جـ٢، ص٦٧٠.

(٤) المقري، نفح، م١، ص٢١٦؛ انظر: أبوار ميلة، نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية، ١٩٨٠، ص٥٤ .

(٥) عرف ابن منظور الحجاب لفظاً على أنه السّتر، وقال: حجب الشيء يحجبه حجباً، وحجاباً، وحجبه ستره، والحاجب البواب، وجمعه حجبه، وحجاب، وخطته الحجابة.
والحاجب بالمعنى الاصطلاحي: هو الذي يقوم بنقل أخبار الرعية إلى الحاكم ويسمح لهم بالدخول عليه . والحجابة يمثل هذا المعنى وظيفة قديمة عرفها اليونانيون والفرس، ولم تكن موجودة في عصر النبوة والعصر الراشدي، إنما استحدثت منذ بداية العصر الأموي في عهد معاوية بن أبي سفيان، وقد أولى بقية حكام بني أمية أهمية لمنصب الحجابة. =

جذور في المشرق، وقد دفع هذا إلى أن نتساءل عما إذا كان هناك مؤثرات غربية، بيد أن الدراسة لم تتوصل إلى ما يؤكد ذلك[1].

ومنذ بداية عصر الإمارة في الأندلس سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م عهد الأمير عبد الرحمن الداخل إلى أشهر رجاله وأوثقهم بمنصب الحجابة، مثل: تمام بن علقمة، ويوسف بن بخت الذي كان حاجباً ووزيراً، وعبد الكريم بن مهران، وعبد الحميد

= وفي العصر العباسي تشدد الخلفاء العباسيون في عدم ملاقاة الناس إلا في الأمور الهامة واستحدثوا منصب الحاجب الثاني، وعرف الحاجب في الدولة الفاطمية باسم صاحب الباب.

انظر : محمد بن عيسى الترمذي، صحيح الترمذي، شرح الإمام ابن العربي المالكي، ١٣ج، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ط٦، ص٧٢؛ محمد بن علي بن محمد المعروف بابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر، بيروت، د.ت، ص١٢٦؛ أبو عبيد الله محمد بن عبدوس الجهشياري، الوزراء، ط٢، مطبعة مصطفى البابي، ١٩٨٠، ص٢٨٩؛ أبو الحسن هلال بن المحسن الصابي، الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٢، ص٢٨-٢٩؛ انظر ابن منظور، لسان العرب، ١٥م، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د.ت،م١، ص٥٦٨؛ انظر أيضاً: Chelnod, Hidjab, The Encyclopedeq Islam Leadien. E.J. Brill, London, 1949, Vol.3, P.360. وسيشار إليه تالياً : Chelnod, Hidjab .

(١) وجد في فرنسا خلال الدولتين الميروفنجية (٨٦-٧٥١م) والكارولنجية (٧٥١-٩٨٧م) منصب مشابه لمنصب الحاجب في الأندلس، وعرف الحاجب في هاتين الدولتين بأسماء مختلفة منها الحاجب ورئيس البلاط، وناظر القصر، والوزير، وأمير القصر، وعمدة القصر، وقد احتفظ بعض رؤوساء البلاط في الدولة الكارولنجية بعلاقات سياسية مع حكام بني أمية في عصر الإمارة. ولم يكن هذا المنصب سائداً في إسبانيا دولة القوط الغربيين -قبل وصول العرب إليها- فقد كان يتم انتخاب الملك من قبل النبلاء، ويساعد الملك في إدارة الحكم مجلس النبلاء الذي سمي فيما بعد مجلس طليطلة ويضم بعضويته نبلاء ورجال دين، كان الملك القوطي هو المستبد بالحكم، ولم تشر الدراسات إلى وجود منصب الحاجب في إسبانيا قبل وصول العرب إليها، مما يدل على عدم وجوده في هذه الحقبة من تاريخ إسبانيا.

عن الحاجب (ناظر القصر) في فرنسا، انظر: ول ديورانت، قصة الحضارة، ٢ج، ترجمة محمد بدران، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ت، جـ١، ص٢٧؛ وليم لانجر، موسوعة تاريخ العالم، جـ٢، ص٥٠٠-٥٠٨؛ فشر، أوروبا، ق١، ص٧-٧٧؛ ل.م. هارتمان، الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى، ترجمة جوزيف يوسف، دار النهضة المصرية، بيروت، ١٩٨١، ص١١٥-١١٦؛ نورمان كانتور، التاريخ الوسيط، ٢ق، ترجمة قاسم عبده، ط٢، دار المعارف، ١٩٦٩، ص٢٣٨؛ هلستر، أوروبا، ص١١؛ انظر: إبراهيم طرخان، أوروبا في العصور الوسطى -دولة القوط الغربيين، ٢ج، مكتبة النهضة المصرية، القاهة، ط١، ص١٣٢-١٠٠؛ جوزيف رينو، الفتوحات الإسلامية، ص١٠٣؛ منى محمود، المسلمون في الأندلس، ص٧٩، حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص١٠، ٢٣؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٦٢-٦٣؛ محمد عبده حتاملة، ايبيريا قبل مجيء العرب إليها، عمان ، الأردن، ١٩٩٦، ص٢٥٧.

ابن مغيث[1] بن الحارث، ومنصور فتاه الذي بقي حاجباً له حتى توفي الأمير سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م[2] ، وحجب عبد الرحمن بن مغيث للأمير هشام الرِّضا (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م)[3]، وكذلك عبد الواحد بن مغيث[4]، ثم ابنه عبد الكريم ابن عبد الواحد[5] (ت٢٠٩هـ/٨٢٤م)، وبعد وفاة الأمير هشام حجب عبد الكريم بن عبد الواحد للأمير الحكم بن هشام وكان متنفذاً طول عهد الحكم[6].

ولأهمية منصب الحجابة، تنافس عليه عدة وزراء، بعد وفاة الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد، ودرءاً لاشعال روح العصبية والحقد بين هؤلاء المتنافسين، استثنى الأمير عبد الرحمن الأوسط جميع المرشحين من الوزراء لهذا المنصب، وارتأى أن يكون الترشيح لمنصب الحجابة من بين الخُزان[7]، واحداً تلو الآخر[8]. وهذا ما أشار إليه ابن القوطية، حيث قال: «وكدوا بالوسائل والشفاعات حتى أضجروه، فأقسم ألا يولي واحداً منهم...»[9].

أما الخُزّان الذين تقلدوا منصب الحجابة بالترتيب فهم: مهران بن عبد

---

(١) بني مغيث : أولاد مغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك، انظر ابن القوطية، تاريخ إفتتاح، ص٩٨، ١٠٨؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٣٥ .

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٤٨؛ المقري، نفح، م٣، ص٤٥، ٤٧ .

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٦١.

(٢) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٦١، ١٣٥.

(٥) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١٢ .

(٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص٩٨؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ١٣٥.

(٧) الخُزان : القائمون على الشؤون المالية، حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط٢، الدار السعودية، جده، ١٩٨٥، ص٤١٠، وسيشار إليه تالياً: مؤنس، فجر الأندلس؛ ابن حزم، طوق الحمامة، ص١٣٢، حاشية (٤) .

(٨) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٠٩؛ انظر : التهامي الراجحي، نظم وإدارة بني أمية في الأندلس من خلال المقتبس لابن حيان، مجلة المناهل، الرباط، المغرب، ع٢٩، سنة١١، ١٩٨٤، ص٢٦٧-٢٦٨، وسيشار إليه تالياً: التهامي، نظم وإدارة بني أمية .

(٩) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٠٩.

ربه من البربر، ثم عبد الرحمن بن غانم، ثم تولاها عيسى بن شهيد، ثم عبد الرحمن بن رستم، وأعيد إليها بعد وفاة الأخير، الحاجب عيسى بن شهيد للمرة الثانية[1]، وقيل أنه عين محمد بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن رستم على الحجابة وولاه الوزارة[2].

ويتضح من رواية أوردها ابن حيان أن الحاجب يتم تعيينه وعزله من قبل الحاكم فقط، فعندما تعرض الأمير عبد الرحمن الأوسط للمرض، استغل فتاه نصر غياب الأمير عن ممارسة صلاحياته، فقام وبدون علم الأمير عبد الرحمن الأوسط بعزل صاحبه عيسى بن شهيد ليعين بدلاً منه عبد الرحمن بن رستم، وهذا التصرف أثار حفيظة الأمير الذي لاحظ اختلاف الترتيب عندما تقدم الوزراء للسلام عليه بمناسبة شفائه من المرض، فأمر بإعادة الأمر كما كان في سابق عهده فعزل ابن رستم وأعاد ابن شهيد للحجابة[3]. ثم أعيد ترشيح الأخير للحجابة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) ونال مكانة وحظوة عنده[4].

ويبدو أن الأمير محمد أعطى تفضيلاً للأسر التي تتولى منصب الحجابة يتم بمقتضاه رفع العرب الشاميين الذين دخلوا مع بشر بن بلج على العرب البلديين الذين دخلوا مع موسى بن نصير أثناء الفتح الإسلامي للأندلس[5].

وقد سار البقية من الأمراء الأمويين على نهجه أثناء عهد الإمارة، فقد

---

(١) المصدر نفسه، ص١٠٩ .

(٢) ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص٣٧٢.

(٣) المقتبس، تحقيق مكي، ص١٦٦ .

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٠٩ .

(٥) محمد خالد المومني، الفقهاء وثورة أهل الربض في الأندلس (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢١م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٥، ص ٤٥-٤٩. وسيشار إليه تالياً: المومني، ثورة أهل الربض.

جذور في المشرق، وقد دفع هذا إلى أن نتساءل عما إذا كان هناك مؤثرات غربية، بيد أن الدراسة لم تتوصل إلى ما يؤكد ذلك[1].

ومنذ بداية عصر الإمارة في الأندلس سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م عهد الأمير عبد الرحمن الداخل إلى أشهر رجاله وأوثقهم بمنصب الحجابة، مثل: تمام بن علقمة، ويوسف بن بخت الذي كان حاجباً ووزيراً، وعبد الكريم بن مهران، وعبد الحميد

= وفي العصر العباسي تشدد الخلفاء العباسيون في عدم ملاقاة الناس إلا في الأمور الهامة واستحدثوا منصب الحاجب الثاني، وعرف الحاجب في الدولة الفاطمية باسم صاحب الباب.

انظر: محمد بن عيسى الترمذي، صحيح الترمذي، شرح الإمام ابن العربي المالكي، ١٣ج، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ط٦، ص٧٣؛ محمد بن علي بن محمد المعروف بابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر، بيروت، د.ت، ص١٢٦؛ أبو عبيد الله محمد بن عبدوس الجهشياري، الوزراء، ط٢، مطبعة مصطفى البابي، ١٩٨٠، ص٢٨٩؛ أبو الحسن هلال بن المحسن الصابي، الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٢، ص٢٨-٢٩؛ انظر ابن منظور، لسان العرب، ١٥م، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د.ت،م١، ص٥٦٨؛ انظر أيضاً: Chelnod, Hidjab, The Encyclopedeq Islam Leadien. E.J. Brill, London, 1949, Vol.3, P.360. وسيشار إليه تالياً : Chelnod, Hidjab.

(١) وجد في فرنسا خلال الدولتين الميروفنجية (٨٦-٧٥١م) والكارولنجية (٧٥١-٩٨٧م) منصب مشابه لمنصب الحاجب في الأندلس، وعرف الحاجب في هاتين الدولتين بأسماء مختلفة منها الحاجب ورئيس البلاط، وناظر القصر، والوزير، وأمير القصر، وعمدة القصر، وقد احتفظ بعض رؤساء البلاط في الدولة الكارولنجية بعلاقات سياسية مع حكام بني أمية في عصر الإمارة. ولم يكن هذا المنصب سائداً في إسبانيا دولة القوط الغربيين -قبل وصول العرب إليها- فقد كان يتم انتخاب الملك من قبل النبلاء، ويساعد الملك في إدارة الحكم مجلس النبلاء الذي سمي فيما بعد مجلس طليطلة ويضم بعضويته نبلاء ورجال دين، ،كان الملك القوطي هو المستبد بالحكم، ولم تشر الدراسات إلى وجود منصب الحاجب في إسبانيا قبل وصول العرب إليها، مما يدل على عدم وجوده في هذه الحقبة من تاريخ إسبانيا.

عن الحاجب (ناظر القصر) في فرنسا، انظر: ول ديورانت، قصة الحضارة، ٢ج، ترجمة محمد بدران، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ت، جا، ص٢٧؛ وليم لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص٥-٨؛ فشر، أوروبا، ق١، ص٧-٧٧؛ ل.م. هارثمان، الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى، ترجمة جوزيف يوسف، دار النهضة المصرية، بيروت، ١٩٨١، ص١١٥-١١٦؛ نورمان كانتور، التاريخ الوسيط، ٢ق، ترجمة قاسم عبده، ط٢، دار المعارف، ١٩٦٩، ص٢٢٨؛ هلستر، أوروبا، ص١١؛ انظر: إبراهيم طرخان، أوروبا في العصور الوسطى -دولة القوط الغربيين، ٢ج، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ص١٣٣-١٠١؛ جوزيف رينو، الفتوحات الإسلامية، ص١٠٢؛ منى محمود، المسلمون في الأندلس، ص٧٩، حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص١٠، ٢٣؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٦٢-٦٣؛ محمد عبده حتاملة، ايبيريا قبل مجيء العرب إليها، عمان ، الأردن، ١٩٩٦، ص٢٥٧.

أعزّى يا محمد عنك نفسي　　　　معاذ الله والأيدي الجسام

فهلا مات قوم لم يموتوا　　　　ودوفع عنك لي كأس الحِمام[1]

كما حجب للأمير المنذر عبد الرحمن بن أمية بن عيسى بن شهيد، ثم عيّن حاجباً للمرة الثانية في عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢)، ولكنه عزل ليعين مكانه سعيد بن محمد بن السَّليم (ت٣٠٢هـ/٩١٤م)، ثم عزله سنة (٢٩٠هـ/٩٠٢م)[2].

ويبدو أن منصب الحجابة لم يكن موجوداً بصفة دائمة، فقد شغر في عهد الأمير عبد الله بن محمد، وذلك خلال السنوات العشر الأخيرة من عهده وحتى وفاته سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م)[3].

ومنذ اليوم الأول لتعيين الأمير عبد الرحمن الثالث الحكم (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م)، أعاد منصب الحجابة، حيث ولاها مولاه بدر بن أحمد، واستمر الأخير في منصبه حتى وفاته سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م، ليتقلدها موسى بن حدير حتى وفاته سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م[4]، ثم شغر هذا المنصب، حيث لم يتخذ عبد الرحمن الناصر له حاجباً وحتى تاريخ وفاته سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م.

ويبدو أن الحاجب خلال عصر الإمارة كان منفذاً لبعض المهام التي توكل إليه من قبل الأمير، ومعاوناً له، كما هو في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٣٢؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١١٥-١١٦.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ص١٣٣؛ محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٤، ص٥٩. وسيشار إليه تالياً: الحميري، الروض المعطار، ص٥٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٤٦٥؛ ابن خلدون، تاريخ، م٤، ص١٣٩.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ص٢١٠، ٢٤٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٢، ص١٨٢، ٢٧٨؛ ابن خلدون، تاريخ، م٤، ص١٣٨ .

(١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م)، فقد أغـزى حاجبـه عبد الكريم بن مغيث إلى جليقية وغيرها[١]، وقـد عـرف عن هذا الحاجب رجاحـة العقل وحـسن الرأي[٢]. وتـولـى الحُجّاب في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، ومـحمد والمنذر وعبد الله مـهام متعددة، نفذوا من خلالها أعمالاً عسكرية وإدارية كلفوا بها[٣].

وقد يعود سبب التزام الحاجب بتنفيذ سياسة الحاكم أثناء الحقبة المشار إليها، -وخاصة عهد عبد الرحمن الناصر- إلى استئثار هؤلاء الأمراء بجمع مقاليد الحكم في أيديهم، فلم يبقِ الناصر أي سلطة للحاجب أو الوزير لأنه كان حريصاً على حماية سلطانه من أي تدخل، فجعل سلطته مركزية، ويستدل على ذلك من قيامه بإعدام ابنه عبد الله، الذي عارضه في اختيار أخيه الحكم ولياً للعهد وذلك سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م. كما أعدم بعضاً من أبناء عمومته، ولذلك لم يقم بتقليد الصلاحيات للحاجب مباشرة[٤].

---

(١) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١٢ .

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص٩٨ .

(٣) ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص٣٧٢ .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢١٧، ٢٢٨؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٣٨-١٣٩، ١٤٣؛ انظر أيضاً : عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٤٥٠ .

تطور الحجابة في الأندلس أثناء عصر الخلافة

(٣١٦-٤٢٢هـ/ ٩٢٨-١٠٣٠م):

تمت الإشارة في بداية الفصل، إلى أن الحاجب في الأندلس خلال عصر الإمارة كان بمثابة وزير تنفيذي، وأن صلاحياته تقوم على تنفيذ سياسة وقرارات الخليفة، كما أن هذا المنصب تعرض للظهور والاختفاء ضمن هذه الحقبة حتى قام الخليفة الناصر بإلغاء هذا المنصب سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، واستمر المنصب شاغراً مدة ثلاثين عاماً من عصر الخلافة،وقد بلغت الخلافة درجة من القوة، كان الناصر خلالها حريصاً على حماية سلطانه وجمع السلطات في يده ، فلم يبق أي سلطة لوزير أو حاجب حتى وفاته سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م.

إلا أن التطور الفعلي لمنصب الحجابة في الأندلس ظهر بشكل كبير بعد وفاة الخليفة الناصر سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م، فقد أصبح الحاجب يقوم بصلاحيات واسعة وبتفويض من الخليفة، فحجب للخليفة المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م)، منذ سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م[1]، جعفر بن عثمان بن عبد الرحمن الصقلبي الذي توفي قبل سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م[2]، ثم عين له حاجباً آخر هو جعفر بن عثمان المصحفي الذي كان قد تدرج في عدة مناصب هامة في الدولة حتى وصل إلى منصب الحجابة، فانتقلت إليه جميع الصلاحيات وبشكل تدريجي نيابةعن الخليفة ، فقام بإدارتها دون الرجوع إلى الخليفة الذي وثق به خاصة في الحقبة الممتدة من (٣٦٤-٣٦٦هـ/٩٧٤-٩٧٦م) حيث كان الخليفة يعاني من مرض الفالج الذي أقعده عن العمل[3]، ولهذا تمتع الحاجب المصحفي بالسلطة المطلقة في إدارة شؤون الدولة، فكان المستنصر «عنه يسمع وبه يبصر»[4].

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٣٥ .

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٦٦؛ ابن بشكوال، الصلة، جـ٣، ص٩٥٥؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٣٥؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٠ .

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٤٩-٢٥٣؛ المقري، نفح، م١، ص٣٩٣، ٣٩٦ .

(٤) ابن خاقان، مطمح، ص١٥٤؛ المقري، نفح، م١، ص٤٠٢ .

ويتبين لنا أن الظروف المحيطة بمنصب الحجابة أدت إلى اتساع سلطة الحاجب المصحفي، فقد أثبت كفاءة واخلاص للخليفة المستنصر، فمنحه الأخير ثقته بتفويض الأمور إليه، كما ساعد استقرار الأوضاع السياسية وتوطيد أركان الدولة في عهد الخليفة الناصر، ثم المستنصر إلى زيادة اهتمام الخليفة الحكم المستنصر بالجانب العلمي والثقافي، وهذا أعطى فرصة للحاجب بتوطيد مركزه[1].

أما معاناة الخليفة المستنصر من مرض الفالج الذي أقعده عن متابعة شؤون الدولة فقد أعطى الحاجب فرصة أخرى ليكون صاحب السلطة المطلقة لا سيما وأنه الشخص الثاني في الدولة، وهو في هذه الحالة المسؤول الأول عن إدارة شؤون الدولة عملياً، ولقد استمر هذا الوضع بعد وفاة الخليفة المستنصر سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م[2].

ومنذ عام ٣٦٦هـ/٩٧٦م اتسم منصب الحجابة بالقوة والانفراد بالسلطة أحياناً، ثم التنافس على تقلد المنصب، فعشية وفاة الخليفة المستنصر، أبطل الحاجب المصحفي خطة الصقالبة بزعامة جؤذر وفائق المتضمنة عزل ولي العهد هشام المؤيد، وتقليد أمر الخلافة إلى عمه المغيرة بن عبد الرحمن الناصر، وأطلعوا المصحفي على خطتهم فاستحسنها ثم دعا إلى عقد مجلس ضم كبار رجال الدولة، مثل غالب الناصري، ومحمد بن أبي عامر، وابن أخيه هشام وأنصاره من البربر، فنعى إليهم وفاة المستنصر، وعرض عليهم خطة الصقالبة[3]، التي تكمن في رد الأمر للمغيرة نظراً لصغر سن هشام المؤيد الذي سيبقى ولياً للعهد حتى يكبر، ولما عرض الأمر على الحاجب المصحفي قال لهم

---

(١) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص١٨٦؛ ابن الآبار، الحلة، جـ١، ص٢٠٠-٢٠١؛ انظر للمزيد : محمد محمود يونس، الحاجب المصحفي حياته وشعره، مجلة كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ع١٠، ١٩٨٤، ص١٧٦-١٧٧، وسيشار إليه تالياً : يونس، الحاجب المصحفي .

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥٣؛ المقري، نفح، م١، ص٣٩٦؛ انظر: إبراهيم بيضون، الدولة العربية في إسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة (٩٢-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م)، دار النهضة العربية، بيروت، وسيشار إليه تالياً: بيضون، الدولة العربية .

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٠ .

خوفاً من أن يقتله الصقالبة «أسد رأي وأوفق عمل»[1] .

نجح الحاجب المصحفي في تحقيق هدفه، بعد أن تحمل محمد بن أبي عامر أمر مقتل مرشح الصقالبة المغيرة بن عبد الرحمن قبل أن يعلم الأخير بأمر وفاة أخيه الخليفة المستنصر[2]. فأسرع ابن أبي عامر مع رجاله إلى بيت المغيرة وقتله خنقاً بعد أن أظهر ابن أبي عامر تردداً في قتله بداية الأمر، ولم يقدم على قتل المغيرة إلا بعد أن حصل على موافقة خطية من المصحفي، فعرض ابن أبي عامر الرقعة على المغيرة على أنه منفذ لرغبات الحاجب لا علاقة له بالأمر، وكان لمقتل المغيرة نتائج خطيرة على الحاجب المصحفي فيما بعد حيث استغلها ابن أبي عامر لصالحه[3].

بيد أن المصحفي نجح بعد قتل المغيرة في تحقيق هدفه الرئيس وهو مبايعة الخليفة الجديد هشام المؤيد سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م[4]. وبهذا الصدد أشار أحد المؤرخين إلى أهداف المصحفي من خلال قول الأخير لأعضاء المجلس الذي دعا لعقده «إن أبقينا ابن مولانا كانت الدولة لنا، وإن استبدلنا به استبدل بنا»[5].

ويبدو أن غياب أفراد البيت الأموي عن الساحة، ودعم أنصار هشام المؤيد للحاجب مثل صبح أم المؤيد، ومحمد بن أبي عامر، وغالب الناصري، ثم كشفه عن خطة الصقالبة وقضائه عليها قبل استفحالها، قد أدت هذه الأسباب مجتمعة إلى زيادة قوة منصب الحجابة، خاصة بعد أن أصدر الخليفة هشام المؤيد في سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م أمر تقليد المصحفي حجابته[6]، ليقوم الأخير بدور الوصي على

---

(١) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٦١ .

(٢) ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٤٧ .

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٠-٢٦١؛ المقري، نفح، م١، ص٣٩٦ .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٠، ٢٦٢؛ المقري، نفح، م١، ص٣٩٦ .

(٥) ابن بسام، الذخيرة، ق٤ م١، ص٥٨؛ وورد عند ابن عذاري، أن المصحفي قال: «إن حبسنا الدولة على هشام، أمنا على أنفسنا، وصارت الدنيا في أيدينا، وإن انتقلت إلى المغيرة، استبدل بنا»، البيان، جـ٢، ص٢٦٠ .

(٦) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٥٨؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥٤؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٦٠؛ عنان، دولة الإسلام، ق٢ ص٥١١ .

عرش الخليفة هشام المؤيد الذي لم يتجاوز الثانية عشر من عمره[1].

استمر منصب الحجابة يزداد قوة، بعد أن سعى الحاجب المصحفى إلى التخلص من الصقالبة الذين تراوح عددهم من الثمانمائة إلى الألف[2]، فاستأصلهم بتحريض من الوزير محمد بن أبي عامر، وكان الصقالبة يكنون العداء والكراهية لهشام المؤيد لصغر سنه، ولحاجبه المصحفى بدليل إتفاق فائق وجؤذر على قتل الحاجب المصحفي بعد وفاة الخليفة المستنصر مباشرة، بقولهما "ينبغي أن نحضر جعفر بن عثمان الحاجب، فنضرب عنقه فبذلك يتم أمرنا" [3].

بعد ذلك، بدأ الحاجب المصحفي- باعتبارة المسؤول الأول عن إدارة شؤون الدولة- عهده بالتواضع والاحسان إلى كبار الموظفين وساوى مجلسه بمجالسهم، الإ أنه كان بخيلاً "دون البذل لذات اليد"[4].

وبمحاولة من المصحفي لتثبيت نفوذه سعى إلى توزيع المناصب العليا في الدولة على أفراد أسرته وأقاربه، وقد سبق أن تولى ولداه في عهد الخليفة المستنصر المناصب العليا في الدولة[5].

وتولى ابن أخيه هشام بن محمد بن عثمان خطة الخيل[6]، والأخير من الذين حضروا المجلس الذي عقده المصحفي بعد وفاة الخليفة المستنصر.

وقلد أولاده محمد وعثمان وعبدالرحمن وأخاه سعيداً المناصب الرفيعة فاصبح ابنه محمد صاحب مدينة قرطبة[7]، وهذا التوزيع وحصر الوظائف الكبرى في المقربين إليه دلالة على انفراده بالسلطة، ولكن هؤلاء لم يستطيعوا النهوض ايجابياً بمهامهم فمثلاً ابن أخية هشام بن محمد الذي تولى الشرطة

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص١٧؛ المراكشي، المعجب، ص٧٢؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥٣؛ المقري، نفح، م١، ص٣٩٩ .

(٢) المقرى، نفخ، م١، ص ٣٩٧؛ انظر: عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٢٢٦.

(٣) ابن عذارى، البيان، جـ٢، ص٢٦٠.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٥٩؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٥٦.

(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥٤.

(٦) ابن الآبار، الحلة، جـ١، ص٢٥٨؛ ابن عذارى، البيان، جـ٢، ص٢٦٨.

(٧) ابن الآبار، الحلة، جـ١، ص٢٥٨-٢٥٩؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٦.

العليا والوسطى لم ينهض بعبء ما تولاه[1]، وكذلك ابنه محمد أساء السيرة في المدينة، فانتشر الفساد فيها منذ أن تولى خطة صاحب المدينة[2].

ويبدو أن منصب الحجابة تعرض للتنافس لوجود عدة قوى نافست المصحفي في هذا المنصب، إلا أنه لم يأخذ الحيطة والحذر، ولم يلتفت إلى خطورة هذه القوى التي ساهمت في تقويض مركزه وتحجيم أمره وتجميد صلاحياته.

فمنذ أن أصدر الخليفة هشام المؤيد أمر تقليد المصحفي الحجابة سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م عين إلى جانبه محمد بن أبي عامر وزيراً له وكان ابن أبي عامر على علاقة وثيقة مع صبح أم الخليفة هشام، فتولى هذا الوزير مهمة متابعة الأمور بين الخليفة والحاجب، وبذلك أصبح هذا الوسيط مراقباً لأعمال الحاجب المصحفي، لاسيما وأنه أبقى نفسه على علاقة طيبة مع الحاجب المصحفي الذي وثق به "وهو مع ذلك كله يغدو إلى دار جعفر ابن عثمان المصحفي وزير الدولة ويروح ويختص به ويدّعي نصيحته"[3].

وساعدت هذه القوى في إضعاف مكانة الحاجب المصحفي خاصة بعد أن أحجم المصحفي عن رد الهجوم القشتالي عن شمال الأندلس بعد وفاة الخليفة المستنصر، رغم أن الدفاع عن البلاد والحرص على أمنها من ضمن صلاحياته كونه الرجل الأول في الدولة في ظل وصايته على العرش[4].

وكذلك لم يأمر قائد الجيش غالب الناصري برد الاعتداء الذي أحجم هو

---

(١) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٥٨.

(٢) المصدر نفسه، جـ١، ص٢٥٨-٢٥٩؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٦.

(٣) ابن سعيد، المغرب، ق٢، ص٢٠٠؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥٢.

(٤) ابن عذاري، المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٦٤؛ انظر: حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط١، دار المستقبل، القاهرة، ١٩٨٥ ص٣٢٩، وسيشار إليه تالياً: مؤنس، معالم.

الآخر عامداً متعمداً عن القيام بواجبه[1]، فكان اضطلاع ابن أبي عامر برد الهجوم عن البلاد[2]، بداية تألقه وتراجع مكانة الحاجب المصحفي، لاسيما وأن ابن أبي عامر حقق انتصاراً باهراً على الاسبان، فارتفعت مكانته في القصر وفي قرطبة، والتف حوله كبار الشخصيات والوزراء، وبعدها ارتقى في الوظائف العليا، وأثبت كفاءة نادرة في جميع المهام التي أنيطت به ففرض الأمن في أنحاء قرطبة بعد أن تقلد منصب صاحب المدينة فيها، بدلاً من محمد بن جعفر المصحفي[3].

ويتضح أن هذه المؤشرات جميعاً جعلت صلاحيات الحاجب المصحفي محدودة، فأصبحت سلطته اسمية، وبدأت محاولات التآمر على منصب الحجابة والإطاحة بحكومة المصحفي واضحة، بيد أنه لم يكتشف ذلك إلا في أواخر أيامه[4].

وقد أصبح التنافس على منصب الحجابة أكثر وضوحاً، عندما قلد الخليفة هشام المؤيد القائد غالب الناصري هذا المنصب، مشتركاً مع الحاجب المصحفي سنة٣٦٧هـ/٩٧٧م[5].

ويقول ابن الأبار بهذا الصدد «شارك جعفر بن عثمان في الحجابة وصير فراشه في الصدر »[6]، وكما أشارت مصادر أخرى إلى سوء العلاقة بين المصحفي وشريكه غالب في الحجابة «وكان بينه وبين الحاجب جعفر بن عثمان عداوة

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٤، ٢٦٥؛ انظر هاشم ابو ملّوح، الدولة العامرية في الأندلس (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٧-١٠٠٩م) رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الإردنية، عمان، ١٩٩٤، ص١١٧، وسيشار اليه تالياً، ابو ملّوح، الدولة العامرية؛ عبدالكريم التواتي، مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس، مكتبة الرشاد، الدار البيضاء ص١٨٢-١٨٣، وسيشار اليه تالياً : التواتي، مأساة .

(٢) المراكشي، المعجب، ص٧٤؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٤؛ صادر، جـ٢، ص٣٩٤.

(٣) ابن الابار، الحلة، جـ١، ص٢٥٩؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٦.

(٤) ابن عذاري، المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٦٦، ٢٦٧؛ أبو ملوح، الدولة العامرية، ص١٠٢-١٠٥.

(٥) ابن الابار، الحلة، جـ١، ص٢٥٨-٢٥٩، ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٧ .

(٦) ابن الابار، الحلة، جـ١، ص٥٩.

ومنافسة »[1].

أما الحاجب المصحفي، فقد استسلم لهذا الواقع ، بعد أن فشل مخططه في التقرب من غالب الناصري عن طريق المصاهرة في محاولة منه لتصفية الخلاف مع شريكه[2].

ويتضح مما سبق وجود أكثر من حاجب حجبا في آن واحد، وقد كان وجود شخصين في منصب الحجابة خلال تلك الحقبة يعني أضعاف سلطة الحاجب الأول المصحفي، وهذا مخطط وضع من قبل محمد بن أبي عامر لهدف بعيد المدى كان يصبو إليه، وقد قال ابن عذاري: «أنه لما سمت الحال بمحمد بن أبي عامر، واستتب أمره، أعمل الحيلة والتدبير في إسقاط جعفر بن عثمان والانفراد بالدولة»[3]، ثم أقدم على العمل المشترك مع قائد الجيش والحاجب غالب الناصري للعمل ضد المصحفي[4]، وبذلك شكل ابن أبي عامر قاعدة ثابتة له سار عليها لتحقيق ما يرنو إليه متبعاً أسلوب المناورة «ورمى إلى الغرض البعيد المدى من ضبط السلطان»[5].

وقد نجح محمد بن أبي عامر في منافسة المصحفي على منصب الحجابة خاصة بعد أن تقلد منصب صاحب مدينة قرطبة، واتفاقه مع القائد غالب على أن يكون هو المسؤول عن جيش الحضرة بقرطبة، ثم ازداد نجاحاً عقب زواجه من ابنة القائد غالب بعد الغزوة الثالثة له في صفر ٣٦٧هـ/تشرين الثاني ٩٧٧م[6].

ويتبين مما سبق أن تقليد غالب الحجابة مع المصحفي خطة رسمها محمد ابن أبي عامر تهدف إلى إضعاف وإسقاط المصحفي، لاسيما وأن تقليد الحاجب

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٥؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٦١ .

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٥ .

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٦٥ .

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٦٧ .

(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٥؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٦١.

(٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٥، ٢٦٧ .

غالب الناصري للمنصب كان إسمياً وليس فعلياً خاصة أن الأخير يقضي جلّ وقته في الثغور، أما المصحفي فأصبح في هذه الظروف شريكاً اسمياً مع حمله للقب الحاجب . وابن أبي عامر حاجب فعلي دون أن يحمل لقب الحاجب، وقد أشار ابن عذاري إلى هذا فذكر أن «المصحفي كفّ عن اعتراض محمد وشركته في التدبير وانقبض الناس عن الرواح إليه والتبكير، وانثالوا على ابن أبي عامر، فخف موكبه»[1].

وأضافت مصادر أخرى إلى أن حجابة الحاجب المصحفي أفرغت من محتواها نهائياً «فتوالى عليه سعى ابن أبي عامر ، وطلبه إلى أن صار يغدو إلى قرطبة ويروح وليس بيده من الحجابة إلا اسمها»[2]، «ولا شيء له»[3].

وفي سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م عزل الخليفة هشام المؤيد الحاجب المصحفي من منصب الحجابة[4]، حيث تقلد مكانه محمد بن أبي عامر، الذي أصبح الحاكم الفعلي في الدولة حتى أطلق على الحقبة التي حجب خلالها كل من محمد بن أبي عامر وابنيه المظفر عبد الملك وشنجول اسم الدولة العامرية[5]. إذ انفرد محمد بن أبي عامر بالسلطة واستبد بالدولة، وحجر على الخليفة في الوقت الذي شاركه بجميع الشارات ولم يجعل فرقاً بينهما إلا في الاسم وحده في تصدير الكتب عنه[6]، ثم سبك الدولة على قالبه، فأمر سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م ببناء مدينة لرئاسته سميت بالزاهرة انتقل إليها سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م[7]، «حتى صار ينادي صروف الدهر! هل من مبارز؟ فلما لم يجده، حمل الدهر على حكمه،

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٥.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٥؛ ابن خاقان، مطمح، ص١٦٣؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠٠ .

(٣) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠١؛ المقري، نفح، م١، ص٤٢١ .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٧.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٦) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٧) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٧٥.

فانقاد له وسعده فاستقام أمره منفرداً في مملكة لا سلف له فيها »[1].

عمل الحاجب محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور[2] على عزل رجال الخليفة المستنصر والحاجب المصحفي، وشكل حاشية موالية له، يقول ابن بسام «وسلخ رجالها وعفى رسومها بما أوضح من رسومه، وأسقط رجال الحكم من سائر الطبقات والكتاب والعمال والقضاة والحكام وأصحاب السيوف والأقلام» وأضاف «وأقام بإزائهم من تخريجه واصطناعه رجالاً سدوا مكانهم ومحو ذكرهم»[3].

كما كان يسعى إلى التخلص من كبار الشخصيات من معارضين ومنافسين مثل آل المصحفي وقائد الثغر غالب الناصري صهره، والوزير جعفر ابن علي[4]، بالإضافة إلى شخصيات أموية حاولت الإطاحة بدولة العامريين مثل الأمير عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر، الذي قتل من قبل رجال الحاجب المنصور[5]، كما تخلص من ابنه عبد الله، فزادت هيبته في البلاد[6].

وذهبت بعض المصادر إلى القول أن الحاجب المنصور وصل إلى مرتبة الأمراء البويهيين في الدولة العباسية، إذ لم يبق للخليفة إلا الاسم، والمشاركة في السكة والخطبة[7]، وبذلك تكون سلطته قد فاقت سلطة الحاجب العادي في الأندلس، خاصة بعد أن تنازل عن منصب الحجابة لابنه المظفر سنة ٣٨١هـ/٩٩١م، فأصبح في الأندلس حاجبان هما الحاجب المنصور وابنه الحاجب المظفر[8].

---

(١) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٨٦.

(٢) سيشار إليه بلقبه المنصور خلال هذه الدراسة .

(٣) الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٠-٦١.

(٤) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٧٧.

(٥) المصدر نفسه، ق٢، ص٥٧ .

(٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٨٤ .

(٧) المصدر نفسه، صادر، جـ٢، ص٢٧٦؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠٠-٢٠١.

(٨) ابن الخطيب، أعمال، ق٢٢، ص٩١-٩٢.

استمر استبداد العامريين بالدولة ، فبعد وفاة المنصور سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م تقلد الحجابة ابنه المظفر عبد الملك الذي سار على نهج والده في السيطرة على أمور الدولة .

أمّا أخوه عبد الرحمن الملقب بشنجول ، فيعتبر عهده بداية انهيار الدولة العامرية بعد أن تجرأ شنجول على إكراه الخليفة هشام المؤيد على تولية العهد من بعده، فأصدر الأخير مرسوماً [١]، بذلك تضمن نقل ولاية العهد إلى شنجول، وقُرئ على شنجول بحضور الشهود، وعدد كبير من الحضور من كبار الشخصيات[٢].

وبإعلان هذا المرسوم سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م كانت نهاية الأسرة العامرية في الأندلس، فظهر الاستياء من التعدي على الخلافة، ونقلها إلى بيت غير شرعي هو البيت العامري بدلاً من أصحابه الأمويين الشرعيين[٣].

وخلال عصر الخلافة وبشكل خاص أثناء حكم هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٩م) تحولت الحجابة إلى منصب وراثي إذ انتقلت من الحاجب المنصور إلى ابنه عبد الملك المظفر، ونستدل على ذلك من خلال وصية الحاجب المنصور لابنه المظفر التي جاء فيها «وقد وطأت لك مهاد الدولة وصاحب القصر (أي الخليفة) على مذهبه، وأنه لا يأتيك من قبله شيء تكرهه»[٤].

أما غلمانه فقد أوصاهم بطاعة عبد الملك وقال لهم في الوصية «واحفظوا نعمة الله عليكم في طاعة عبد الملك أخيكم ومولاكم»[٥]، وسار عبد الملك على نهج

---

(١) انظر : نص ولاية العهد في ملحق الدراسة رقم (٥).

(٢) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٩٢؛ محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ٢ج، تحقيق على الزواري، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان١٩٨٨، ص٤٢٢، وسيشار إليه تالياً : مقديش، نزهة .

(٣) فكري، قرطبة، ص١٢٢.

(٤) انظر: نص الوصية في ملحق الدراسة رقم (١) .

(٥) انظر : نص الوصية في ملحق الدراسة رقم (٢).

والده، منفذاً لوصيته مع استمرار الحجر على الخليفة[1].

توفي الحاجب عبد الملك المظفر في ٣٩٩هـ/١٠٠٩م بالذبحة الصدرية[2]، وقيل أنه مات مسموماً [3]، ليحجب بعده أخوه عبد الرحمن شنجول لهشام المؤيد[4]، الذي خالف نهج والده وأخيه، فأهمل شؤون الدولة، بالإضافة إلى أنه نقل ولاية العهد إليه، وهذه لا سابقة لها في تاريخ الأندلس، لأن الخلافة وضعت في غير أهلها[5]، كما أدى انتقالها إلى الأسرة العامرية إلى إثارة غضب الأمويين الذين استعادوا السلطة الأموية في نفس السنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م فعزل الخليفة المؤيد ليحل محله أموي آخر هو الخليفة محمد بن هشام الملقب بالمهدي[6].

وكان من مظاهر منصب الحجابة أنه أعطي لأطفال صغار، وهذا ما حصل بخصوص كل من محمد بن الحاجب المظفر عبد الملك[7]، وعبد العزيز بن الحاجب شنجول منصب الحجابة[8].

ويظهر أن قيام الفتنة البربرية أدت إلى انعاكسات خطيرة على منصب الحجابة، فالصراع على السلطة ، وكثرة عدد الخلفاء أدى إلى اتخاذ كل خليفة يصل إلى السلطة حاجباً له، وهذا مؤداه عدم استقرار الأوضاع السياسية، فكان منصب الحجابة نقطة انطلاق للحجاب بتحقيق أهدافهم الذاتية كواضح العامري

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢،ص٣، ٣٦؛ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار، طبع عن مخطوطة رقم ٧١٧ ٢/١٥ أحمد الثالث طوبقاي، استانبول، سفر ٢٤، م٤٦، ص٣٢٨، وسيشار إليه تالياً : ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار .

(٢) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٨٩ .

(٣) المصدر نفسه، ق٢، ص١٠٩؛ أحمد بن القاضي المكناسي، جذوه الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ٢ق، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٤، ق٢، ص٢٧٢، وسيشار إليه تالياً: ابن القاضي، جذوة الاقتباس .

(٤) الذهبي، سير، جـ١٧، ص١٢٥؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، سفر٢٤، ص٣٢٨ .

(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٤٧؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٩٦-٩٧ .

(٦) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٧٠؛ ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٥١-٥٢ .

(٧) عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٦٨٦.

(٨) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٩٤، ٩٨؛ عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٦٨٦.

وخيران العامري[1].

ومن المظاهر التي طرأت على الحجابة في الأندلس، تقليد منصب الحجابة لأفراد من البيت الأموي، فعندما نجح الخليفة المهدي في إعادة نفوذ الدولة الأموية، اتخذ له حاجباً من البيت الأموي في محاولة منه للسعي معاً للعمل لصالح الخلافة الأموية، اختلفت المصادر في تحديد وضبط اسم هذا الحاجب، حيث أشار بعضها إلى أنه محمد بن المغيرة[2]، وقيل عبد الجبار بن المغيرة[3]، وكانت هذه المرة الأولى التي يتقلد فيها أفراد من الأسرة الأموية الحجابة، إلا أن الأمر لم يستمر طويلاً بسبب الحرب الأهلية التي قامت بين البربر والأمويين، وأنصار كل منهما، وبعد قيام المستعين سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م على المهدي، تنازل الأخير عن الخلافة وأعلن نفسه حاجباً للخليفة هشام المؤيد ويقول النويري أن المهدي عندما تولى حجابة الخليفة المؤيد قال: «إنما أنا قائم دون هشام ونائب عنه كما يحجبه الحاجب والأمر له، وهو أمير المؤمنين»[4]، وبذلك يكون هو الأموي الثاني الذي تولى الحجابة لحقبة قصيرة جداً، ويدل ذلك على تمسك الأمويين بشرعيتهم في الحكم وإدراكهم لأهمية منصب الحجابة.

وفي الحقبة الثانية لخلافة المهدي ٤٠٠هـ/١٠٠٩م تقلد واضح العامري الحجابة، وهو من العنصر الصقلبي، وكان أميراً للثغر في طليطلة[5] جمعته مع المهدي المصالح المشتركة، ويبدو أن الحاجب واضحاً كان راغباً في بسط نفوذه في الأندلس على غرار حجابة المنصور بن أبي عامر، فبادر إلى قتل الخليفة المهدي سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م لتكون الفرصة مواتية له لتحقيق غايته والتحكم في الدولة من خلال حجابته للخليفة المستضعف هشام المؤيد في المرة الثانية لخلافته فأرسل برأس المهدي إلى المعارض الآخر من البيت الأموي سليمان

(١) المراكشي، المعجب، ص٦٢، ٨٦.

(٢) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٢، ص٤١٣.

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٥٩، ٦٢-٦٣.

(٤) نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٤١.

(٥) ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٥١؛ المقري، نفح، م١، ص٤٢٨.

المستعين، دلالة منه على حسن النية وإنهائه الخلافات في البلاد، وعقد الصلح مع المستعين والبربر[1].

واستطاع الحاجب واضح العامري خلال حجابته للخليفة هشام المؤيد أن يكون هو المتنفذ في القصر وصاحب القرار مدة تزيد عن السنتين، وبسبب عدم قدرته على مواجهة القوات البربرية، قرر الهرب، فقبض عليه وقتل وطيف برأسه بأنحاء قرطبة سنة ٤٠٢/١٠١٢م[2]، فشغر منصب الحجابة حتى وفاة الخليفة هشام المؤيد من السنة نفسها ٤٠٣هـ/١٠١٢م[3]، وتقول إحدى الروايات «وتجلد هشام بعده، وأظهر الاستغناء عن الوزير، وتجرد لمباشرة الأمر بنفسه»[4]، بينما أشار مصدر آخر إلى أن الخليفة المؤيد بعد مقتل واضح استعان ببعض الوزراء لإدارة شؤون الدولة، فأخذ عبد الرحمن بن متيوه يدبر شؤونها ويقوم بمهام الحاجب دون أن يتسمى بالحاجب وعندما وجد أن الأمور لا تسير لصالحه جمع الأموال وهرب بها[5].

وأثناء خلافة سليمان المستعين الثانية (٤٠٣-٤٠٧هـ/١٠١٢-١٠١٦م) قلد أمر حجابته لرجاله من البربر، حتى أطلق على خلافته اسم دولة البرابرة فكان منهم الحاجب والوزير[6].

وكما ذكر آنفاً عن تعدد أسماء الحجاب الذين تقلدوا منصب الحجابة -نظراً لكثرة الخلفاء المتنازعين على السلطة- مثل واضح العامري حاجب كل من الخليفة المهدي والخليفة هشام المؤيد، وكانت مصير واضح القتل، وذكرت بعض المصادر أن المهدي عين محمد بن ذرى حاجباً له، والأخير هو الذي قام بقتل

---

(١) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١١٦؛ المقري، نفح، م١، ص٤٢٧-٤٢٨ .

(٢) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١١٧-١١٨؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٥١؛ المقري، نفح، م١، ص٤٢٩ .

(٣) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١١٨.

(٤) المصدر نفسه، ق٢، ص١١٨.

(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١٠٥-١٠٦؛ انظر : أبو ارميلة، نظم الحكم، ص٧٤ .

(٦) ابن الابار، الحلة، جـ٢، ص٧؛ ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١١٤.

الحاجب شنجول، أما خيران العامري فقد حجب للخليفة عبد الرحمن بن محمد الملقب بالمرتضى ولكنه تخلى عن الخليفة عندما وجد في الأخير الشجاعة والقوة، وحدة النفس[1]. وكان الخليفة المرتضى قد أرسل وراءه من ألقى القبض عليه وقتله[2].

أما الخليفة المعتد بالله (٤١٨-٤٢٠هـ/١٠٢٧-١٠٢٩م) فقد حجب له الحكم ابن سعيد القزاز لمدة سنتين، وكان مستبداً بالسلطة فانتهى مصيره بالقتل لسوء سيرته[3]، والقزاز لم يسميه البعض حاجباً إنما وزيراً، حيث لم يكن للمعتد حاجبٌ، وكان القزاز هو القائم بأعمال الخليفة المعتد[4].

أما الحاجب بمفهوم القيام بمهمة الحجب والعزل، فكان متداولاً في دواوين الدولة الأموية في الأندلس، وقد أخذ هذا المفهوم يطلق على الحرس الخاص للأمير ولمن يقوم بحجب باب الخليفة، وتولى هذه المهمة أكابر الفتيان الصقالبة[5]، كما كان لكل وزير حاجب يسمح للناس بالدخول عليه، وقد ذكرت بعض المصادر أنه كان يقوم بتدبير أمور الوزير نيابة عنه في حالة غيابه، حيث تطور المعنى فأصبح هذا الحاجب يأتي في المرتبة الثانية بعد الوزير من الناحية الإدارية[6].

كما اتخذ الخلفاء حجاباً آخرين يتولون مهمة السير معهم في المواكب العسكرية، وفي ذلك يقول ابن عذاري بعد عودة الخليفة هشام المؤيد إلى قصره بعد أن أنهى زيارة قام بها للحاجب المنصور في الزاهرة كان «حاجبه في الجيش

---

(١) ابن الخطيب، <u>أعمال</u>، ق٢، ص١٣١.

(٢) ابن عذاري، <u>البيان</u>، جـ٣، ص١٢٧ .

(٣) <u>المصدر نفسه</u>، جـ٣،ص١٤٧-١٥٠؛ ابن الخطيب، <u>أعمال</u>، ق٢، ص١٣٨.

(٤) ابن عذاري، <u>البيان</u>، جـ٣، ص١٤٦، ١٤٧.

(٥) EL- Hajji, Andalusian Diplomatic. P.136.

(٦) ابن حيان، <u>المقتبس</u>، تحقيق الحجي، ص٦٠، ١٥٢، ٢١٢؛ انظر: أبو ملوح، <u>الدولة العامرية</u>، ص١٥٦ .

سائر أمامه»[1]، وفي أثناء المناسبات والأعياد يتخذ الخلفاء حجاباً، يقول ابن حيان في أحداث سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م «وحجبه أكابرهم على العادة»[2]، وفي استقبال الرسل يقوم الحاجب بهذه المهمة فحجب للحكم المستنصر عن ذات اليمين القائد غالب بن عبد الرحمن في استقبال الرسل، وذلك في أحداث سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م[3]، بينما حجب لولي العهد هشام المؤيد -قبل خلافته- في عيد الأضحى سنة٣٦٣هـ/ ٢٧٣هـ خاله رائق بن الحكم وصاحب الشرطة الوسطى عبدالرحمن بن يحيى بن هاشم التجيبي[4].

---

(١) البيان، جـ٣، ص١٦.

(٢) المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٤٦ .

(٣) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٢١.

(٤) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص١٨٥.

رسوم الحجابة وتعيين الحجاب وعزلهم:

يلاحظ أن كثيراً من حجاب الأندلس خلال عصري: الإمارة والخلافة اتصفوا بالكفاءة الإدارية، ومنهم الحاجب عبدالكريم بن عبدالواحد بن مغيث، وعيسى بن شهيد[1]. الذي قال فيهما ابن القوطية أنه «لم يل الحجابة أقدر ولا أصلح من عبدالكريم... وعيسى...»[2]، ولكفاءة الحاجب بدر بن أحمد فقد جعل له الخليفة عبدالرحمن الناصر «النفي والإيجاب فشد ملكه بقوة ساعد وسعد مساعد»[3]، وكان الحاجب موسى بن حُدير حاجب الخليفة عبد الرحمن الناصر على درجة من الكفاءة والمهارة في إدارة منصبه حتى قيل فيه أنه من الذين «اكتمـــل الملك بهـم»[4]، لأنه «اضطلع واكتفى»[5].

وقام الحاجب المصحفي بتدبير الدولة أثناء حجابته للخليفة الحكم المستنصر وعندما تولى هشام المؤيد الخلافة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، أعاد ترشيح الحاجب المصحفي للحجابة للمرة الثانية، يقول النويري « وعندما احتيج إلى مدبر للمملكة، وقع الاختيار على جعفر المصحفي، فقلده هشام حجابته وتدبير أمره »[6].

وفاق الحاجب المنصور غيره من الحجاب بما امتاز به من كفاءة وحسن تدبير وضبط للرعية، ووصفه ابن عذاري بالقول « قام بتدبير الخلافة واقعد من

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١١٥-١١٦؛ ابن الآبار، الحلة، جـ١، ص١٣٥.
(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١١٥-١١٦.
(٣) ابن عذارى، البيان، جـ٢، ص٢٣٤.
(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٣٤.
(٥) ابن الآبار، الحلة، جـ١، ص٢٣٣.
(٦) نهاية الأرب، جـ٢، ص٤٠٣.

كان منها انافة[1] وساس الأمور أحسن سياسة، وداس الخطوب باحسن دياسة»[2].

وكان يوصي ابنه المظفر بحسن السيرة والعدل[3]. ووصف المراكشي الحاجب المنصور بانه «صاحب التدبير... أقام الهيبة... فدانت له أقطار الأندلس كلها وامنت به ولم يضطرب عليه شيء منها أيام حياته، لعظم هيبته وفرط سياسته»[4].

وسار على نهجه الحاجب المظفر في حسن سياسته حتى أحبه الناس سراً وعلانية[5].

ويلاحظ في الذين تولوا منصب الحجابة أن معظمهم كانوا وزراء قبل ذلك وكانوا حلقة الوصل بين الوزراء وبين الخليفة [6].

ومن هؤلاء الحجاب الذين تقلدوا خطة الوزراة قبل الحجابة، الحاجب موسى بن حدير الذي استوزره الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م[7] ثم جعفر بن عثمان المصحفي الذي استوزره الخليفة الحكم المستنصر[8]. وكذلك نقل الخليفة المستنصر ابن أبي عامر من خطة[9] القضاء إلى خطة الوزارة وفوض إليه أمور ابنه هشام المؤيد[10]، ثم استوزره الخليفة هشام المؤيد في

---

(١) انافة : الحمية والعصبية.
(٢) ابن عذارى، البيان، جـ٢، ص٢٥٩، ٢٧٣.
(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٥٩،جـ٣، ص٦٥.
(٤) المراكشي، المعجب، ص٧٤-٧٥.
(٥) المصدر نفسه، ص٨٥، ؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٨٤-٨٥.
(٦) ابن خلدون، المقدمة، دار النهضة، جـ٢، ص٦٧٠-٦٧١.
(٧) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٥٨.
(٨) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٥٠.
(٩) خطة : بضم الخاء معناها نظام، فيقال خطة الحجابة بمعنى نظام الحجابة، العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٦٨ حاشية (١).
(١٠) المقري، نفخ، ج١، ص٢٩٦.

بداية خلافته «وانهض في اليوم بعينه أبو عامر للوزارة»[1].

وكذلك قلد الخليفة الحكم المستنصر القائد غالب الناصري خطة الوزارة[2]، ثم شارك هذا القائد الحاجب المصحفي في الحجابة في عهد الخليفة هشام المؤيد.

وعندما تلقب المنصور بألقاب الملك سرعان ما تنازل عن جميع الخطط التي كان يتولاها بما فيها الحجابة والوزارة إلى ابنه عبد الملك سنة (٣٨٢هـ/٩٩٢م)، ورفع ابنه عبد الرحمن إلى خطة الوزارة[3].

ومن خلال ما أوردته بعض المصادر من تراجم للحُجّاب يتضح أن كلاً منهم قد ترقى في مناصب الدولة[4]، فقد سبق أن تولى المصحفي ولاية جزيرة ميورقة[5]، وخطة الشرطة الوسطى والنظر في الأعمال والكور في عهد الخليفة الناصر[6]، ثم تولى الكتابة العليا والخاصة بالخليفة الحكم المستنصر، وكان يطلق على المصحفي الوزير الكاتب[7].

وكانت خطة الشرطة من الخطط الهامة جداً ويرشح متقلدها إلى المناصب العليا في الدولة مثل الوزارة والحجابة[8].

واحتفظ بعض الحُجّاب بالخطط السابقة التي كانوا يتقلدونها، بالإضافة إلى منصب الحجابة، فقد احتفظ الحاجب المصحفي بخطة صاحب المدينة طيلة حجابته للخليفة الحكم المستنصر، وأوائل عهد هشام المؤيد، ثم تنازل عنها لابنه محمد بن جعفر المصحفي[9]، ثم تولاها الوزير محمد بن أبي عامر، وكان هذا

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٢، ص٤٠٣؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٦٠.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٧.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٩٣ .

(٤) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٢٣؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٤٢ .

(٥) ميورقة : من جزر الأندلس الواقعة في البحر الأبيض المتوسط، الحميري، الروض المعطار، ص١٨٨ .

(٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢١٥ .

(٧) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٥٨ .

(٨) ابن خلدون، المقدمة، جـ١، ص٦٨٨ .

(٩) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص ٦٤.

المنصب منطلقاً له ليتولى الحجابة، إذ أظهر ابن أبي عامر كفاءة ومقدرة فائقة في حفظ الأمن وضبط المدينة[1]. وكان محمد بن أبي عامر قد ترقى في مناصب كثيرة في الدولة قبل حجابته، فقد انتقل من وظيفته كاتباً عند بوابة القصر[2]، إلى موظف داخل القصر ليعمل في وكالة الطفل -نائباً عنه في إدارة أموره بسبب صغر سنه وعجزه-[3]، من عبد الرحمن بن الخليفة الحكم المستنصر، وبعد وفاة هذا الطفل عمل في وكالة ولي العهد هشام المؤيد سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م[4]، ثم انتقل إلى الأشراف على أموال وضياع السيدة صبح أم المؤيد[5]، ثم عين قاضياً على كورة رية، وقاضي للقضاة في المغرب[6]، ثم تولى الشرطة، والمواريث، ثم القضاء بإشبيلية[7]، وتولى خطة الحشم[8]، والسكة، وكان يتحف السيدة صبح بالتحف الثمينة[9]، ثم قلده الخليفة المستنصر خطة الوزارة لهشام المؤيد وفوض إليه أموره[10].

ويبدو مما سبق أن الترقي في المناصب العليا للدولة تكسب الحاجب الخبرة والمهارة في إدارة شؤون الدولة المدنية، وتجعله مؤهلاً للوصول إلى منصب الحجابة .

وقد امتلك بعض الحجاب الخبرة العسكرية والقدرة على قيادة الجيوش

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص ٦٤.

(٢) المقري، نفح، م١، ص ٣٩٩.

(٣) نديم وأسامة مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، ط١، بيروت، ١٩٧٥، ص١٣١٢ (مادة وكالة) .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٥١؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٥٩ .

(٥) الحميدي، جذوة المقتبس، جـ١، ص ١٣١؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ٢٦٨-٢٦٩؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٥١؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص ١٠٣-١٠٤.

(٦) عبد القادر زمامة، ابن حيان وأهل العدوة، مجلة كلية الآداب، فاس، عدد ٦، ١٩٨٢، ص ١٤. وسيشار إليه تالياً: زمامة، ابن حيان.

(٧) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٠؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥١؛ المقري، نفح، م١ص ٣٩٩.

(٨) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٧ .

(٩) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٥٢؛ المقري، نفح، م١، ص ٣٩٩.

(١٠) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص ٥٩؛ المقري، نفح، م١، ص ٣٩٩.

وتوجيه الصوائف والشواتي والدفاع عن البلاد من أي خطر داخلي أو خارجي، فقد أوكل الخليفة عبد الرحمن الناصر في الكثير من المرات إلى حاجبه موسى بن حدير قيادة الجيوش إلى الثغور، وأثبت هذا الحاجب مقدرة كبيرة ومهارة عسكرية في الحملات التي قادها[1] . وجهز الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي في بداية عهد الخليفة هشام المؤيد جيشاً لمحمد بن أبي عامر لرد الاعتداء الذي قامت به الممالك الإسبانية على شمال الأندلس عقب وفاة الحكم المستنصر مباشرة[2].

وكان القائد الحاجب غالب الناصري وهو من رجال السيف ذا مهارة عسكرية عالية، وقد منحه الخليفة الحكم المستنصر ألقاباً، منها «قائد الثغر الأعلى»، و«سيف الدولة الحكمية والناصرية»[4].

أما الحاجب المنصور فإنه القائد العسكري المتمرس الشغوف بالجهاد، حقق الانتصارات في جميع الغزوات التي قادها والتي زاد عددها عن خمسين غزوةً، لم تهزم له راية قط . وسار على نهجه الحاجب المظفر الذي كان محباً للغزو[5]، وبلغ عدد غزواته سبع غزوات، وكان حريصاً على «التجند والعمل بالسلاح حفظاً للرسوم»، ووصف في مواقف الصعاب بأنه «أسد ورداً، لا يقوم له شيء إلا حطمه»[6]، وشارك شنجول بأعمال عسكرية إلى جانب والده وأخيه المظفر، وقاد حملة عسكرية «شاتية» في بداية حجابته إلى الممالك الإسبانية في الشمال[7].

وكان الحاجب واضح العامري صاحب مدينة طليطلة من قادة الثغر، شارك بحملات عسكرية إلى جانب حجاب الدولة العامرية، ثم حقبة الفتنة البربرية[8].

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٣٤ .

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٢٢٠؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٦١ .

(٤) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص١٣٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م١، ص١٠٤؛ المقري، نفح، م١، ص٣٩٨، ٤٠٧ .

(٥) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ٨٤، ٨٧.

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق٤ م١، ص ٧٥.

(٧) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٩٧.

(٨) المصدر نفسه، ق٢، ص ١١٢، ١١٧.

كما أوكل الخليفة المهدي إلى حاجبه الأموي محمد بن المغيرة[1]، ثم الحاجب محمد بن ذرى مهام عسكرية قاموا بها في أوائل الفتنة البربرية في قرطبة[2].

ويتضح من دراسة حياة الحجاب أن معظمهم كان يتصف بالثقافة العالية والعلم والمعرفة والأدب، مما يعطي انطباعاً أن هذه من مواصفات الحاجب، فقد ذكر أن الحاجب المصحفي تمتع بهذه الصفة لا سيما وأن له شعراً كثيراً يدل على علمه وسعة أدبه[3]، كما كان مقدماً في صناعة الكتابة[4]. وذكر أن الحاجب المنصور قد طلب العلم والأدب وسمع الحديث وتميز في ذلك، وكان محباً للعلوم مؤثراً للأدب[5]. وكان الحاجب المظفر حريصاً على إكرام العلماء والشعراء[6].

واتصف بعض الحجاب بالبلاغة، فكان الحاجب موسى بن حدير بليغاً مفوهاً، قال عنه الوزير عبد الملك بن جهور: «ما رأيت مثل موسى: لم يجمعه أمير المؤمنين مع أحد إلا كان المستحوذ على المجلس بالجد والهزل[7]». ووصف ابن بسام الحاجب المصحفي بأنه كان مفضلاً على طبقته بالبلاغة، وقد اجتمعت لديه بلاغة النظم والنثر[8].

وعرف عن بعض الحجاب كتمان السر، ووصف بها كل من الحاجب جعفر المصحفي[9]، ومحمد بن أبي عامر[10]، وقد شدد ابن الأزرق بشكل عام على كتمان السر، وقال: «يتخذ الخليفة قوماً ذوي آراء سديدة وكتمان للسر فيجعلهم

---

(1) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٠٣ .

(2) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٥٩ .

(3) ابن خاقان، مطمح، ص ١٥٦-١٦٢؛ المراكشي، المعجب، ص ٦٢؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥٤.

(4) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ٢٥٩؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٥٤.

(5) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ٢٦٨؛ المراكشي، المعجب، ص ٧٥.

(6) ابن بسام، الذخيرة، ق٤،م١، ص ٧٩.

(7) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ٢٢٣-٢٢٤.

(8) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص ٢٥٩.

(9) إبراهيم بيضون، الأمراء الأمويون، ص١٩٥ .

(10) ابن خاقان، مطمح، ص٣٩٦ .

وزراءه»[1].

ومن الملاحظ أن منصب الحجابة في عصر الإمارة يكاد يقتصر على البيوتات الأندلسية العريقة، كبني شهيد، وبني حدير، وبني جهور، وبني مغيث.

إلا أن هذه القاعدة لم تكن سارية في حقبة الدراسة، فمن خلال تراجم الحجاب تبين أن حجاب عصر الخلافة كانوا من عناصر متباينة، فقد تولى الحجابة من العنصر الصقلبي جعفر بن عبد الرحمن الصقلبي الذي كان حاجباً للخليفة الحكم المستنصر[2]، وواضح الصقلبي الذي كان حاجباً للخليفة المهدي، ثم هشام المؤيد[3].

وكان للبربر نصيب في منصب الحجابة، إذ تولى جعفر بن عثمان المصحفي الحجابة للخليفة الحكم المستنصر، ثم تقلدها للخليفة هشام المؤيد[4].

وقد أثارت حجابة المصحفي للخليفة هشام المؤيد حفيظة وحسد بعض الأسر العريقة في الأندلس التي اعتادت تقلد المناصب العليا في الدولة، كما كان في عصر الإمارة، فكانت هذه الأسر راضية عن عزل الحاجب المصحفي المشار إليه آنفاً من منصبه، كما أنها أزرت تولى محمد بن أبي عامر الحجابة بدلاً منه، ولقد أشارت بعض المصادر إلى تواضع نسب الحاجب المصحفي، وبانه وصل أعلى المناصب في الدولة دون أن يكون له سابقة في النسب، فلقد كان قد «بلغ المنتهى .. دون مجد، ولا فخر، فسما دون سابقة، وارتقى إلى رتبة لم تكن له .. مطابقة»[5].

وكان هؤلاء الوزراء قد أعانوا محمد بنّ أبي عامر على تولية الحجابة،

(1) بدائع ، ص٣٥١ .

(2) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص .

(3) المراكشي، المعجب، ص٨٩ .

(4) هو جعفر بن عثمان بن نصر بن قوي بن عبدالله بن كسيلة، وهو من بربر بلنسية وينتمي إلى قبيلة قيس بالمحالفة. ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ٢٥٧؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٥٤.

(5) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٥٥.

إذ أخذتهم العصبية حتى قيل: «وإن لم تكن حمية إعرابية، فهي سلفية سلطانية»[1].

أما الأسرة العامرية المعافرية، التي توالت على منصب الحجابة من (٣٦٧-٣٩٩هـ/ ٩٧٧-١٠٠٩م) وهم محمد بن أبي عامر، وولديه عبد الملك (المظفر)، وعبد الرحمن (شنجول)[2]، فترجع بنسبها إلى حمير[3]، وأصل ابن أبي عامر من الجزيرة الخضراء[4]، وأمه من بني تميم وتدعى بريهة بنت يحيى بن زكريا التميمي المعروف بابن البرطال[5]، وقيل عن نسبه بأنه «شريف البيت، قديم التعيين»[6]، ومما قيل فيه من الشعر ما ورد عن شاعر بلاط المنصور أحمد بن دراج القسطلي الذي قال فيه:

تلاقت عليه من تميم ويعرب   شموس تلألا في العُلا ويُدورُ

من الحميريين الذين أكفّهم   سحائب تهمي بالنّدى وبُحورُ[7]

رسوم الحجابة :

يجري عادةً تعيين الحاجب وفق ترتيب معيّن. حيث يتوجه الوزير المراد تقليده هذا المنصب إلى قصر الخلافة، فيخلع عليه الخليفة، ثم يتقلد الحجابة، ويجلس مجلساً عاماً، يدخل إليه كبار الشخصيات ليبايعونه، ويتلقى التهاني[8]. فقد «استقدم السلطان غالباً (الناصري) وقلده خطة الحجابة مشتركاً

---

(١) ابن خاقان، مطمح، ص ١٦١.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب، ص ٤١٩؛ الحميدي، جذوة المقتبس، جـ١، ص ١٣٢؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ٢٧٥؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص ٢٠٢.

(٣) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص ١٣٢-١٣٣؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ٢٧٥.

(٤) ابن الأبار، المصدر نفسه، جـ١، ص ٢٦٨.

(٥) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص ١٣٢؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ٢٧٥.

(٦) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص ٢٠٣.

(٧) ابن خاقان، مطمح، ص٢٩٠؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ٢٧٥.

(٨) ابن عذاري، المصدر نفسه، جـ٢، ص٣٨؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٩٠.

مع جعفر»[1]، وعندما تولى عبد الملك الحجابة، وخلع على عبد الملك[2].

وبعد وفاة الحاجب المظفر، ركب شنجول إلى قصر الخليفة فدخل إليه وأخذ بيده فعزاه الخليفة في أخيه، وأقام عنده برهة ثم انصرف وقد خلع عليه خلعاً سلطانية وقلده الحجابة، وجلس مجلساً عاماً ودخل الأعيان من كل طبقة يبايعونه[3].

ثم يتم اصدار الكتب الخاصة بالتقليد وإرسالها إلى جميع الكور والأقاليم[4]، فقد خلع الخليفة المؤيد على عبدالملك ابن أبي عامر «وكتب له السجل بولاية الحجابة»[5]، «واخرج معه كتابه بولاية الحجابة مكان أبيه وقرىء على الكافة، وأنشىء به الكتب إلى الأقطار»[6]، وعندما تقلد عبدالرحمن شنجول منصب الحجابة اجريت له الرسوم ذاتها حيث أصدر له كتاب التقليد بالحجابة[7]، وعندما تولى عبدالرحمن شنجول خطة الحجابة لابنه عبدالعزيز أصدر مرسوماً بذلك «فرسم هذا الطفل بالحجابة بقية مدة أبيه»[8].

ومن الترتيبات الخاصة بالحاجب، أن مكان جلوسه يرتفع عن بقية الوزراء فيجلس على منضدة مرتفعة مصنوعة من الخز، وهذه المنضدة أعلى ارتفاعاً من فرش الوزراء، إذ يكون الحاجب مميزاً عنهم في ذلك الترتيب[9]، وأشار ابن بسام إلى أن الحاجب المصحفي عندما تقلد الحجابة للخليفة هشام المؤيد «... رفع فراشه فوق فراش الوزراء أصحابه، وأبدل بالكتان الديباج على سالف العادة»[10] وعندما اشترك غالب الناصري في منصب الحجابة مع

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق٤ م١، ص٦٥ .
(2) المصدر نفسه، ق٤ م١، ص٧٨ .
(3) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٢٨ .
(4) انظر: النوري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٠٧ .
(5) المقري، نفح، م٣، ص٩٤.
(6) ابن بسام، الذخيرة، ق٤ م١، ص٨٠ .
(7) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٩٠ .
(8) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٤٧.
(9) ابن بسام، الذخيرة، ق٤ م١، ص٥٩.
(10) المصدر نفسه، ق٤ م١، ص٥٩.

المصحفي، جعل فراشه في صدر المجلس، وعن يمينه الحاجب جعفر المصحفي، وعن يساره محمد بن أبي عامر ذو الوزارتين[1].

ومنذ أن يتولى الحاجب منصبه، يتوجه يومياً إلى قصر الخليفة للجلوس معه ومع جميع الوزراء، ويرفع للخليفة تقارير مفصلة عن أعماله اليومية، وما يحصل من مستجدات[2].

ويكون سير الحاجب إلى القصر يومياً ضمن موكب كثيف يرافقه بعض كتابه «على جناحي الموكب والناس يحفون به في الطرق والسكك للنظر إليه والسلام عليه»، وتسليمه رقاعاً تتناول مطالبهم[3].

ومن ضمن الترتيبات التي يشارك فيها الحاجب أن يحجب الخليفة عند قعوده لسلام الأجناد، والوفود، والأطراف، ورسل الأمم، وأصحاب الخيل والمدينة، والشرطة العليا والوسطى على مختلف مراتبهم[4].

واحتفظ الحاجب في ترتيب معين أثناء الأعياد (الفطر والأضحى)، ففي شوال سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م، جلس الخليفة الحكم المستنصر بالله بعد انقضاء صلاة العيد، لتسليم الجند عليه، في محراب المجلس الشرقي من قصر الزهراء «...فكان صدر المجلس الإخوة، وجنباته الوزراء، وحجب الخليفة يومه هذا عن يمينه صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان ... »[5].

وفي سنة ٣٦١هـ/٩٧١م كان ترتيب الحاجب في عيد الفطر بأن «قعد الخليفة المستنصر بالله للتهنئة على العادة، فوق السرير في المجلس الشرقي[6]... وقامت المراتب والتهيئات والتعبئات في نهاية التمام... وشهد الإخوة فقعد منهم

---

(١) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٥٩.

(٢) أبو ارميلة، نظم، ص ٥٥.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق٤ م١، ص٦٧؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧١؛ جـ٣، ص٢٨.

(٤) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٣٣.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٢، ٣٠.

(٦) المجلس الشرقي : هو أحد أجنحة قصر الزهراء، وكان الخليفة يقيم فيه الاحتفالات والاستقبالات، ويسمى المجلس المؤنس، وبهو السفراء. ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٨، حاشية (١) .

عن ذات اليمين كبيرهم أبو الأصبغ عبد العزيز ، وعن اليسار أبو القاسم الأصبغ، وقعد الوزراء بأثرهم بعد فرجة وحجب الخليفة عن يمينه صاحب المدينة بقرطبة -حاجبه- جعفر بن عثمان»[1].

وحصل مثل هذا الترتيب السابق سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م لعيد الفطر إذ قعد الخليفة الحكم المستنصر على السرير في المجلس الشرقي المشرف على الرياض بقصر الزهراء أفخم قعود وأكمله ترتيباً وأذن للناس فتوصل أولهم الإخوة وقدموا التهنئة وقعدوا حسب الترتيب المخصص لهم وتلاهم الوزراء فقعدوا بعد التسلم على مراتبهم بأثر الإخوة وحجب الخليفة عن ذات اليمين الويزر الكاتب صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان والحجاب عن ذات اليسار صاحب الخيل والحشم زياد بن أفلح[2].

كما حجبه عن اليسار في عيد الأضحى سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م[3] صاحب المدينة جعفر بن عثمان وتحته صاحب الشرطة العليا محمد بن سعيد[4]، وكذلك يشارك الحاجب ضمن ترتيب معين في استقبال موكب الخليفة، فقد قبّل المصحفي الأرض بين يديه وحجب له في قصر الناعورة عندما قام الخليفة المستنصر بزيارتها[5].

ورافق الحاجب المنصور الخليفة هشام المؤيد عندما اخرج الأخير للناس في ركبته المشهورة ضمن موكب سار فيها الجند، وشاهد الموكب خلق عظيم[6].

ولم يختلف الترتيب في حالة استقبال الرسل والوفود، فكان جلوس الحاجب إلى يسار الخليفة المستنصر في استقبال بون فلي (Bon fill) بن سندريط (Sinderdo) رسول بريل (Borell) بن شنير (Sunier) حاكم إمارة برشلونة سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م[7]، كما حجب المصحفي الخليفة في حفل استقبال

(١) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٨١ .

(٢) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص١١٩.

(٣) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٩٤، ص١٨٤.

(٤) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص ٨١، وانظر: ص ١٣٦، ٢٣٠.

(٥) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص ٢١٢.

(٦) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠١ .

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٢٠، ٢١، ٢٢.

جعفر ويحيى أبناء علي بن حمدون[1]، وكذلك حافظ على نفس الترتيب في استقبال الخليفة المستنصر للقائد غالب بن عبد الرحمن الناصري سنة ٩٧٤/٣٦٤م[2].

ومنذ أن تقلد محمد بن أبي عامر المنصور الحجابة، اختلف ترتيب الحاجب حيث انتقل مركز الدولة من مدينة الزهراء، التي هي مقر الخليفة إلى مدينة الزاهرة التي بناها المنصور لنفسه، ونقل إليها جميع الخطط والدواوين وحجر على الخليفة هشام المؤيد. ثم أخذ يتلقب بالألقاب السلطانية ودُعي له على المنابر، استكمالاً لرسوم الدولة، فكانت الكتب تصدر عنه[3].

وظهرفي عهد الحاجب المنصور ترتيبات جديدة منها تقبيل يد الحاجب إذ «أخذ الوزراء بتقبيل يده، ثم تابعهم على ذلك وجوه بني أمية، فكان من يدخل عليه من الوزراء وغيرهم يقبلون يده ... فانقاد لذلك كبيرهم وصغيرهم»[4].

ومن ضمن هذه الترتيبات الجديدة أيضاً، أن أصبحت مدينة الزاهرة محط استقبال الرسل والوفود، فاستقبل الحاجب المنصور الملك الإسباني شانجه (Sancho)، فجلس لهم أفخم جلوس، وأعلى مرتبة، وأحاط سريره الوزراء وأعاظم رجال الدولة، واصطف الوصفاء والصقالبة صفين من باب المجلس إلى باب القصر لاستقبال الملك الضيف، ولما وقعت عينه على المنصور «أهوى إلى الأرض مقبلاً لها ... وقبل رجليه ويديه ... »[5].

ثم ازدادت هيبة الحاجب، فكان يرافقه أثناء سيره الوزراء والقضاة وكبار الشخصيات في الدولة، فقد كان الوزراء وكبار الشخصيات يرافقون الحاجب المنصور في غزواته[6] ، ويذكر النويري بمناسبة تقلد الحاجب شنجول

---

(١) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص ٥٠، ٥١.

(٢) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص ١٩٨.

(٣) المقري، نفح، م١، ص٣٩٧ .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٧٢.

(٥) ابن الخطيب، أعمال، جـ٢، ص ٧٣-٧٤.

(٦) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٦٣ .

ولاية العهد: «رافقه سائر أهل الخدمة بسلاحهم والوزير قاضي الجماعة والفقهاء والعدول وأصحاب الشرطة ووجوه الناس على طبقاتهم .. »[1]. كما رافق شنجول الجند والغلمان في مواكب توجهه إلى قصر الخليفة[2]، وعندما يتوجه الحاجب إلى الغزو تجري رسوم خاصة لذلك، فقد قام الحاجب عبد الملك المظفر بترتيب عقد الألوية أثناء سيره في غزوته الأولى إلى شمال الأندلس. «وركب عبد الملك إلى المسجد الجامع بحضرة قرطبة لشهود عقد الألوية لهذه الغزاة على عادة أمراء الأندلس قبله يوم الجمعة.. ثم خرج الحاجب عبد الملك يوم الاثنين... فكان خروجه على باب الفتح الشرقي من أبواب مدينة الزاهرة ، وقد اجتمع الناس لرؤيته وقد اصطفت القواد والموالي والغلمان الخاصة في أحسن تعبئة وقد تكنفه الوزراء الغازون معه»، وتجري مراسم استقبال للحاجب بعد عودته من الغزو ، ففي سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م استقبل كبار أهل قرطبة الحاجب عبد الملك بعد عودته من الغزو، وجلس للتهنئة في اليوم الثاني ودخل الناس عليه على مراتبهم أولهم كبار قريش من بيت الخليفة، ثم القضاة والحكام والفقهاء وأهل العدل ثم وجوه أهل الأرباض والأسواق من أهل قرطبة ثم الشعراء والأدباء الذين يقدمون قصائد بين يد الحاجب[3].

تعيين الحاجب :

أشارت الدراسة إلى أن الحاجب أهم شخصية في الدولة بعد الخليفة، يتم تعيينه من قبل الأمير أو الخليفة فقط، وفق مرسوم خطي يصدر منهما[4].

وفي عهد عبد الرحمن الناصر تقلد منصب الحجابة بدر بن أحمد (ت٣٠٩هـ/٩٢١م)[5]، ثم موسى بن حُدير (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م)، وبعد وفاة الأخير لم

(١) نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٤٠٧-٤٠٨.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص ٤٠.

(٣) المصدر نفسه، جـ٣، ص ٥٠.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ١٦٦؛ انظر أيضاً: التهامي، نظم وإدارة بني أمية، ص ٣٦٦-٣٦٧.

(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٥٨ .

يتخذ الخليفة الناصر حاجباً له إذ حصر جميع السلطات في يده[1].

وحجب للخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) جعفر بن عبد الرحمن الصقلبي، ثم جعفر بن عثمان المصحفي، الذي رشح ثانية لحجابة الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٩م)، وهو «وزير أبيه الأخص»[2].

ويبدو مما سبق تقليد الحاجب لهذا المنصب عدة مرات ولأكثرَ من خليفة، وسبق أن حدث هذا في عصر الإمارة[3].

وقد طرأت تطورات على تعيين الحاجب، حين عين الخليفة أكثر من حاجب في آنٍ واحدٍ، فقد قلد الخليفة هشام المؤيد الحجابة أولاً للحاجب المصحفي، ثم عين إلى جانبه غالب الناصري القائد الأعلى للجيش في الثغور، ثم عزل المصحفي، ليتولى الحجابة مكانه محمد بن أبي عامر «باتفاق الرأي»[4].

وبتولي محمد بن أبي عامر الحجابة، بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الأندلس السياسي، كما طرأت تطورات جديدة على منصب الحجابة، فأشارت إليها بعض المصادر بمرحلة استبداد الحاجب بالخليفة، حيث شاركه في كثير من الشارات[5].

ويتضح مما أوردته النصوص أن منزلة الحاجب المنصور علت كثيراً أثناء حجابته للخليفة هشام المؤيد، فأصبح تعيين خليفته على الحجابة بيده، بعد أن كان في السابق مقتصراً على الخليفة وحده، فقد تخلى الحاجب المنصور عن الحجابة -بعد أن تلقب بالمنصور- إلى ابنه عبد الملك المظفر سنة ٣٨١هـ/٩٩١م وعقب وفاة المنصور سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م أقر الخليفة هشام المؤيد ابنه عبدالملك في منصب الحجابة، وخلع عليه بالحجابة، وأصدر كتاباً بولايته، ثم أرسلت نسخٌ منه إلى أنحاء الأندلس والمغرب[6].

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص.٢١٠-٢٤٣ .

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٥٤.

(٣) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٣٥ .

(٤) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٤٠٢.

(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٧٢، ٢٧٦.

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص ٧٨؛ ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص ٣؛ المقري، نفح، م٣، ص٩٤.

وبعد وفاة الحاجب عبد الملك المظفر، خلع الخليفة على أخيه عبد الرحمن ابن أبي عامر، الملقب بشنجول خلعاً سلطانية، وقلده الحجابة[1].

ويبدو أن تسلط الأسرة العامرية، أدى إلى أن تُعيد الأسرة الأموية في الأندلس النظر في منصب الحجابة، وذلك بالإطاحة بالأسرة العامرية، وعزل الخليفة هشام المؤيد، فعندما تولى الخلافة محمد بن هشام بن عبد الجبار (المهدي) سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م قام بتعيين ابن عمه عبد الجبار بن المغيرة حاجباً له[2]، إلا أن حجابته لم تستمر طويلاً، وقيل إنه عين ابن عمه محمد بن المغيرة حاجباً له[3].

وبسبب قيام الفتنة واستمرار الحرب بين المهدي والمستعين وأنصار كل منهما، أعلن المهدي عن إعادة الخليفة السابق هشام المؤيد إلى الخلافة، وتنصيب نفسه حاجباً له[4]. وما كان هذا إلا خطة لتهدئة الأوضاع، حيث تولى الخلافة للمرة الثانية وقلد حجابته إلى واضح العامري سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، الذي سيطر على المهدي وقام بقتله[5]، كما سيطر البربر على الخليفة المستعين للمرة الثانية[6].

عزل الحاجب :

تعرض الحاجب في الأندلس إلى العزل من قبل الأمير أثناء عصر الإمارة لأسباب متعددة، ولا يجوز لأية شخصية أخرى أن تقوم بعزله، فلا يتم العزل إلا بأمر من الأمير أو الخليفة فقط وذلك لأهمية وحساسية هذا المنصب.

وقد تعرض بعض الحجاب في عصر الإمارة إلى العزل من قبل الأمير ضمن مرسوم يصدر بهذا الشأن.

ومن النصوص التي أوردتها بعض المصادر، يتضح أن طريقة عزل الحاجب

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص ٣٨؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٩٠.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٥٩؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ١١٠.

(٣) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٢، ص ٤٠٣.

(٤) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٤٢١؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٨٩.

(٥) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ١١٦-١١٨.

(٦) المصدر نفسه، ق٢، ص ١١٨؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ١١٤.

تتم أن يصدر الخليفة مرسوماً يأمر فيه بعزل الحاجب المعني[1].

وفي عصر الخلافة تعرض الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي إلى النكبة في بداية عهد الخليفة هشام المؤيد سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، بعد أن حجب له مدة ستة أشهر ووجه للحاجب المصحفي تُهماً متعددةً[2]، ثم على أثرها عزله من منصبه سنة ٣٦٧هـ/١٩٧٧م، إذ تمت محاكمته أمام مجلس الوزراء الذي انعقد لهذا الشأن وترأسه الحاجب محمد ابن أبي عامر، وكان المصحفي يحضر إلى المجلس تحت حراسة عسكرية مشدّدة، وقد وجهت إليه تهمٌ متعددةٌ منها مطالبته بالأموال[3] التي بلغت مائة ألف دينار[4]. كما طُولب بأموال الحاجب السابق جعفر الصقلبي فقد اتهم بأنه استحوذ عليها[5]، وأنكر المصحفي جميع التهم التي وجهت إليه[6].

وأشار البعض إلى أن الخليفة هشام المؤيد أمر بالقبض عليه وعلى ولده محمد، وعلى ابن أخيه هشام بعد أن عزلهم عن جميع وظائفهم وطالبهم بالأموال[7]، وكان ابن أخي المصحفي هشام قد قام بسرقة رؤوس النصارى التي كانت بحوزة جيش محمد بن أبي عامر أثناء غزوته الثالثة، وعندما تولى الأخير الحجابة بادر إلى سجنه، وقتله منتقماً لنفسه منه[8].

تعرض الحاجب المصحفي إلى الإذلال من قبل المنصور محمد بن أبي عامر الذي نكل به، فكان يأخذه معه مقيداً في حملاته العسكرية ليس معه مالٌ ولا زاد، حتى أنّ البعض شاهده وهو يأكل دقيقاً مخلوطاً بالماء ليسد به رمقه[9].

(١) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ١٣٩، ١٤٠؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٦٧.
(٢) ابن عذاري، المصدر نفسه، جـ٢، ص ٢٦٧.
(٣) ابن خاقان، مطمح، ص ١٦٣؛ المراكشي، المعجب، ص ٧٠؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠١؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٩؛ المقري، نفح، م٥، ص٧٧.
(٤) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٤٠٣.
(٥) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص ٦٧-٦٨.
(٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٦٩.
(٧) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص ٢٠١؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص ٢٦٧.
(٨) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص ٦٦.
(٩) المصدر نفسه، ق٢، م١، ص٦٧؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧١؛ المقري، نفح، م١، ص ٦٠٢.

واستمرت نكبة المصحفي عدة سنوات يحبس تارةً ويطلق سراحه تارةً أخرى، وهو في جميع الحالات يخضع للمساءلة والمطالبة والتعذيب[1]، وأحياناً كان المنصور يسلمه نيابةً عنه إلى القائد غالب الناصري، ليقوم بإهانته وتعذيبه[2].

ورغم قصائد الاستعطاف التي بعث بها المصحفي من السجن إلى الحاجب المنصور ليعفو عنه، إلاّ أنّ الأخير لم يأبه له، بل استمر في ذلك وبالغ بالمزيد من أشكال تعذيبه، ومن قصائده هذه الأبيات:

هبني أسأت فأين العفو والكرم	إذ قادني نحوك الإذعان والندم
يا خير من مدّت الأيدي إليه أما	ترثي لشيخ رماه وعندك القلم
بالغت في السخط فاصفح صفح مقتدر	إنّ الملوك إذا ما استرحموا رحموا[3]

ووصل الحاجب المصحفي أثناء نكبته إلى درجة من الهلع والجزع، فأرسل إلى المنصور يطلب منه أن يقعُد في دهليزه معلماً لأولاده، مما أثار غضب المنصور الذي قال: «إن هذا الرجل يريد أن يحط من قدري عند الناس، لأنهم طالما رأوني بدهليزه خادماً فكيف يرونه الآن في دهليزي معلماً؟[4]».

ولما فقد المصحفي الأمل في عفو المنصور عنه هجاه بالقول:

لا تأمنن من الزمان تقلباً	إن الزمان بأهله يتقلبُ
حسب الكريم مذلةً ونقيصةً	ألاّ يزال إلى لئيم يطلبُ[5]

(1) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠١؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٦؛ المقري، نفح، م٣، ص٩٠.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٦؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠١.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٩؛ المقري، نفح، م١، ص٤٠٧-٤٠٨؛ محمد النيفر، عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد الأندلسية من عالم أديب، ٢ج، تذييل واستدراك علي النيفر، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٦، جـ١، ص٩٥. وسيشار إليه تالياً: النيفر، عنوان الأريب؛ محمد محمود يونس، ما تبقى من شعر الحاجب المصحفي، مجلة كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، عدد ١٢، ١٩٨٥، ص١٩٦. وسيشار إليه تالياً: يونس، ما تبقى من شعر المصحفي.

(4) المقري، نفح، جـ٣، ص٦٢.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٩؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٢.

وكانت وفاة المصحفي في السجن المعروف ببيت البراغيث وقيل أنه دست إليه شربة مسمومة، وقيل قُتِلَ خنقاً، وأخرج ميتاً، وسلم إلى أهله، في أقبح صورة[1]، وعدّه الناس من قتلى المنصور محمد بن أبي عامر[2]، وكانت وفاته سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م[3].

أعقب مقتل الحاجب المصحفي، فتور العلاقة بين الحاجب محمد بن أبي عامر وشريكه في الحجابة غالب الناصري، وقد لخص أحد المؤرخين سياسة المنصور بانه كان آية من آيات الله فطنةً ودهاءً ومكراً وسياسةً عدا بالمصاحفة على الصقالبة حتى قتلهم، ثم عدا بغالب على المصاحفة حتى قتلهم، ثم عدا بجعفر على غالب حتى تخلص منه، ثم عدا بحتفه على جعفر حتى قتله، «ثم انفرد بنفسه، ينادي صروف الدهر هل من مبارزٍ؟»[4]. وبعد قتال سجال بين المنصور والقائد غالب مات الأخير بسرج فرسه[5].

أما الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، فقد توفي بسبب المرض سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م[6] بعد عودته من غزو قشتالة ودفن في مدينة سالم[7]، ونقش على قبره:

آثارُهُ تنبيك عن أخبـــاره	حتى كأنك بالعيان تـــراهُ
تالله لا يأتي الزمان بمثـــلهُ	أبداً ولا يحمي الثغور سواهُ[8]

وذكرت دراسة حديثة أن المنصور توفي متأثراً بجراحه معتمدةً على

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٦؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٠؛ المقري، نفح، م٣، ص٩٠.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٦٧؛ المراكشي، المعجب، ص١٨٥.

(٤) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٧٧.

(٥) ابن حزم، نقط العروس، جـ٢، ص٩٤-٩٥.

(٦) المقري، نفح، م٣، ص٩٣-٩٤.

(٧) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٨٠.

(٨) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٣٠١؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٠٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص١٠٨.

المثل الإسباني القائل: «مات المنصور وفقد طبله»[1]. وقيل «مات وهلك وأن قبره في جهنم وبئس الصير»[2]، وقال آخر أن جيش المنصور تعرض للهزيمة قرب قلعة النسر، ومات بعدها المنصور بقليل[3].

أما الحاجب المظفر الذي استمر في الحجابة مدة سبع سنوات[4]، فهو كوالده المنصور لم يتعرض للعزل، بل اختلفت الآراء في سبب وفاته فقيل أنه مات بسبب المرض[5]، وقيل مات بالسم[6]، بشربة دُسَّت له من قبل أخيه الناصر عبد الرحمن (شنجول)[7]، وقيل سمَّه عن طرق تفاحة أكلها[8]. وقيل لقد أدت وفاة الحاجب المظفر بالسمّ سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م إلى انتقام والدته له من أخيه شنجول الذي اتُّهِم بقتله، فقد حرضت السيدة الذلفاء أفراداً من الأسرة الأموية على المطالبة بحقوقهم واعدةً إياهم بالوقوف إلى جانبهم ودعمهم مادياً ضد الحاجب شنجول وذلك بعد أن تمت مبايعته بولاية العهد[9].

وأدت المبايعة الأخيرة للحاجب شنجول إلى إثارة غضب الأمويين، فاستغل محمد بن هشام بن عبد الجبار، غياب الحاجب عن قرطبة، فقام بثورته على الأسرة العامرية، وتمكن من عزل الخليفة هشام المؤيد والإطاحة بالأسرة العامرية سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م، وأعلن نفسه خليفةً ولُقب بالمهدي.

أما الحاجب شنجول فبعد عودته إلى قرطبة ليتدارك الثورة التي قامت فيها، أرسل إليه الخليفة المهدي حاجبه ذري، فقبض عليه[10]، وأمره بتقبيل حافر

---

(١) العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٦٦.

(٢) هـ. أ. ل. فشتر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ٢ق، ترجمة محمد مصطفى زيادة وآخرون، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٩٦، ق٢، ص٣٩٠.

(٣) مؤنس، معالم، ص٣٤٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص٣٧٠.

(٥) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١٨٩.

(٦) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٣٧.

(٧) ابن عذاري، المصدر نفسه، جـ٣، ص٣٧؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤١٦-٤١٧.

(٨) ابن الأثير، الكامل، م٧، ص٣٧٠.

(٩) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١٠٩.

(١٠) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٧٢؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤١٦-٤١٧.

فرسه، ورجله ويده، ثم قتله ذبحاً [1]، فحملت جثته إلى القصر بقرطبة، فأمر الخليفة المهدي بشق بطنه، ونزع أحشائه، وحُشي بعقاقير تحفظه، ثم طيف برأسه على قناة، ووقف به على رأس السدة، وكُسي قميصاً وسراويل، وأُخرجَ فصُلب على خشبة على باب السدة، وأمر صاحب شرطة شنجول أن ينادي هذا شنجول المأمون ثم يلعنه ويلعن نفسه، وكانت ولاية شنجول أربعة أشهر وأياماً [2].

أما واضح العامري حاجب الخليفة هشام المؤيد أثناء خلافته الثانية (٤٠٠هـ)، فقد فشل في رد اعتداءات البربر عن قرطبة مما دفعه إلى جمع الأموال ومحاولة الهرب، فكان مصيره أن قُتل من قبل جنده إذ زحف إليه علي بن وداعة في عدد من الجند، فأخرجوه من داره، وعاتبه على ما أتلف من الأموال، ومحاولته عقد صلح مع البربر، ثم قام إليه ابن وداعة فضربه بالسيف، فحمل عليه الجند، فقتلوه وحزوا رأسه، وطافوا به قرطبة، وألقوا جسده على الرصيف[3].

ويتبين مما سبق أن الحُجّاب في عصر الخلافة تعرضوا لمؤامرات دُبِّرت ضدهم، فقد تعرض كل من الحاجب المصحفي وشنجول إلى العزل ثم القتل، وكذلك قتل واضح العامري وخيران العامري، بينما مات المنصور وابنه المظفر بالمرض على الأرجح[4].

ألقاب الحاجب :

أُطلِقَ على من يتقلد منصب الحجابة لقبُ الحاجب، وقد انفردت الدولة الأموية بالأندلس في هذا اللقب من حيث المفهوم عن بقية الدول الإسلامية

---

(١) النويري، المصدر نفسه، جـ٢٣، ص٤١٦.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٧٣-٧٤؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص ٤١٦-٤١٧.

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١٠٤-١٠٥.

(٤) المراكشي، المعجب، ص٨٢، ٨٦ .

الأخرى في المشرق، رغم وجود موظف آخر في الأندلس، يحمل لقب الحاجب، وهذا الموظف الثاني هو في الأصل امتداد للحاجب الأموي والعباسي في المشرق، إذ يقوم بنفس المهام المُناطة بنظيره في المشرق.

وقد أشارت بعض المصادر إلى أن الحاجب في الأندلس هو وزير الدولة[1]، ويتم اختياره من بين مجموعة الوزراء، ليكون الرئيس لهم، وهو أعلاهم مكانةً خاصة وأن هذا المنصب أرفعُ المناصب وأشرفُها في الأندلس[2].

والحاجب في الأندلس بمثابة النائب[3] فقد أطلق عليه الوزير[4] والحاجب[5]، وكذلك سيف الدولة، ولقب بهذا اللقب الأخير الحاجب جعفر الصقلبي الفتى الكبير الناصري[6].

ويظهر من الحوار الذي دار بين صقالبة القصر بعد وفاة الحكم المستنصر مباشرة ما يفيد بأن الحاجب كان يطلق عليه لقب شيخ الدولة[7] ومدبر المملكة[8]. أما الدراسات الحديثة فاعتبرته بمثابة رئيس الوزراء كما هو في الوقت الحاضر[9].

استمر لقب الحاجب في الأندلس خلال عصري الإمارة والخلافة، وتنافس الوزراء للوصول إلى هذا اللقب.

ويتضح مما أوردته النصوص أن تطورات جديدة طرأت على منصب الحجابة خلال حقبة عصر الخلافة خاصة عصر الخليفة هشام المؤيد الذي استبد به حاجبه محمد بن أبي عامر، حتى أطلقت بعض المصادر على الحقبة التي حجب

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥٣.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، جـ١، ص٢٩٨-٢٩٩؛ انظر: Imamuddin, Muslim Spain, P.48

(٣) المقري، نفح، م١، ص٢١٦.

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٣٧، ٢٥٠؛ المقري، نفح، م١، ص٢١٦.

(٥) المقري، المصدر نفسه، م١، ص٢١٦.

(٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٣٣، ٢٣٤.

(٧) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٥٨.

(٨) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٠٣.

(٩) عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٦٨٥؛ أبو ارميلة، نظم الحكم، ص٧٨؛ مؤنس، معالم، ص٢٣٩؛ العبادي، في التاريخ العباسي، ص٤٣٨.

خلالها هو وابناه عبد الملك وعبد الرحمن (شنجول) اسم الدولة العامرية، وفترة الاستبداد العامري.

وفي هذا الصدد أشار ابن خلدون إلى أن عصر الاستبداد على الدولة اختص فيه الحاجب محمد بن أبي عامر بمنصب الحجابة هو وأبناؤه لعلو شرفها[1].

حقق الحاجب محمد بن أبي عامر كفاءة إدارية عالية في إدارة أمور الدولة، بالإضافة إلى أنه حقق بانتصاراته على الممالك الإسبانية في الشمال دوياً في قرطبة، ارتفعت من خلالها مكانته بين الخاصة والعامة، خاصة بعد انتصاره سنة ٣٧١هـ/٩٨١م في غزوة ليون.

واتخذ الحاجب محمد بن أبي عامر الخطوة الأولى في سبيل الوصول إلى السلطة، فقد أجمعت كثير من المصادر على أنه في سنة ٣٧١هـ/٩٨١م، تلقب محمد بن أبي عامر بلقب الحاجب المنصور[2]، فأقام الهيبة ودانت له أقطار الأندلس دون أي اضطراب[3]، وقد ذهب الصفدي إلى القول أن محمد بن أبي عامر هو مدبر المملكة وذكر لقبه المنصور[4].

ويتضح أن لقب المنصور أصبح نافذاً للعمل بمقتضاه، وأرسلت الكتب إلى الكور والأقاليم للتقيد بمضمونه والدعاء للحاجب المنصور على المنابر استكمالاً لرسوم الملوك، وأصبحت الكتب تصدر على هذا النحو: «من الحاجب المنصور محمد ابن أبي عامر إلى فلان»[5].

---

(١) المقدمة، تحقيق خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، ١٩٨٨، جـ١، ص٢٩٩. وسيشار إليه تالياً: ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر.

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص١٣١-١٣٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٠٦؛ المراكشي، المعجب، ص٧٤-٧٥.

(٣) الضبي، بغية الملتمس، ص١١٥-١١٧؛ المراكشي، المعجب، ص٧٤-٧٥.

(٤) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٨ج، باعتناء محمد الحجيري، ط٢، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٧، جـ١٢، ص١٢١. وسيشار إليه تالياً: الصفدي، الوافي.

(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٩.

وترتب على هذا اللقب الملكي أن أمر المنصور بأن يُحَيّا بتحية الملوك[1].

واستجدت مراسيم جديدة، فكان الوزراء وكبار الموظفين يقبلون يده ويناودنه بـ «يا مولاي» عند مخاطبته والتحدث معه، وقد انقاد لهذا الترتيب الكبيرُ والصغير[2]، واجتمعت حوله مظاهر الأبهة والملكية وشارك الخليفة في شارات الخلافة السكة والخطبة[3]. وأخذ الشعراء يسبغون عليه لقب الملك المنصور، فقال فيه صاعد البغدادي:

يا أيها الملك المنصور من يمن   والمبتني نسباً غير الذي انتسبا[4]

وقال فيه الشاعر المعروف بالبلينة:

مولاي مولاي أمـــا أن أن   تريحني الأيـام من هجركــــا[5]

ويبدو أن الحاجب محمد بن أبي عامر لم يكتفِ بلقب المنصور ولم يُرضِ طموحه، فاتخذ سنة ٣٨١هـ/٩٩١م خطوة ثانية لدعم سلطته الملكية، فتنازل عن خطة الحجابة والقيادة العليا وسائر الوظائف التي يقوم بها لابنه عبد الملك، والأخير لم يتجاوز الثامنة عشرة من العمر وأمر أن يحيّا بتحية الملوك، واقتصر محمد بن أبي عامر على التسمي بـ (المنصور)، وصدرت الكتب بهذا اللقب فقط، وبذلك يقول ابن عذاري أنه في سنة ٣٨١هـ/٩٩١م ترك اسم الحجابة واقتصر على التسمي بالمنصور وأن يكتب «من المنصور أبي عامر (وفقه الله) إلى فلان»[6].

---

(١) المقري، نفح، م١، ص٣٩٧-٣٩٨.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٩.

(٣) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٠٥؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٤٨؛ المقري، نفح، م١، ص٣٩٧-٣٩٨؛ سادسة حلاوي، مدينة الزاهرة وإمارة ابن أبي عامر المعافري في الأندلس (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٨م)، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، ١٩٨٦، ص١٢٧. وسيشار إليه تالياً: حلاوي، مدينة الزاهرة؛ عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٤١-٥٤٢؛ العكش، النقود الإسلامية، ص٣٨ .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٧.

(٥) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص١٨٥؛ انظر: ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٨٥.

(٦) البيان، جـ٢، ص٢٩٣؛ المقري، نفح، م١، ص٣٩٧؛ انظر: عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٥٣؛ مؤنس، معالم، ص٣٤٢؛ أبو ارميلة، نظم الحكم، ص٦٤؛ محمد قجة، المنصور الأندلسي، ط١، دار الحوار، اللاذقية، ١٩٨٤، ص٣٣. وسيشار إليه تالياً: قجة، المنصور.

وعلى أثر ذلك لقب ابنه عبد الملك بالحاجب. وأضاف أنه: «حذف اسم الحجابة ويذكر اسم ولده عبد الملك بخطة الحجابة والقيادة العليا، وسائر خطط المنصور، سلم فيها لابنه عبد الملك، وصحت له الحجابة من يومئذ»[1].

أما الخطوة الثالثة التي اتخذها المنصور في مجال الألقاب فكانت سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م إذ أمر المنصور أن يُخصَّ بألقاب السيادة عن سائر الناس في المخاطبات وأن يرفع ذلك عن سائر أهل الدولة، ونفذت الكتب بذلك وخوطب المنصور من ذلك الوقت بـ «الملك الكريم»[2]، وأضافت دراسة حديثة أنه تم مخاطبته بـ «الملك الكريم المنصور»[3]. واستمر العمل بهذا اللقب طيلة حياة المنصور مع المبالغة في تكريمه وتعظيمه[4]. وخاطب المنصور أيضاً نفسه بالملك ويبدو ذلك من قوله «إن الملك لا ينام إذا نامت الرعية»[5].

ومن هذه الألقاب يتضح أن المنصور كان يتجه إلى أن يجعل نفسه خليفة، ويقيم بيته مكان بيت بني أمية فقد شارك المنصور الخليفة هشام المؤيد بالعبارات نفسها التي توجه للخليفة وهي عبارة «يا سيدي» ولا يفرق بينهما إلاّ عبارة أمير المؤمنين التي خوطب بها الخليفة هشام المؤيد، فقد ذكر النباهي عن محمد بن بقي أنه قال: «قرأت مخاطبة لهما في الكتاب، فكانت مخاطبة المنصور للأمير هشام، أصلح الله أمير المؤمنين سيدي وأبقاه، وأيده بطاعته، وكانت مخاطبته لحاجبه المنصور يا سيدي ومن وفقه الله وعصمه بتقواه»[6].

وحاول الحاجب المنصور التلقب بلقب الخلافة، إلاّ أن محاولاته باءت بالفشل، بسبب معارضة من بعض أهل الحل والعقد، إضافة إلى احترام الناس للخلافة الأموية المنبثقة من البيت القرشي العربي العريق.

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٩٣.

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٩٤؛ انظر: فكري، قرطبة، ص١٠٢.

(٣) مؤنس، معالم، ص٣٤٥.

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٩٤.

(٥) المقري، نفح، م١، ص٤١٦.

(٦) النباهي، المرقبة العليا، ص٧٨.

أمّا عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر، فقد مُنِحَ لقب الحاجب في عهد والده المنصور الذي تنازل له عنها كما أشير آنفاً، وبعد وفاة المنصور احتفظ بهذا اللقب حتى سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م كما أنه آثر التلقب بألقاب ملكية، وداخل الخليفة هشام المؤيد بالأمر على أن يكون منحه لقبَ «المظفر أبي مروان» من مكارم الخليفة له نتيجة انتصار الحاجب عبد الملك[١] في غزوة قلونية[٢]، فأصدر الخليفة مرسوماً بهذا اللقب ذكر أنه كان بخط يده قال فيه «أن سميناك المظفر»[٣]، كما مُنِحَ لقباً آخر هو سيف الدولة[٤].

وتم العمل بما جاء في مرسوم الخليفة، إذ كتب به إلى الأقاليم والكور الأندلسية على هذا النحو «من الحاجب المظفر سيف الدولة أبي مروان عبد الملك ابن المنصور». وقد أشاد الشعراء بألقاب الحاجب عبد الملك المظفر فقال فيه الشاعر الأموي مروان الطليق:

تهْ في الدنيا فمثلك يفخـــر   فأبوك المنصور وأنت مظفـــر[٥]

وقال فيه الشاعر عبد الله بن زياد:

دعاك أمير المؤمنين المظفـــرا   وسماك سيف الدولة المتخيرا[٦]

ويبدو مما سبق أن الاحتفالات تقام في قرطبة بمناسبة منح الحاجب الألقاب الإضافية، فقد أغدق الحاجب المظفرالعطايا والصلات على الشعراء، وتم توزيع الملابس المختلفة على الجنود احتفاءً بهذه المناسبة[٧]، وقال فيه الشاعر

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١٦-١٧؛ انظر : ملحق الدراسة المتعلق بلقب المظفر رقم(٤).

(٢) رجب عبدالحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ص٢٤٩. وسيشار إليه تالياً: عبد الحليم، العلاقات.

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١٧؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ق٢، ص٤٤١؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٨٣.

(٤) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ق٢، ص٤٤١؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٨٣.

(٥) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ق٢، ص٤٤٢.

(٦) المصدر نفسه، ص٤٤٢؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص١٩٨.

(٧) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١٧؛ بالنثيا، الفكر الأندلسي، ص٧٢-٧٣.

(النافار)[1]. وقد علقت بعض المصادر على ذلك بالقول «فقدرها عبد الرحمن بجهله قرابة سما بها إلى ميراث الخلافة»[2].

وأشارت بعض المصادر إلى أن شنجول أرسل للخليفة المؤيد من قام بتهديده إذا لم يقم بتعيينه ولياً لعهده[3] مستغلاً حقيقة أن الخليفة لا ولد له[4]. ثم حصل على لقب ولاية العهد بعد أن أصدر الخليفة مرسوماً بشأن ذلك وقدمت التهاني بهذه المناسبة[5].

وتمادى الحاجب شنجول إلى أبعد من هذا بأن لقّب نفسَهُ بالخلافة، فكان يأمر صاحب شرطته ابن الرسّان أن ينادي في الغزاة بـ «يأمركم أمير المؤمنين بكذا وكذا»[6] وقد اعتبر ابن حزم هذه «فعلة خارجية»[7]، وكانت سبباً مباشراً لقيام الفتنة بالأندلس سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م وإنهاء حكم الاستبداد العامري من الأندلس.

إضافة إلى لقب الحاجب الفعلي الذي أشير إليه، فهناك ألقاب اسمية للحجابة، فمثلاً مُنِحَ القائد غالب الناصري لقب الحجابة، وكان الأخير يقضي الكثير من وقته مجاهداً وقائداً في مدينة سالم ولم يمارس من صلاحيات الحاجب شيء، كما لقب الخليفة المؤيد الطفل عبد العزيز ابن الحاجب شنجول بالحجابة مجموعة له بسيف الدولة لقب عمه المظفر، وبقي محتفظاً بها في عهد والده شنجول[8].

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٣٨

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٣٨؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٢، ص٤٠٧.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢٢، ص٤٠٧.

(٤) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٩٠.

(٥) المصدر نفسه، ق٢، ص٩١-٩٣؛ انظر: ملحق الدراسة رقم (٥) .

(٦) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٤٩.

(٧) نقط العروس، جـ٢، ص٥٤.

(٨) ابن عذاري، البيان، جـ١، ص٢٦٧، جـ٣، ص٤٧؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٩٤.

الفصل الثالث

صلاحيات الحاجب وعلاقته بالخلافة

صلاحيات الحاجب :

أنيطت بالحاجب في الأندلس صلاحيات واسعة ، كونه يمثل قمة الهرم في السلطة بعد الخليفة، فهو بمثابة رئيس الوزراء في عصرنا، ونائب للخليفة بصفته مدبر المملكة، فذكر ابن خاقان في حديثه عن المصحفي «فأقام في تدبير الأندلس ما أقام...»[1].

وقال ابن عذاري : «أن الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي هو القائم بدولة الحكم»[2]، وأضاف توفي الحكم المستنصر بالله بعد إتصال علته، وجعفر بن عثمان يدبر سلطانه...[3]، أما ابن خلدون فأشار إلى أن الحاجب يقوم بدور الوسيط بين الخليفة والوزراء ومن دونهم[4].

ويتضح مما سبق أن الحاجب هو الرئيس المباشر للإدارة المركزية والعسكرية والمدنية والمسؤول عن ولايات الدولة وعن الأمن العام فهو بحكم مركزه أقرب الشخصيات وأخصها بالخليفة[5]، وقد قلد الخليفة هشام المؤيد حجابته إلى وزير أبيه الأخص أبي الحسن جعفر بن عثمان المصحفي [6]، وسبقت الإشارة إلى أن الحاجب خلال تولية منصب الحجابة في فترة عصر الإمارة وعهد عبد الرحمن الناصر كان يقوم بدور المنفذ لأوامر الأمير والخليفة، أما في عهد الحكم المستنصر فقد اتسعت صلاحيات الحاجب، ويعود ذلك إلى استقرار الأوضاع السياسية في عهد الخليفة المستنصر، بالإضافة إلى اهتمامه بالنشاطات العلمية والثقافية ، كما أن إصابته بعلة الفالج في أواخر عهده (٣٦٤-٣٦٦هـ/٩٧٤-٩٧٦م) أقعدته عن ممارسة مهامه، فقام بها الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي نيابة عنه .

---

(١) مطمح، ص١٥٥ .

(٢) البيان، جـ٢ ص٢٥١ .

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٥٣.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، دار النهضة، جـ٢، ص٦٧٠، ٦٧١ .

(٥) Imamuddin, Muslim Spain, P.48.

(٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥٤ .

أما الصلاحيات التي أنيطت بالحاجب ، فقد أشارت إليها المصادر بصورة مقتضبة، دون أن تذكرها بشكل مباشر، وقد اختلفت هذه الصلاحيات من حاجب لآخر، ومن خليفة لآخر، مما يتضح أن هذه الواجبات غير محددة، وتخضع لإرادة الخليفة .

وبعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر، أحدث منصب الحجابة، متمثلاً بالحاجب المنصور، تغييرات جذرية في الدولة بمختلف المجالات، لا سيما وأن الحاجب ضمن الحقبة الممتدة من (٣٦٧-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٩م) سيطر عن طريق منصبه على أمور الدولة السياسية والعسكرية حتى أطلقت إحدى الدراسات الحديثة على هذه الحقبة «عهد الحجابة»[١].

وينوب الحاجب عن الخليفة في حالة تغيب الأخير عن البلاد، أو مرضه أو عجزه عن ممارسة صلاحياته. فيتولى نظارة القصر -نائباً عن الخليفة في حالة غيابه- مع ولي العهد في حالة غياب الخليفة عن القصر كما يشرف الحاجب على شؤون القصر والحشم[٣]، ويرافق الخليفة في المواكب[٤]، والحاجب ممثل عن الخليفة لأنه كبير وزرائه[٥].

ومن المهام الرئيسة التي يتولاها الحاجب قيادة الجيش في الصوائف والشواتي، ويتبين من خلال ما أوردته بعض المصادر أن جميع الحجاب خلال

---

(١) سالم يفوت، ابن حزم والفكر الفلسفي في المغرب، ط١، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦، ص٢١، وسيشار إليه تالياً : يفوت، ابن حزم .

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٧٣؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٤، ٢٧٦، ٢٧٧-٢٧٨؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٨١ .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٩.

(٥) سوبر نهيم، الحاجب، دائرة المعارف الإسلامية، يصدرها باللغة العربية أحمد الشنتناوي وآخرون، راجعها محمد مهدي علام، م٧، ص٢٣١، وسيشار إليه تالياً : سوبر نهيم، الحاجب .

عصري الإمارة والخلافة تولوا هذه المهمة فهي من صلب صلاحياتهم الرئيسة، مثل الحاجب بدر (ت٣٠٩هـ/٩٢١م)[١]، والحاجب موسى بن حدير الذي وصف بأنه «قاد عسكراً مجراً، وجر الدنيا جراً»[٢]، ويعفى الحاجب من المشاركة في الحملات العسكرية في بعض الظروف، كما حصل مع الحاجب ابن حدير[٣] سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م، بينما عدّ تردد الحاجب المصحفي في الدفاع عن البلاد سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م من سقطاته المشهورة، وكان هذا الإحجام الذي ظهر منه سبباً في إسقاطه من منصبه سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م لأنه كان بمثابة الوصي على عرش الخليفة، هشام المؤيد الصغير السن، إضافة إلى أنه الرجل الأول في الدولة، وعلى عاتقه تقع مسؤولية الدفاع عن البلاد من خطر الممالك الاسبانية[٤].

فقد استطاع حجاب الدولة العامرية الانفراد بتسيير الجيوش وتدبير الحروب، ووضع الخطط العسكرية، يقول ابن الخطيب بهذا الصدد: «ويجوز له أن يتولى الجهاد بنفسه، وأن يقلد من يتولاه لأن شروط الحرب فيها معتبرة ويجوز له أن يباشر الأمور التي دبرها، وأن يستنيب في تنفيذها...»[٥]، وينطبق هذا القول أولاً على الحاجب المصحفي الذي كان يحضر المجالس التي يعقدها الخليفة الحكم المستنصر مع الوزير القائد غالب الناصري والتي تبحث في توصية الصوائف[٦]، فقد أوكل المصحفي مهمة تسيير الجيش سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م للوزير

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٤، ٢٧٣-٢٧٤، ٢٩٤-٢٩٦ .

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٣٤.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص١٦٩ .

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٢ .

(٥) الإشارة إلى أدب الوزارة، تحقيق محمد كمال شبانة، مطبعة الساحل، الرباط، ١٩٨٠، ص٥٩-٦١، وسيشار إليه تالياً : ابن الخطيب، أدب الوزارة .

(٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢١٩ .

محمد بن أبي عامر نيابة عنه[1]. كما ينطبق على الحاجب المنصور الذي زادت غزواته عن خمسين غزوة، قادها جميعاً بنفسه، وانتصر فيها، وكان ينطلق للغزو في أي وقت يراه مناسباً، دون الرجوع للخليفة أو الإذن منه[2]، واستطاع هذا الحاجب الذي اتصف بالمهارة العسكرية أن يحول البلاد من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم، «وتمرس ببلاد الشرك أعظم تمرس»[3]، وسار على نهجه الحاجب المظفر في الغزو والسياسة والنيابة طيلة حجابته، التي امتدت سبعة أعوام وكان يقود الغزوات بنفسه، ويولي نيابة عنه فتح بعض الحصون لقادته، فقد أوكل لواضح صاحب مدينة سالم أمر قتال شانجه (Sancho) سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م، ولاطفه واضح إلى أن تمهدت الدولة[4]، كما مهد أمر المغرب سائراً على نهج والده في المحافظة على النفوذ الأموي في بلاد المغرب[5].

وتمتع الحاجب الأندلسي بصلاحيات سمحت له بتشكيل فرق عسكرية خاصة به، فأطلق على فرقة الحاجب المصحفي العبيد الجعفريين[6]، وفرقة الحاجب المنصور الفتيان العامريين وأشهرهم واضح العامري، ومجاهد العامري، إضافة إلى أن الحاجب المنصور الذي فاقت سلطته سلطة الحاجب، كان بمثابة الحاكم

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٢.

(٢) ابن خاقان، مطمح، ص٣٨٩؛ المراكشي، المعجب، ص٨٣؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٣٠١؛ المقري، نفح، م١، ص٣٩٨ .

(٣) ابن خاقان، مطمح، ص٣٨٩ .
شغف المنصور بالجهاد فبعد رجوعه من الغزو كان يأمر غلمانه بجمع ما علق بثيابه من الاتربة وحفظها، وعندما توفي نثرت على كفنه بناءاً على وصيته، كما يذكر أنه شارك في الغزو والجهاد في أواخر عهده رغم معاناته من مرض النقرس، إذ حمل في محفة، وكان يدعو أن تدركه المنية وهو في الغزو، كما أشير إلى أنه يحمل أكفانه حينما يتوجه للغزو، وهذه الأكفان من صنع غزل بناته، وأشتريت من ماله الخاص الموروث، وكانت وفاته سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م، ودفن في مدينة سالم، انظر: ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٥١؛ المراكشي، المعجب، ص٨٤؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٨٨، ٣٠١ .

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٨٤؛ المراكشي، المعجب، ص٨٥ .

(٥) مجهول، مفاخر البربر، م١، ص٣٩، ٤٠-٤١ .

(٦) ذنون طه، دراسات في التاريخ الأندلسي، ط١، الموصل، ١٩٨٧، ص٥٢، وسيشار إليه تالياً : ذنون طه، دراسات .

فأحدث تغييراً عسكرياً جذرياً في تنظيم الجيش ، وأدخل فيه عناصر مختلفة من المرتزقة من القبائل البربرية مثل زناته وصنهاجه، ومن نافار، وليون، ومن الصقالبة، ولكن كان الجند البربر هم ركيزة جيش المنصور وخاصته وتمتعوا في عهد المنصور والمظفر بمستوى رفيع[1].

وفي عهد الحاجب المنصور ألغيت النظم العسكرية السائدة، المعتمدة على القبائل الموجودة في الكور والأقاليم والتي كان عطاؤها من مناطقها وتشارك في الغزوات، وقد قام المنصور بإجراء تغيير جذري في الجيش، قام على أساس توزيع جند القبيلة الواحدة على عدة فرق عسكرية، مما أدى إلى إضعاف العصبية العربية، وبذلك تحول جميع الجيش الأندلسي إلى جيش نظامي[2]. وعن هذه السياسة أشارت المصادر إلى أنها كانت مأخذاً على الحاجب المنصور الذي قدم رجال البربر على الزعامات العربية مما حرك العصبية عند المضرية واليمانية[3].

ومن الأعمال العسكرية التي قام بها الحاجب المنصور إلغاؤه للتجنيد الإجباري وسمح لهم بالعمل في الزراعة، وترك لهم حرية التطوع، «فمن خف إليه فمأجور، ومن تثاقل فمعذور»، وأشار الصفدي إلى أن المنصور استحدث ديواناً للمرتزقة من الجنود، وألزم الناس بدفع الأموال على قدر غلاتهم في حالة عدم المشاركة في الغزو «فصار العرب وأصناف الناس رعية»[4].

ويشرف الحاجب على عملية التعبئة العسكرية وتجهيز الجيوش،

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٨-٢٧٩؛ انظر : Dozy, Spanish Islam, Jordan,1988, Vol. 3, P. 534 ، وسيشار إليه: Dozy, Spanish Islam

(٢) مؤنس، معالم، ص٣٤١-٣٤٢، ٣٥٠؛ انظر أيضاً: العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٥٢-٤٥٣؛ انظر: جوزيف رينو، الفتوحات الإسلامية، ص١٩٣ .

(٣) ابن خاقان، مطمح، ص٣٨٩؛ الصفدي، الوافي، جـ٣، ١٩٧٤، ص٣١٣؛ انظر: عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٣١؛ مصطفى أبو ضيف، القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية ٩١-٤٢٢هـ/ ٧١٠-١٠٣١م)، الدار البيضاء،ص٢٧٤، وسيشار إليه تالياً: أبو ضيف، القبائل العربية؛ زمامة، ابن حيان، ص١٤ .

(٤) الوافي، جـ٣، ص٣١٢ .

ويستعرض الجيش ويلقي الخطابات في الجند[1]، ويقيم المصانع العسكرية وقد انتشرت في عهد الحاجب المنصور والمظفر في مدن الزاهرة والزهراء ومدينة سالم وأنتجت مختلف أنواع الأسلحة. كما أقيمت المتاحف العسكرية في عهد الحاجب المظفر[2] الذي استحدث ترتيبات عسكرية جديدة[3]، وكلف الخليفة المهدي حاجبه محمد بن المغيرة بتثبيت أسماء الفرسان في ديوان الجند ووزع الأسلحة عليهم لمحاربة أهل الزاهرة[4].

وشهدت الأندلس فترات طويلة من الأمن والاستقرار ترددت خلالها الرسل والوفود من الممالك الإسبانية والفرنج والمغرب على بلاط الزاهرة والزهراء، معلنة الطاعة أو طالبة السلم والصلح أو الاستنجاد والاستنفار بحكومة قرطبة. ومهما كان الهدف من هذه السفارات، فقد كان يجري لها أثناء وصولها البلاط مراسيم الاستقبال، يشارك في تنظيمها وترتيبها كبار الشخصيات، إلا أن المسؤولية الكبرى تقع على عاتق الحاجب لأهمية مركزه وثقله السياسي ويبدو ذلك من خلال الإشارة الدقيقة التي أوردها ابن الأبار عن الحاجب موسى بن حدير، الذي كان يقوم بحجب الخليفة عند قعوده لسلام الأجناد ووفود الأطراف ورسل الأمم، وأصحاب الخيل والمدينة، والشرطة العليا[5] والوسطى[5] على مراتبهم[6].

وبهذا الصدد أشارت بعض المصادر إلى أن الحاجب المصحفي في عهد

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٤-٢٧٥ .

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ق٤ م١، ص٨٥ .

(٣) المصدر نفسه، ق٤ م١، ص٨٥ .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٦٢ .

(٥) الشرطة العُليا : هي الخطة المشرفة على أهل المراتب السلطانية والضرب على أيدي أقاربهم من أهل الجاه في حالة رفع ظلامات عنهم، ويقع مقر صاحب الشرطة العليا في قصر الخليفة، انظر : ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٤٦؛ ابن خلدون، المقدمة، دار النهضة، جـ٢، ص٦٨٨؛ انظر : التهامي، نظم وإدارة بني أمية، ص٤٠٥ .

(٥) الشرطة الوسطى : تأتي بعد الشرطة العليا في المرتبة، وتشرف على الظلامات التي ترفع ضد الطبقة الوسطى من الأعيان والتجار وصغار الموظفين من أصحاب الخطط، انظر: التهامي، المرجع نفسه، ص٤٠٥.

(٦) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٣٣ .

الخليفة الحكم المستنصر استقبل ابن أبي العافية من المغرب ورسل قشتالة وبرشلونة سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م[1]، كما استقبل الملك أردون (Ordonoi) الرابع سنة ٣٦١هـ/٩٧١م، وأمره الخليفة بأن يوزع نيابة عنه الخلع والهدايا على الملك وحاشيته. وقد استعرضت بعض المصادر الصلات التي قدمت للملك والتي كانت جليلة القيمة[2]، كما وصفت الكرسي المذهب الذي جلس عليه الملك أردون (Ordono)، ثم قيامه بوجه الحاجب المصحفي عندما شاهده، خاضعاً له، مقبلا ليديه منحنياً ومعانقاً للحاجب ، ثم جلسا معاً، ويبين لنا هذا ما كان للحاجب في الأندلس من شأن رفيع[3].

وفي عهد الحاجب المنصور انتقل مقر الحكم من قصر الزهراء ، إذ حُجر على الخليفة وأحيط قصره بالأسوار المرتفعة والحراسة المشددة، وأصبحت مدينة الزاهرة التي بناها المنصور لنفسه مقراً لاستقبال الوفود والسفارات التي كانت تفد عليه مثل سفارة برمودا الثاني (Bermuda 11) ملك ليون سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م[4]، وفي سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م وفد على الزاهرة الملك شانجه (Sancho) ملك النافار، صهر الحاجب المنصور، وأجري له استقبال حافل بالزاهرة. ووصف ابن الخطيب مراسيم الاستقبال التي أعدها المنصور للملك بأن المنصور أركب الجيوش والمطوعة لملاقاته في دخوله إلى قصر الزاهرة، وكان يوماً مشهوداً، حتى بهت شانجه (Sancho) ، مما رآه من مكانة جيش الأندلس عدداً وعدة، وكان في استقباله حفيده (شنجول) من بنته[5]، وقد حف الحفيد بالوزراء، والقادة،

---

(١) المقري، نفح، م١، ص٣٨٥ ؛ المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ٥ج، تحقيق مصطفى السقا، بيت المغرب، الإمارات، جـ٢، ص٢٩٢-٢٩٣، وسيشار إليه تالياً: المقري، أزهار الرياض .

(٢) ضمن هدية الملك دراعة منسوجة بالذهب مع برنسا مثلها لها لوزة مفرغة من التبر، مرصعة من الداخل بالجوهر والياقوت، انظر: المقري، نفح، م١، ص٢٩٢-٢٩٣ ؛ المقري، أزهار الرياض، جـ٢، ص٢٩٢-٢٩٣؛ انظر: Dozy, Ispanch Islam, Vol.3, P. 450-552 .

(٣) المقري، أزهار الرياض، ص٢٩٢-٢٩٣ ؛ انظر: Dozy, Ispanch Islam, Vol.3, P. 552 .

(٤) دويدار، السفارات، ص٥٣؛ أبو ملوح، الدولة العربية، ص١٩٤؛ انظر: Dozy, Ispanch Islam, Vol.3, P.505 .

(٥) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٧٣-٧٤ .

وكبار الموظفين في أحسن زي وأكمل تعبئة، وعندما وقعت عين الملك على جفيده ترجّل وقبّل قدميه فأمر بالركوب وحمله معه إلى أبيه المنصور[1].

وفي سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م وفدت على المنصور للمرة الثانية سفارة الملك برمودا الثاني (Bermuda 11) التي كانت تحمل ابنته تريزازوجة للمنصور[2]، إلا أنّ هذه المصاهرة لم تسفر عن علاقات ودية بين الطرفين فهاجم المنصور ليون سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م، وأجبر ملكها على عقد الصلح وقبول الشروط[3]. كما استقبل الحاجب المنصور سفارة الأمير غندشلب (Gundisalvus) ابن شانجه ملك النافار[4].

وتمّ تبادل السفارات بين بلاط الحاجب المنصور سنة ٣٨٩هـ/٩٩٩م وغرسية بن فرذلند (Garci Fernandez) ملك قشتالة[5]، كما استقبل المنصور رسل الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني (Basilius 11) ٩٧٦-١٠٢٥م[6].

وكان الحاجب يظهر عظمة الإسلام وقوة الأندلس، أثناء وجود هذه السفارات في قرطبة، فحصل أن أمر المنصور بغرس النيلوفر في بركة عظيمة، ثم أمر ألفاً من الفتيان الصقالبة بوضع الذهب والفضة في البركة، وأمرهم بالتقاطه صباحاً بحضرة رسول ملك الروم، مما أثار عجبه، وطلب المهادنة من المنصور وقال الأول لحاشيته «لا نعادي هؤلاء القوم فإني رأيت الأرض تخدمهم

(١) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٧٢-٧٤ .

(٦) دويدار، السفارات، ص٥٣ .

(٣) ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد سالم، ولطفي عبد البديع، القاهرة، ١٩٥٨، ص٤٢٤، وسيشار إليه تالياً : بروفنسال، الإسلام في المغرب؛ دويدار، السفارات، ص٥٤؛ انظر أيضاً : لطفي عبد البديع، الإسلام في إسبانيا، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨، ١٣٥، وسيشار إليه تالياً : عبد البديع، الإسلام .

(٤) وصف الشاعر ابن دراج هذه السفارة بأبيات من الشعر، منها :

ولما توافوا للسلام ورفعت عن الشمس في أفق الشروق ستور

وقد قام من زرق الأسنة دونها صفوف ومن بيض السيوف سطور

ابن دراج القسطلي، ديوان ابن دراج، تحقيق محمود علي مكي، ط١، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٦١، ص٠٥، وسيشار إليه تالياً : ابن دراج، ديوان .

(٥) ابن عذاري، البيان، ج٢ ص٢٩٧-٢٩٨؛ انظر: Dozy, Ispanch Islam, Vol.3, P.497-507.

(٦) دويدار، السفارات، ص٥٨ .

بكنوزها»[1].

ولم تقتصر هذه السفارات على الممالك الإسبانية والأوروبية الأخرى، بل استقبل الحجاب سفارات أخرى من المغرب مثل وفد زيري بن عطية الذي قدم هدية جليلة للحاجب المنصور[2]، واستقبل شنجول وفد المعز بن زيري بن عطية الذي قدم لشنجول هدية تتكون من تسعمائة فرس[3].

وبما أن الحجابة في الأندلس عاشت عصرها الذهبي في عهد الخليفة هشام المؤيد، فقد بلغ بالحاجب المظفر أن احتكمت إليه ملوك الأسبان فيما شجر بينهم سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٣م[4]. كما استقبل المظفر وفادة الملك شانجه بن غرسيه (Sancho Garces)بحفاوة بالغة[5]، كذلك استقبل كونت برشلونة طالباً الصلح[6].

ومن المغرب وفد على بلاط الزاهرة في عهد الحاجب المظفر زاوي بن زيري بن مناد من المغرب على رأس حشود كبيرة ويرافقه جميع أفراد أسرته وإخوته، وأحسن الحاجب المظفر استقبالهم ووصلهم بالصلات والخلع ومنحه ألقاباً رفضها زاوي ابن زيري، ولشعور الأخير بعدم الارتياح ، طلب من الحاجب المظفر السماح له بمغادرة الأندلس والعودة للمغرب، فأذن له في ذلك وكان يعرف عن زاوي المكر والدّهاء، وسبق أن منعه الحاجب المنصور من دخول البلاد في عهده[7].

---

(١) المقري، نفح، م٣، ص٨٥ .

(٢) علي بن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢، ص١٠٣-١٠٤، وسيشار إليه تالياً: ابن أبي زرع، روض القرطاس؛ أبو العباس أحمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٩ج، تحقيق ولدي المؤلف جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب ، الدار البيضاء، ١٩٥٤، جـ١، ص٢١١، وسيشار إليه تالياً : الناصري : الاستقصا .

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١١٧ .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١٠؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٨٧.

(٥) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٨٤-٨٥ .

(٦) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٨٤-٨٥ .

(٧) الأمير عبد الله الصنهاجي بن بلقين، مذكرات الأمير عبد الله المسماة كتاب التبيان، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، د.ت، ص١٧، وسيشار إليه تالياً: الصنهاجي، التبيان؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦١ .

وبعد أن كان عقد المعاهدات وإبرام السلم من صلاحيات الخليفة، أصبحت في عهد الخليفة هشام المؤيد من واجبات الحاجب، وهو المسؤول الأول عن إبرامها، فقد عقد الملك برمودا الثاني (Bermuda11) ملك ليون سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م معاهدة صلح وحسن جوار مع الحاجب المنصور، تعهد فيها الأول بدفع ضريبة سنوية للمنصور، مقابل أن يعيد الثاني مدينة سمورة لمملكة ليون، ويبدو أن برمودا الثاني (Bermuda11) لم يلتزم بالمعاهدة، فهاجم المنصور مملكته، وأجبره على الالتزام بشروط المعاهدة إضافة إلى أنه أجبره على تسليم عبد الله بن عبد العزيز المتآمر ضد الحاجب المنصور، وبقي عبد الله في سجن المنصور حتى توفي الأخير، ثم أطلق الحاجب المظفر سراح السجين[1]. كما أجبر الحاجب المنصور غرسيه بن فرذلند (Garci Fernandez) ملك قشتالة على تسليم عبد الله بن الحاجب المنصور إليه، وتم تسليمه للمنصور الذي قام بقتله وأرسل برأسه للخليفة هشام المؤيد مع كتاب الفتح[2].

وبعد أن اقتحم الحاجب المنصور شنت ياقب[3] سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م جدد معاهدات الصلح التي سبق عقدها مع القوامس[5] المعاهدين له[4].

وأشارت بعض المصادر إلى أن الحاجب المظفر فوض إلى صاحب مدينة سالم واضح الفتى عقد معاهدة نيابة عنه مع شانجه بن غرسيه (Sancho Garces) ملك قشتالة سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م[5].

وبعد سقوط الأسرة العامرية، حاول الحاجب واضح العامري فرض سيطرته على الخليفة هشام المؤيد أسوة بالحاجب المنصور، فعقد معاهدة مع

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٨٢-٢٨٥؛ دويدار، السفارات، ص٥٤ .

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٨٢-٢٨٥؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٦٨؛ انظر: Dozy, Ispanch Islam, Vol.3, P. 506-508 .

(٣) شنت ياقوب : كنيسة تقع في ثغور ماردة، اقيمت الكنيسة على قبر يعقوب الحواري، وهي مزار للإسبان وبقية النصارى، انظر الحميري، صفة، ص١١٥-١١٦؛ انظر: Dozy, Ispanch Islam, Vol.3, P. 511-512 .

(٥) القومس : (الكونت)، وتعني حاكم المنطقة، ويكون محتفظاً باستقلال تام. ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٥-٤٦ .

(٤) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٦٨ .

(٥) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٤ .

الأسبان، مقابل التنازل عن مدينة سالم وعدد من الحصون في الثغور الشمالية، التي استعيدت في عهد سابق من عصر الخلافة[1]، كما أجرى واضح مفاوضات مع سليمان المستعين والبربر أثناء الفتنة البربرية، ولكن مندوب الحاجب واضح قتل في جلسة المفاوضات من قبل البربر[2].

ومن الصلاحيات الأخرى التي أنيطت بالحاجب الإشراف على مراسلات وسجلات الدولة الرسمية، ولأن هذه الوظيفة تحتاج للدقة وسرعة الإنجاز عين الخليفة أو الأمير لكل حاجب كاتباً أو كاتبين، فكان للحاجب بدر كاتبان هما سكن ابن إبراهيم ، وعمر بن تاجيت[3]، بينما اتخذ الحاجب موسى بن حدير كاتباً هو خلف بن أيوب[4]، وكتب للحاجب المنصور عيسى بن سعيد[5].

وذكرت بعض المصادر أنّ إنجاز المكاتبات تتم في دار الحاجب -مقره في القصر- وترسل هذه الكتب بعد إنجازها إلى القصر لتطبع بخاتم الخليفة، ثم يتم تصديرها حسب وجهتها بالطرق الشرعية[6].

ويبدو أنّ بعض المراسلات توجه إلى الحاجب مباشرة فقد ورد للحاجب موسى بن حدير كتاب من إدريس بن إبراهيم السليماني سنة ٣١١هـ/٩٢٢م، يصف فيه للحاجب ما ارتكبه الحسنيون من أعمال عدائية في المغرب[7].

ونالت النظم الإدارية تطوراً في عهد الحاجب المنصور حيث يشير الحميري إلى أن الشاعر ابن دراج القسطلي كان كاتباً لديوان الإنشاء (الرسائل) في عهده[8]، كما تولى للمنصور ابن شهيد الأندلسي أمانة سر الديوان، أي

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١٠٣-١٠٤؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٢٧؛ المقري، نفح، م١، ص٤٢٨-٤٢٩ .

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٨٧؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٢٢٨.

(٣) ابن الابار، الحلة، جـ١، ص٢٥٣؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٥٨؛ انظر : الزغول، الحرف والصناعات، ص١٣٥ .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٩٩ .

(٥) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٧٥ .

(٦) ابن الابار، الحلة، جـ١، ص٢٥٣ .

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ص٢٦٣-٢٦٤ .

(٨) الحميدي، جذوة المقتبس، جـ١، ص١١٠؛ الحميري، صفة، ص١٦٠ .

المسؤول عن المكاتبات العليا[1]، وكتب للمنصور عبد الملك بن إدريس الجزيري الذي تولى التحبير والإنشاء[2]، وكذلك أبو حفص أحمد بن برد[3]، ومحمد بن إسماعيل[4]، وأحمد بن سعيد بن حزم[5]، ورافق الكتاب الحجاب في الغزوات لتسجيل وقائع الأحداث[6].

ووظف له المنصور عدة كتّاب يقومون سراً برصد أخبار ما يجري في الدواوين، وهم من العيون الذين سخرهم لخدمته[7].

أما الحاجب المظفر فقد أطلق على متولي الديوان اسم صاحب الديوان[8]، ويتم إصدار المكاتبات على نسختين فمثلاً الكتب التي يتم فيها وصف وقائع المعركة ترسل إحدى نسخها لبلاط الخليفة، والأخرى تقرأ على الناس بقرطبة[9].

ومن أشهر كتاب الحاجب المظفر أحمد بن برد وعبد الملك بن إدريس الجزيري الذي قتله المظفر بسبب خيانة الدولة[10]، وتولى جهور بن محمد رئاسة ديوان الرسائل في عهد شنجول، وثبت ألقاب الحاجب في ديوان الأزمة والاعتمال لنشرها في الكور والأقاليم[11].

ويتضح من خلال ما أوردته النصوص أن الحاجب لا ينفرد فقط بخطة الحجابة، بل يتولى إلى جانبها خططاً أخرى فقد تولى الحاجب بدر بن أحمد خطة الحجابة والخيل والبرد، وكان ينفرد بالولايات، ويشرف على المكاتبات أثناء

(١) هو أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك بن عمر، ابن شهيد، ديوان، ص١٥، (مقدمة المحقق).

(٢) ابن خاقان، مطمح، ص١٣؛ المقري، نفح، م١، ص٥٨٧.

(٣) ابن سعيد، المغرب، جـ١، ص٢٠٣-٢٠٤.

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٠.

(٥) ابن الأبار، إعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتر، ط١، ١٩٦١، ص١٩٨، وسيشار إليه تالياً: ابن الأبار، إعتاب الكتاب.

(٦) المصدر نفسه، ص١٩١.

(٧) ابن بسام، الذخيرة، ق٤ م١، ص٧٢.

(٨) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠٤.

(٩) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٨.

(١٠) ابن بسام، الذخيرة، ق١ م١، ص١٢٧-١٢٨.

(١١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٤٠-٤٢.

حجابته للأمير عبد الرحمن الثالث في عصر الإمارة[1]، وتقلد الحاجب موسى بن حدير خطة الخيل والمدينة والشرطة العليا والوسطى[2]، وتولى الحاجب جعفر الصقلبي النظر في الأحباس والإنشاءات[3].

وتولى الحاجب المصحفي خطة الحجابة والوزارة والمدينة والمواريث واصدر كتباً خاصة بالمواريث موجهة إلى زعيم البربر أبي العيش بن أيوب، في عهد الخليفة المستنصر، واستأثر بالكثير من الخطط الأخرى التي وزعها على أفراد أسرته[4]، وتولى الحاجب المنصور خطة الحجابة والوزارة والقيادة العليا وسائر الخطط الأخرى، ثم تولاها الحاجب المظفر[5].

وينظر الحاجب كذلك فيما يكلفه به الخليفة من أعمال مؤقتة، كإطلاق سراح بعض السّجناء نيابة عنه كما حدث في عهد الحكم المستنصر[6]، أما في عهد هشام المؤيد فقد اقتصر الحاجب على النظر فيها دون الرجوع للخليفة، فقد توسع المنصور في صلاحياته فاعتقل، وقتل، ونفى الكثير مما تثبت عليهم الجرائم، من كبار الشخصيات وجنده ، وأفراد أسرته[7].

وكان الحاجب ينظر في المظالم ، وما يرفع من قبل الرعية من الشكاوى ويضع الحاجب توقيعه عليها ورأيه، ويرسلها إلى الجهة المختصة بها، وأحياناً يحضر الحاجب بنفسه مجلس المظالم[8]، فقد نظر الحاجب المصحفي في الشكاوى التي كان يستلمها من الناس أثناء سير موكبه وتوجهه في الصباح إلى القصر[9]،

---

(1) ابن الأبار، الحلة، جـ1، ص253؛ ابن عذاري، البيان، جـ2، ص158.
(2) ابن الأبار، الحلة، جـ1، ص233 .
(3) ابن عذاري، البيان، جـ1، ص234 .
(4) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص111.
(5) ابن عذاري، البيان، جـ2، ص293.
(6) ابن عذاري، البيان، جـ2، ص250 .
(7) المصدر نفسه، جـ2، ص289، 290؛ المقري، نفح، م1، ص419 .
(8) المقري، المصدر نفسه، م1، ص419 .
(9) المصدر نفسه، م1، ص419 .

كما نظر في شكاوى الصقالبة[1]، وكذلك أشرف الحاجب المنصور على الأعمال العمرانية في قرطبة، وقدم تعويضات للمتضررين[2].

أما حفظ الأمن والنظام فهي من صلب صلاحيات الحاجب إذ يجمع إلى جانب الحجابة خطة صاحب المدينة الذي تقوم مهمته على محاربة الفساد في المدينة[3]، ومتابعة أمن الثغور[4]. ودعا المنصور إلى عقد اجتماع مجلس الوزراء للنظر في القضايا الهامة، مثل الشكوى المقدمة ضد فتاه دُرى[5]، ومحاكمة الحاجب المصحفي[6].

وتتم عملية متابعة الحاجب لأعماله أحياناً من خلال التقارير التي ترفع إليه من الوزراء وكبار الموظفين، فمثلاً رُفعت للمنصور تقارير مَن طال سجنهم فأمر بإطلاقهم[7]، وتقارير أخرى عن الشؤون المالية[8]. ويبدو ذلك من قول المصحفي عندما جلس للمحاكمة أنه كان يقيد أموال جعفر الصقلبي في ديوان الزمام[9].

ومنذ أن تولى الحاجب المنصور الحجابة للخليفة هشام المؤيد، أصبح المسؤول الأول عن الشؤون المالية فكان يأمر بمصادرة الأموال، مثل أموال جعفر المصحفي[10]، وأموال الصقالبة[11]، وحصل على موافقة أهل الحل والعقد على نقل أموال الدولة من قصر الزهراء إلى الزاهرة لتكون تحت إشرافه المباشر، وذلك

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٣ .

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٩٠، ٢٩١-٢٩٢ .

(٣) ابن القوطية، تاريخ إفتتاح، ص٢٢، ١٢٧ .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٩٠ .

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٦٣ .

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٦ .

(٧) المقري، نفح، م١، ص٤١٨ .

(٨) المصدر نفسه، م١، ص٤١٩ .

(٩) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٨ .

(١٠) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٢-٢٦٣، ٢٦٩؛ المقري، نفح، م١، ص٤٢١ .

(١١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦١ .

بعد أن اشتد الخلاف بين المنصور والسيدة صبح والدة المؤيد[1].

وشملت صلاحيات الحاجب فرض الضرائب وإلغاءها ، وإقطاع الأرض، فقد ألزم المنصور بعض الممالك الإسبانية على دفع الضرائب لدولته أثناء عقدهم الصلح معه[2]، ونسب إلى المنصور أنه ألغى ضريبة الزيتون[3]، وعندما بنى المنصور مدينة الزاهرة، أقطع ما حولها من الأراضي لوزرائه وكبار الشخصيات[4]. وألغى الحاجب المظفر ضريبة سدس الجباية عن الناس في جميع أنحاء الأندلس[5]، كما قتل الحاجب واضح بسبب تلاعبه بأموال الدولة وإتلافها بطرق غير صحيحة[6].

ويبدو أن صلاحيات الحاجب شملت أموراً أخرى كانت من اختصاصات الخليفة فقط، مثل سك العملة، فقد قيل أن الحاجب جعفر الصقلبي ضرب الدينار الجعفري باسمه. كما سك الحاجب المنصور وأبناءه العملة بأسمائهم[7]. وينظر الحاجب في التقارير المالية التي ترفع إليه وفي الواردات والنفقات[8].

العلاقة بين الحجابة والخلافة :

بلغ الحاجب من الأهمية بمكان في الدولة الأموية بالأندلس لاسيما وأنه أقرب الشخصيات وأخصها للخليفة، وأهم مستشاريه ويقوم مقام الخليفة بالأمر في بعض الحالات[9].

---

(١) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٧١، ٧٢، ٧٣ .

(٢) انظر : المقري، نفح، م١، ص٥٩٦.

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥٩ .

(٤) ابن خاقان، مطمح، ص٢٩٢ .

(٥) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٧٨ .

(٦) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١١٨ .

(٧) انظر : ملحق الدراسة رقم (٧) .

(٨) المقري، نفح، م١، ص٤١٨ .

(٩) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٥، ص٤٢٣

لقد كان الحاجب موسى بن حدير حاجب الخليفة عبد الرحمن الناصر[1]، من أخص الناس بالخليفة «فولاه حجابته وتدبير أموره كلها»[2]، وشارك الخليفة في الرأي والمشورة ، ورغم أن الحاجب موسى بن حدير بلغ درجة من الذكاء والعقل، إلا أنه كان يقول عن الخليفة الناصر «ما رأيت أذكى منه، وآخذ معه في الشيء تحليقاً على سواه حتى أخرج إليه فيسبقني إلى مرادي»[3].

واستطاع الحاجب في الأندلس خلال هذه الحقبة استعادة نفوذه في عهد الخليفة الحكم المستنصر فقد تمتع الحاجب جعفر بن عبد الرحمن الصقلبي لممارسة بعض الصلاحيات في عهد الحكم المستنصر[4].

وانعكس الاستقرار السياسي في عهد الحكم المستنصر على منصب الحجابة، حيث توسعت صلاحيات الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي الذي وصف بأنه لطيف المنزلة من الخليفة الحكم المستنصر، قديم الصحبة وقريب الخاصة[5]، ونال حظوة عنده منذ أن تقلد الخليفة الحكم المستنصر الخلافة إذ قدم له المصحفي قبل حجابته هدية جليلة، كان لها وقعٌ ايجابيٌ في نفس الخليفة الحكم المستنصر[6]. فأخذ المصحفي يرتقي في المناصب العليا فذكر بأنه «لم يزل يستقل ويضطلع»، ويتنقل من منصب إلى منصب، حتى تألق في أفق الخلافة، بوصوله إلى منصب الحجابة، فقد شارك الخليفة الرأي ، وقام بتدبير الأندلس والإشراف على شؤونها[7].

---

(1) الضبي، بغية الملتمس، ص٤٥٥ .

(2) ابن حزم، نقط العروس، جـ٢، ص١٠٦ .

(3) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص١٨٥ .

(4) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٩٢؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٣٤ .

(5) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٣٣-٢٣٤ .

(6) ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٤٤؛ المقري، نفح، م١، ص٣٨٢ .

(7) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٧ .

ويتضح من ذلك أن الحاجب المصحفي نال ثقة كبيرة من الخليفة، حتى أن الأخير اختصه على بقية الوزراء وقدمه عليهم تشريفاً له واظهاراً لخصوصيته ومحله القريب لديه[1]، فعندما تعرض المصحفي لمرض شديد سنة ٣٦١هـ/٩٧١م أوصى الخليفة في أهله[2]، كما مدح الحاجب المصحفي الخليفة في قصائد عدة، منها تهنئته بولادة ولي العهد هشام المؤيد، قال فيها :

أطلع البدر من حجابــه	وأطرد السيف من قرابــه
وجاءنا وارث المعالــــي	ليثبت الملك في نصابـــه[3]

لقد بدأت محاولات الحاجب المصحفي السيطرة على شؤون الدولة، بتثبيت ولي العهد هشام في منصب الخلافة، عندما أمر بتقديم هشام الصغير السن للصلاة على جثمان والده الحكم المستنصر، رغم أن قرطبة اشتملت على الكثير من الفقهاء والعلماء ما لا يحصى عددهم[3] .

وقد سبق أن أركب الحاجب المصحفي ولي العهد هشام للناس وكان الخليفة الحكم على فراش الموت، إشارة من الحاجب وحاشيته إلى تنفيذ أمر بيعة هشام للخلافة بعد والده، ومبررين ذلك بأنه حسمٌ لأي معارضة يحتمل ظهورها، وإرهابٌ لها[4].

ويتبين مما سبق أن الحاجب كان يستغل هذا الفراغ الذي حصل في مركز

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٠٤؛ انظر: ص٥٩-٦٠ من هذه الدراسة .

(٢) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٦٩-٧٠.

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٣٧؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٤٣.

(٣) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٤٤.

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥٩ .

الخلافة لصالحه، بأن سعى المصحفي لتوطيد نفوذه وتحقيق مآربه الشخصية عن طريق السعي الحثيث لتولية الطفل هشام الخلافة، وإحباط محاولة الصقالبة في تنحية هشام عن الخلافة، وتقليدها مرشحهم المغيرة بن عبدالرحمن الناصر[1]، ثم اجلس هشام المؤيد للبيعة له بالخلافة ودعا محمد بن أبي عامر الناس للبيعة، وبايعه القضاة والعلماء، وأهل قرطبة وأرسل بنسخ البيعة إلى الكور والأقاليم الأندلسية[2]، وكان هشام الويد «ضعيف ناقص العقل لم يبلغ الحلم»[3].

وكان موقف الحاجب المصحفي من مبايعة الخليفة هشام المؤيد للخلافة، إلى أن الأول كان يسعى إلى بقائه في منصبه لإدارة أمور الدولة في ظل الخليفة القاصر، كما أنه أراد أن يبقي على الخلافة لهشام المؤيد تحقيقاً لمصالحه الذاتية[4]. وليحافظ على استمرارية نفوذه كما كان في عهد والده الحكم المستنصر، فتصبح الدولة دولته[5]، مستغلاً أن هشام المؤيد مجرد رقم لا قيمة له، وصورة باهتة في أحد جدران القصر الخلافي[6]، بينما في حالة تولي المغيرة الحكم سينفرد به، ويقرب الصقالبة إليه لأنه سيكون مديناً لهم بتوليه الخلافة[7].

وبسبب التنافس على منصب الحجابة، لم يستمر الحاجب المصحفي أكثر من ستة أشهر في منصبه، إذ سخط عليه الخليفة هشام المؤيد فعزله من المنصب سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م، ثم نكب وقتل سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م[8]، لا سيما وأن مكانتــه في

(١) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٦٠ .
(٢) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٤٨ .
(٣) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص١٩٤ .
(٤) أبو ارميلة، نظم الحكم، ص٥٨ .
(٥) يونس، الحاجب المصحفي، ص١٧٧ .
(٦) بيضون، الدولة العربية، ص٣١٤ .
(٧) يونس، الحاجب المصحفي، ص١٧٧ .
(٨) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٦، ٦٧؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٨ .

القصر قد تراجعت[1]، ومال إلى الكسل والخمول[2]، في الوقت الذي لمع فيه نجم الوزير محمد بن أبي عامر الذي ترقى في مناصب الدولة، ونال مؤازرة واهتمام السيدة صبح أم هشام، وهو الذي ضمن لابنها البيعة للخلافة، ثم استقرار الحكم له، حتى صار صاحب التدبير، والمسيطر على الأمور، ثم قلده الخليفة هشام المؤيد الحجابة بدلاً من المصحفي، واستطاع بذلك التمكن من الدولة والتغلب على هشام[3]، وقد علق أحد المؤرخين على ذلك «وبلغ من الجاه والسلطان، وصارت الدولة والعرش والخليفة الصبي وأم الخليفة، كل أولئك طوع يمينه»[4]، وقال آخر أنه وصل إلى حالة لم يصل إليها أحد قبله ولا بعده «فسلب هشام ملكه وجنده وماله»[5].

وقد أشارت الكثير من المصادر إلى العلاقة الوثيقة التي ربطت سيدة القصر صبح بمحمد بن أبي عامر والذي تمكن عن طريق كسب ثقتها إلى السيطرة التامة على مقاليد الحكم ، فطغت شخصيته على الخليفة هشام واستبد به وحجر عليه، ولم ينفذ له أمراً[6]. كما اتبع سياسة أخرى تمثلت بالتخلص من كبار رجال الدولة الذين كان يخشى بأسهم ونفوذهم ومنافستهم له «وحطهم عن مراتبهم، وقتل بعضهم ببعض كل ذلك عن أمر هشام وخطه وتوقيعه حتى استأصلهم وفرق جموعهم»[7]، واتبع سياسة استمالة العناصر

---

(١) ابن عذاري، المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٥٤ .

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٥٩؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠٠ .

(٣) المراكشي، المعجب، ص٧٤؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٠٤ .

(٤) المراكشي، المعجب، ص٧٠ .

(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٨٠ .

(٦) ابن حزم، نقط العروس، جـ٢، ص١٩٦ .

(٧) ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٤٧؛ المقري، نفح، م١، ص٣٩٧ .

لجانبه، ثم ضربها بعضها ببعض، فعن طريق الحاجب المصحفي تخلص من الصقالبة في القصر، ثم تخلص من الحاجب المصحفي عن طريق القائد غالب الناصري، ثم استعان بجعفر بن هاني ضد غالب الناصري، ثم تخلص من جعفر باستمالة عبدالرحمن بن هاشم التجيبي، ثم قتل الأخير[1]، وبهذا الأسلوب تمكن محمد بن أبي عامر من القضاء على كبار رجال الدولة ممن كان يشعر من جانبهم مناوأته ليتسنى له تحقيق غايته من السيطرة على الدولة دون منافس.

ثم أصبحت كلمة محمد بن أبي عامر نافذة المفعول في قصر الخليفة يحقق هدفه دون أن يجد أي معارضة من حاشية القصر، إذ كان يدخل قصر الخليفة ويقول «أمر أمير المؤمنين بكذا ونهى عن كذا، فلا يخالفه أحد[2]، ولا يعترض عليه معترض في قول أو عمل»[3] ثم حجر على الخليفة، ومنعه من الاجتماع بالناس[4].

ويتضح أن الحاجب محمد بن أبي عامر الذي مهد للسيطرة على الدولة وأظهر الاستبداد بالخليفة هشام المؤيد، خشي على نفسه من محاولة اغتيال، فأمر ببناء مدينة خاصة به، وبحاشيته وجيشه على غرار مدينة الزهراء، وذلك سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م واتخذها مقراً له سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م، وبذلك نقل مركز الدولة من قصر الخليفة المحجور عليه والذي أحاطه بأسوار مرتفعة إلى مدينته الجديدة[5].

وقد أشارت بعض المصادر إلى هدف الحاجب ابن أبي عامر من بناء مدينة الزاهرة، فذكر ابن خاقان أن الحاجب أمر ببناء الزاهرة «وذلك عندما استفحل

---

(١) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠٢؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٤٧.

(٢) الذهبي، سير، جـ١٧، ص١٢٤.

(٣) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٠٤.

(٤) الذهبي، سير، جـ١٧، ص١٢٣.

(٥) ابن خاقان، مطمح، ص٦١.

أمره، واتقد جمره، وظهر استبداده، وكثر حساده وأنداده، وخاف على نفسه من الدخول إلى قصر الخليفة، لذلك توثق لنفسه وسما إلى ما سمت إليه الملوك من بناء مدينة ينزل بها مع أهله وذويه» وتكون مقر رياسته ومركز حكمه وسياسته ويجمع فيها حاشيته وأنصاره وغلمانه[1].

أما ابن بسام فذهب إلى القول أن الحاجب محمد بن أبي عامر انفرد بالسلطة وتمكن منها «فتوثق لنفسه، وحصن حاله، ورمى إلى الغرض الأقصى من ضبط الملك والحجر عليه، والاستبداد دونه» ، ثم أضاف أن الحاجب محمد بن أبي عامر امتثل رسم المتغلبين من أمراء الديالمة على الخليفة العباسي في المشرق، إذ سار على نهجهم في الاستبداد بمركز الخلافة، وكلاهما أي الأمراء الديالمة (البويهيون) في المشرق، والعامريون في الأندلس كانوا معاصرين لحقبة واحدة تقريباً[2].

وذكر النويري أن الهدف من بناءه مدينة الزاهرة يعود إلى أنه كان يتخوف من بني أمية أن يثوروا عليه، فأخذ في تقتيلهم صغاراً وكباراً، عملاً في الباطن لنفسه، وفي الظاهر لصالح الخليفة هشام المؤيد حتى أفنى من يصلح منهم للخلافة، وشتت البقية في البلاد، مثل الأمير الأموي الوليد بن هشام الملقب بأبي ركوة الذي هرب إلى مصر[3].

وفسر قيام محمد بن أبي عامر ببناء الزاهرة بأنه بعد أن نكب الحاجب المصحفي وتخلص من حاشيته، وضمن سخط الخليفة عليه، كون له حاشية خاصة به عوضاً عن حاشية الحاجب المصحفي والخليفة الحكم المستنصر، ثم حجر واستبد بالخليفة، وبنى لنفسه مدينة الزاهرة خوفاً مما تجره عليه الحيل

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٩٢.

(٢) الذخيرة، ق٤، م١، ص٦١ .

(٣) نهاية الأرب، جـ٢٢، ص٤٠٦ .

والاغتيال في الدخول إلى قصر الخليفة[1].

وقال ابن خلدون في هذا الصدد أن الحاجب محمد بن أبي عامر أنه أراد الاستقلال بالملك والاستبداد بالأمر[2].

ويبدو أنّ الحاجب محمد بن أبي عامر تحوط لنفسه من أخطار التآمر، وكان يخشى الدخول إلى قصر الخليفة من الحاقدين والمتربصين إضافة إلى خوفه على نفسه من أي معارضة يمكن أن تقام ضده، لا سيما وأنه قام بحملة من القتل، تخلص فيها تدريجياً من بعض كبار الشخصيات، لذلك رأى أن يتخذ له مركزاً للإدارة، فنقل مركز الحكم إلى مدينة الزاهرة فاقفرت مدينة الزهراء، وساد الصمت حول مركز الخليفة الشرعي[3].

وشدد الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر المراقبة على الخليفة ووضع في قصره العيون لموافاته بتحركات من في القصر، وعين فيه من حاشيته من يأمر وينهي ويشرف على كل داخل وخارج للقصر، كما عين له الحراس والبوابين والسمار يلازمون حراسته ليلاً ونهاراً، ويراقبون تحركاتهم سراً وعلانية[4].

وأصبح بذلك الخليفة «مهجوراً ، محجوراً ، عليل الفكر ، مسدود الباب، فاغنى الناس عنه، وأزال أطماعهم منه، حتى صاروا لا يعرفونه، وأمرهم أن لا يذكرونه، ولم يبق للخليفة إلا الاسم السلطاني في السكة والدعوة، فنسخه الحاجب المنصور ولبس أبهته، وطمس بهجته»[5].

ويتضح مما سبق أن الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر اختلف في نهجه عن بقية حجاب الأندلس، فقد سيطر على صلاحيات الخليفة، إذ أصبح الأخير مجرد حاكم اسمي والسلطة الفعلية في يد حاجبه المنصور الذي أخذ

(١) المراكشي، أعمال، ق٢، ص٦١-٦٢ .

(٢) ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٤٨ .

(٣) عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٢٥-٥٢٦ .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٨ .

(٥) ابن خاقان، مطمح، ص٣٩٤؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٦ .

ينشر الإشاعات التي تؤكد دعم نفوذه وبسط سلطانه، وتفيد بأن الخليفة هشام المؤيد فوض إليه النظر في شؤون الخلافة ليتخلى هو عنها لعبادة ربه، وبث الحاجب مثل هذه الأقاويل بين الرعية، حتى اطمأنوا إليه[1].

وبهذه الأساليب احتل الحاجب المرتبة العليا في الدولة، وبلغ مركزاً لم يصل إليه متغلب على خليفة، لأنه احتوى على الحكم كلّه، وأصبح الخليفة في قبضة يده، فلم يكن ينفذ الخليفة أمراً مهما صغر أو كبر إلا عن إذنه وعلمه حتى في داره أو مع نسائه[2].

ونفذت جميع المخاطبات باسمه، ودعي له على المنابر بعد الدعاء للخليفة، وبذلك محا رسوم الخلافة، ولم يبق للخليفة من هذه الرسوم سوى الدعاء له على المنابر، وكتابة اسمه في السكة والطراز، وبذلك يكون قدساوى الخليفة في الشارات والمراتب، ولم يجعل فرقاً بينهما إلا في الاسم فقط في تصدير الكتب عنه[3]. وانفرد ابن أبي زرع في الإشارة إلى أن «المنصور قطع من الكتب خاتم المؤيد، واقتصر على خاتمه»[4].

وقد أثارت أعمال المنصور وتسلطه على الخليفة هشام المؤيد ردة فعل من القصر، ومن السيدة صبح أم هشام المؤيد، والتي تشككت من نشاطات الحاجب المنصور، وحجره على ابنها الخليفة، ثم إعلانه التلقب بالألقاب السلطانية، فوقع الخلاف بينها وبين الحاجب المنصور حتى أنها كانت تخاطب ابنها الخليفة هشام المؤيد بالقول «أما ترى ما يصنع هذا الكلب؟ فقال لها دعيه ينبح لنا ولا ينبح علينا»[5].

---

(١) ابن عذاري، المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٧٨؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٦٢ .

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٨ .

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٨٠ .

(٤) روض القرطاس، ص١١٦ .

(٥) ابن سعيد، المغرب، ق٢، ص١٩٥.

ويُعد انقلاب السيدة صبح على الحاجب المنصور، نقطة تحول في العلاقة بينهما، كما يُعد من أهم الأحداث في الدولة العامرية. ففي سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م اتصلت سراً بمعارض الحاجب المنصور في المغرب، وهو زيري بن عطية ، الذي أنكر على المنصور تسلطه على هشام وسلبه ملكه، خاصة وأن زيري من أكبر الموالين لبني أمية[1].

وقد أشار ابن بسام إلى أن الوحشة بين السيدة صبح والمنصور حصلت بسبب الحسد ودواعي المنافسة بين أهل البيت الأموي وخاصة هشام المؤيد، والبيت العامري، وأشاعوا أنه يريد أن يستبد بالأمر، ولكي تحقق السيدة صبح سرعة تحقيق هدفها وكسب الموافقة والتأييد من زيري بن عطية، أرسلت إليه جزءاً من الأموال التي بحوزتها في قصر الزهراء، وقد بلغت قيمة هذه الأموال ثمانين ألف دينار، وقد وضعتها في كيزان وموهتها بالأصبغة، وأخرجتها من القصر على أعناق الخدم الصقالبة[2].

ولبى زيري بن عطية نداء السيدة صبح ، فأعلن في بداية الأمر حرباً كلامية على الحاجب المنصور، منتقداً سياسته في حجره على الخليفة هشام[3]، ورفع شعاراً مؤيداً للخليفة هشام المؤيد[4].

لم يقف الحاجب المنصور موقف المتفرج من قيام السيدة صبح بنقل الأموال، فمنذ أن اطلع عن طريق عيونه في القصر على هذا الأمر، اتخذ إجراءات تسمح له بموجبها بنقل بيت المال من قصر الخليفة في الزهراء إلى قصره في الزاهرة، وتمثلت هذه الإجراءات في دعوته لعقد مجلس حضره الفقهاء والوزراء، تولى رئاسته شخصياً، وبين للحضور أن الخليفة منشغلٌ

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٨٢؛ انظر: Dozy, Ispanich Islam, Vol.3, P. 515-516 .

(٢) الذخيرة، ق٤، م١، ص٧١ .

(٣) عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٥٥؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٣٧-٢٣٨ .

(٤) مجهول، مفاخر البربر، م١، ص٢٩.

بالعبادة عن حفظ الأموال في قصره[1]. وأن هذه الأموال عرضة للضياع، وفي ضياعها إضرار بالمصلحة العامة للدولة، فاقتنع الجميع بصواب رأيه، وأنه من الأفضل أن تكون الأموال بحوزة الحاجب المنصور، لأنه الأقدر على حفظها[2]، وتنفيذاً لما أقر في المجلس، أرسل المنصور ابنه الحاجب عبد الملك إلى قصر الخليفة على رأس قوة عسكرية، وعقد مجلساً طارئاً للفقهاء والوزراء وأطلعهم على حقيقة الوضع، واعترف الجميع بفضل المنصور، ثم وافق الخليفة على نقل الأموال من بيت المال في الزهراء إلى الزاهرة وتمت إجراءات النقل خلال ثلاثة أيام[3].

أما السيدة صبح أم الخليفة هشام والتي نُقلت الأموال رغماً عنها، فقد فرغت ما في جعبتها من السخط على الحاجب المنصور أمام ابنه عبد الملك، الذي واجه صعوبة في نقل الأموال بسبب صرامة تلك المرأة تجاه ابن أبي عامر وابنه عبد الملك، والأخير صامت لا يرد بكلمة، وبذلك أحرز المنصور الأموال وقدرت من الورق خمسة آلاف درهم، ومن الذهب سبعمائة ألف جعفرية[4].

أما النتائج التي ترتبت على خطوة الحاجب المنصور السالفة الذكر، فقد كانت لصالحه، إذ تراجعت مكانة السيدة صبح كثيراً وضعف موقفها وقلّ مؤيدوها، فطويت صفحتها، كما تجرد الخليفة هشام المؤيد من حرية التصرف بأمواله حتى الخاصة منها .

أما الحاجب المنصور الذي كان السعد يرافقه، فقد قوى مركزه بحوزته على جميع أموال الدولة، إذ أعطته إضافة إلى القوة السياسية قوة اقتصادية،

---

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٧٢ .

(2) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٧٢ .

(3) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٧٢؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠١ .

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٧٢-٧٣، تنسب الدنانير الجعفرية إلى الحاجب جعفر بن عثمان بن عبد الرحمن الصقلبي، انظر : ملحق الدراسة الخاص بالسكة رقم (٧).

الفقهاء والوزراء، تولى رئاسته شخصياً، وبين للحضور أن الخليفة منشغلٌ بالعبادة عن حفظ الأموال في قصره[1]. وأن هذه الأموال عرضة للضياع، وفي ضياعها إضرار بالمصلحة العامة للدولة، فاقتنع الجميع بصواب رأيه، وأنه من الأفضل أن تكون الأموال بحوزة الحاجب المنصور، لأنه الأقدر على حفظها[2]، وتنفيذاً لما أقر في المجلس، أرسل المنصور ابنه الحاجب عبد الملك إلى قصر الخليفة على رأس قوة عسكرية، وعقد مجلساً طارئاً للفقهاء والوزراء وأطلعهم على حقيقة الوضع، واعترف الجميع بفضل المنصور، ثم وافق الخليفة على نقل الأموال من بيت المال في الزهراء إلى الزاهرة وتمت إجراءات النقل خلال ثلاثة أيام[3].

أما السيدة صبح أم الخليفة هشام والتي نُقلت الأموال رغماً عنها، فقد فرغت ما في جعبتها من السخط على الحاجب المنصور أمام ابنه عبد الملك، الذي واجه صعوبة في نقل الأموال بسبب صرامة تلك المرأة تجاه ابن أبي عامر وابنه عبد الملك، والأخير صامت لا يرد بكلمة، وبذلك أحرز المنصور الأموال وقدرت من الورق خمسة آلاف درهم، ومن الذهب سبعمائة ألف جعفرية[4].

أما النتائج التي ترتبت على خطوة الحاجب المنصور السالفة الذكر، فقد كانت لصالحه، إذ تراجعت مكانة السيدة صبح كثيراً وضعف موقفها وقلّ مؤيدوها، فطويت صفحتها، كما تجرد الخليفة هشام المؤيد من حرية التصرف بأمواله حتى الخاصة منها .

أما الحاجب المنصور الذي كان السعد يرافقه، فقد قوى مركزه بحوزته على جميع أموال الدولة، إذ أعطته إضافة إلى القوة السياسية قوة اقتصادية،

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٧٢ .

(٢) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٧٢ .

(٣) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٧٢؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠١ .

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٧٢-٧٣، تنسب الدنانير الجعفرية إلى الحاجب جعفر بن عثمان بن عبد الرحمن الصقلبي، انظر : ملحق الدراسة الخاص بالسكة رقم (٧).

السلطان[1]، وأصبحت الدولة في الظاهر والباطن تسير على حكمه[2].

وقد أشار ابن خلدون إلى أن الحاجب المنصور استولى على الدولة، «وملأ الدنيا وهو في جوف بيته، مع تعظيم الخلافة والخضوع لها»[3].

بينما ذكر النويري أن الحاجب المنصور كان يأمر بارتداء الخليفة للبرنس وألبس جواريه البرانس حتى لا يعرف منهن في حالة خروج الخليفة للتنزه[4].

ولكن، لا بد من التساؤل، هل كان المنصور يطمح إلى لقب الخلافة؟ وما هي محاولاته؟

راودت المنصور فكرة التسمي بالخلافة، وحاول أن يجد مخرجاً شرعياً للحصول على هذا اللقب، وتكمن هذه المحاولة في المجلس الذي دعا إلى عقده وضم الفقهاء، وكبار رجالات قرطبة، فقد ذكر هذه الرواية ابن حزم عن والده ما يفيد:

أن المنصور محمد بن أبي عامر أراد ذلك، وجمع للمشورة فيه جماعة من حاشيته فيهم ابن عياش، وابن فطيس ، وأحمد بن سعيد بن حزم، ومن الفقهاء محمد بن يبقى بن زرب، وأبو عمر بن المكوى،والأصيلي. فأما ابن عياش، وابن فطيس، فصوبا رأيه، وأما أحمد بن سعيد بن حزم فقال له: «إني أخف من هذا تحريك ساكن، والأمور كلها بيدك، ومثلك لا ينافس في هذا المعنى»، وأما محمد ابن يبقى بن زرب فإنه قال له : «يرى ويجرب، فقال له : أفي مسائل الفقه تريد أن نسأله؟ قال : لا ، ولكن في مسائل السياسة، وتدبير المملكة؛ قال: فإن لم يقم، قال: ينظر في قريش»، فغضب من رده، ثم نظر إلى الأصيلي وإلى ابن المكوى، فقال الأصيلي: يا مولاي، «عربي ضابط، خير من قرشي مضيع»، قال : فنظر إلى ابن المكوى، فجعل يضحك له، ويقول: يا مولاي، «ومثلك يفكر في هذا وأنت الكل، وكل شيء بيدك، وإنما يرغب في الأسماء من لا يحقق والحقيقة أن الملك بيدك» فسكت ابن أبي عامر، فخرجوا من مجلس الحاجب، فلما قام القاضي

(١) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص١٩٩ .

(٢) المصدر نفسه، ق١، ص٢٠٠-٢٠١.

(٣) تاريخ، جـ١، ص١٤٨ .

(٤) نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٠٤ .

ابن زرب وسلم عليه، قال الحاجب: «اخرجوا بين يدي الفقيه» فغضب القاضي وقال: «لا بأس، هذا ما لا تقدرون على عزلنا عنه»، وقام إلى منزله ومات بعد أيام قليلة[1].

ويتضح مما سبق ، أن المنصور كان يفكر جدياً في الحصول على لقب الخلافة في حالة توفر مخرج شرعي يدعم هدفه، ويبدو أنه لم يحصل على شرعية لذلك، وهذا يتضح من ردّ الفقيه ابن زرب الذي طلب إعادة الأمر إلى الخليفة هشام المؤيد، وإعطاءه الفرصة المناسبة لممارسة السياسة والتدبير، وفي حالة عدم صلاحيته، يرشح أحد أفراد الأسرة الأموية (قريش)[2]. وفقاً للقاعدة المتبعة (الأئمة من قريش)[3]، كما وجد معارضة مبطنة من بقية الفقهاء كالأصيلي وابن المكوى[4]، وكانت خشية المنصور من معارضة الناس حائلاً دون تحقيق غايته بالتسمي بالخلافة[5].

كان المنصور مدركاً لأحقية البيت الأموي في الخلافة، وخطورة حجره على الخليفة هشام المؤيد، لذلك سعى إلى مطاردة الأمويين، ووضعهم تحت المراقبة الشديدة، ولم يسلم من توسم فيه خيراً أو يصلح للخلافة منهم من القتل والنفي، وكذلك قتل من يعارضه في سياسته[6].

وكان الحاجب المنصور شديد الحذر من جهة أهل البيت الأموي فاتخذ له رجلاً ثبتاً، أميناً، جعله عيناً على من في المدينة من أولاد الخلفاء، وأمر الأمويين بلزوم منازلهم في المدينة، وحظر عليهم الركوب، والخروج رأساً إلا لضرورة، «ووكل بهم ثقات من مشيخة الفتيان الحكميين على دول متعاقبة يطالعون ما

---

(١) ابن حزم، نقط العروس، جـ٢، ص٨٦-٨٧ .
(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ٨٦-٨٧ .
(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، بغداد، ١٩٨٩، ص١٧ .
(٤) ابن حزم، نقط العروس، جـ٢، ص٨٦-٨٧ .
(٥) أبو ضيف، القبائل العربية، ص٣٦٩؛ رجب محمد، العلاقات بين الأندلس، ص١٨١-١٨٢ .
(٦) ابن خاقان، مطمح، ص٢٨٨ .

ينكرونه من أموالهم، ومنعهم الاجتماع بالناس إلا لمن يأذن فيه من غلام أو وكيل أو معلم أو طبيب، وحذرهم صحبة سواهم من الناس، وكان يأخذهم بالخروج معه إلى الغزوات، ... ، واقتصروا على بيوتهم»[1]، وتعرض المنجمون الذين يتنبؤون بقرب نهاية الدولة العامرية إلى «قطع الأعناق والألسنة والعقاب الأليم، وهو مع[2] هذا مظهرٌ تعظيمَه للخلافة»[3].

وكانت وصية المنصور وهو على فراش الموت لابنه عبد الملك ولغلمانه تشير بوضوح إلى أن المنصور حدد موقفه من الخلافة فهو الذي وطد أركان الدولة، ثم بين لابنه عبد الملك السياسة الواجب على الأخير انتهاجها تجاه الخليفة هشام المؤيد فيقول: «والخليفة صاحب القصر قد عرفت مذهبه وأنه لا يأتيك من قبله شيء يضرك»[4]، ولكن حذره من بطانة الخليفة ومن حوله فقال: «والآفة ممن يتولاه، ويتلمس الوثوب باسمه فلا تنم عن هذه الطائفة جملة ولا ترفع عنها سوء الظن والتهمة، وعاقبها فوراً، مع قيامك بحق صاحب القصر على أتم وجه»[5]. كما كان المنصور مدركاً لانفراده بالحكم دون الخليفة وحاثاً ابنه عبد الملك على هذا النهج ما دام معتمداً على القرآن والسنة النبوية، والاجتهاد قائلاً له : «وأما الانفراد بالتدبير دونه مع ما عرفته من جهله وعجزه، فإني أرجو أني وإياك منه في سعة ما تمسكنا بالكتاب والسنة النبوية»[6].

ومن خلال هذه الوصية يحذر المنصور ابنه بشدة من الأمويين ويطلب منه أن يكون حازماً تجاههم مهما كانت مواقفهم يقول في الوصية «ولا تبطر بك النعمة فتنسوا آمالكم في بطون بني أمية وشيعتهم بقرطبة، ... فإن قاومت من توثب عليك منهم، فلا تذهل عن الحزم فيهم ...»، وفي موضع آخر أشار إلى

---

(١) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٧٧ .

(٢) المصدر نفسه، ق٢، ص٧٧ .

(٣) ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٤٨ .

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٧٦-٧٧ .

(٥) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٧٦-٧٧ .

(٦) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٧٦-٧٧ .

نصيحة ابنه بعدم التعاون مع الأمويين لأنه يعرف ما ارتكبه بحقهم «وإياك أن تضع يدك في يد مرواني ما طاوعتك بنانك، فإني أعرف ذنبي إليهم»[1].

كما أوصى غلمانه قائلاً لهم «ولا تغرنكم بوارق بني أمية... وقدروا ما في قلوبهم وقلوب مؤيديهم من الحقد عليكم[2]».

ويبدو أن المنصور كان على دراية تامة بالموقف السياسي في قرطبة، بالرغم مما حققه للأندلس من استقرار ورخاء، فإن بني أمية وأنصارهم كان ينظرون إليه كمغتصب للسلطة لكن شخصية المنصور، وقسوته، وإنجازاته، خففت من شعور العامة نحوه، إلا أن بوادر المعارضة بقيت موجودة[3].

ومن المعارضين لسياسة الحاجب المنصور بعض الفقهاء والشعراء وكانت معارضتهم تستهدف القضاء على نفوذ الدولة العامرية، وإعادة النفوذ الفعلي لأصحابه الشرعيين من البيت الأموي، وقد عبر الفقهاءفي إحدى مواقفهم عن رفضهم الموافقة على منح الحاجب المنصورلقب الخلافة الذي كان يسعى إله للحصول عليه بمخرج شرعي[4].

وفي موقف آخر وجهت الانتقادات اللاذعة للقاضي ابن زرب لاتصاله الوثيق بالمنصور وقبوله هداياه، ولما علم المنصور بشغب العامة على القاضي، أرسل إليه خياله لحمايته وحراسته وللقضاء على شغبهم[5].

وعبر الشعراء عن موقفهم السياسي المعارض لانفراد الحاجب المنصور بالحكم دون الخليفة، الشاعر أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي، الذي ينتمي إلى قبيلة كنده العربية، فقد هجا الحاجب المنصور، فعاقبه الأخير، وأمر بنفيه خارج الأندلس، ثم خرج الأمر من الحاجب على أن لا يكلمه أحد من العامة

---

(١) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٧٦-٧٧ .

(٢) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٧٧-٧٨ .

(٣) ابو ملوح، الدولة العامرية، ص٢٠٣ .

(٤) ابن حزم، نقط العروس، جـ٢، ص٨٦-٨٧ .

(٥) المراكشي، المعجب، ص٧٠-٧١ .

والخاصة، فأقام الشاعر الرمادي سجين بيته حتى مات[1].

وكذلك هجا الشاعر إبراهيم بن إدريس الحسني الحاجب المنصور[2]، وعبر في شعره عن سيطرة الحاجب المنصور على الخلافة، كما تناقلت العامة في قرطبة وغيرها من الشعر على لسان الخليفة هشام المؤيد قصائد تشهد بحجر الحاجب المنصور على الخليفة ومنها هذ الأبيات :

أليس من العجائب أنّ مثلي يرى ما قلّ ممتنعاً عليه

وتملك باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه[3]

ولم تقتصر المعارضة على داخل قرطبة، فقد قامت معارضة في منطقة الثغور ضد الحاجب المنصور وتسلطه واستبداده، وعبر عن ذلك صاحب سرقسطة عبد الرحمن بن مطرف، الذي انتقد سياسة الحاجب، وقتله كبار رجالات الدولة، فتآمر مع عبدالله بن الحاجب المنصور الذي تغيرت نفسه على والده لتفضيله أخيه عبد الملك عليه، إلاّ أن المنصور ألقى القبض على الاثنين معاً، وقتلهما[4]. كما قتل عبد الملك بن المنذر بن سعيد البلوطي لتآمره مع عبد الرحمن بن عبدالله بن الناصر الدين ومبايعته سراً مع بعض الفقهاء والقضاة، وفي المغرب كان زيري بن عطية من معارضي تفرد المنصور بالحكم عن الخليفة هشام، وكان شعاره في حربه ضد المنصور «هشام يا منصور» بينما كان شعار المنصور بن أبي عامر «يا منصور»[5].

وقد استطاع المنصور القبض على الأمور بيد من حديد، وأقام دولة قوية

---

(١) ابن بشكوال، الصلة، جـ٣، ص٦٦٩، انظر : ص٢٠٢ من هذه الدراسة .

(٢) ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص٢٢١ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، جـ١، ص١٤١.

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٨٠ .

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٨٣ .

(٥) مجهول، مفاخر البربر، م١، ص٢٩ .

مهابة الجانب في الداخل والخارج، دون أن يقطع الشعرة الواهية مع الخلافة[1].

ولم يخلُ عهد الحاجب عبد الملك المظفر من التعبير شيئاً فشيئاً عن الاستياء من التسلط العامري، فعقب وفاة الحاجب المنصور بسويعات تمرد الجيش الأندلسي الذي كان مرافقاً للحاجب المنصور في غزوته الأخيرة والتي مات فيها، رغم محاولة ابنه عبد الرحمن (شنجول) تهدئة خواطرهم[2]. فقد «اضطرب الغلمان عليه وطمعوا في ردّ الدولة فقال لهم عبد الرحمن: اصبروا، فكشفوا ما في أنفسهم، وقالوا: إنما نحن في حجر آل أبي عامر الدهر الداهر؟ نلحق بباب مولانا الخليفة هشام ولا نتدبر إلا بأمره[3]».

وفور تقلد عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر الحجابة، وأرسلت الكتب بشأن ذلك أمر الخليفة بمعاقبة أفراد الجيش العاصين، ونفى الحاجب بعضهم إلى سبتة[4]، وبذلك أعاد وحدتهم، وتمكنت له الطاعة، ويئس الجميع من الدولة العامرية وأدركوا أنها وراثية[5].

أما موقف الحاجب عبد الملك من الخليفة بشكل خاص فقد استمر كوالده المنصور في الحجر على الخليفة هشام المؤيد «وانهمك هشام طول أيامه، فلم يظهر وقتاً فيها، ولا شهد صلاة، واحتجب في نزهة الباطنة على رسمه في أيام أبيه المنصور»[6] .

فعندما يخرج الخليفة في نزهة يرتدي برنساً لا يعرف من بين الجواري اللواتي كن يرتدين البرانس أيضاً، كما يمنع العامة من التجول في الطرقات «وجعل يخرجه مع حرمه مستخفياً بعد طرد الناس عن طريقه، فيضرب به إلى

(١) إبراهيم بيضون، الأمراء الأمويون الشعراء في الأندلس، دار النهضة، بيروت، لبنان، د.ت، ص١١٦. وسيشار إليه تالياً : بيضون، الأمراء الأمويون .

(٢) ضيا باشا، الأندلس الذاهبة، جـ١، ص٢٠٢ .

(٣) الذخيرة، ق٤، م١، ص٢٠٥ .

(٤) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٧٨ .

(٥) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٧٨ .

(٦) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٨٢ .

كل ناحية، ثم يعود إلى قصره»[1]، كما انشغل الخليفة في أموره الخاصة واقتنائه الأشياء النفيسة المنسوبة للصالحين مما أدى إلى سيطرة النساء واستغلالهن الخليفة من أجل التماس الأموال[2]، وكان يقدم المنح والهدايا للحاجب عبد الملك ومنها جنة النخيل المعروفة بـ(بربنالش)[3]، وأثناء عودة الحاجب من الغزو يقدم له الخليفة المزيد من الصلات والخلع الثمينة .

وبالإضافة إلى تمرد الجيش في بداية حجابة عبد الملك فقد ظهرت محاولة انقلاب جادة، تستهدف إسقاط الأسرة العامرية، وعزل الخليفة المستضعف، وتقليد الأمر إلى أحد أفراد البيت الأموي، وتم التخطيط والتدبير لهذه المؤامرة بشكل سري من قبل أقرب المقربين للحاجب عبد الملك، وهو وزيره عيسى بن سعيد القطاع، وسعى القطاع سراً إلى مبايعة الأمير الأموي هشام بن عبد الجبار بدلاً من هشام المؤيد، وكان الغرض من ذلك هو اسقاط العامريين، وإعادة السلطة إلى المروانيين المعادين لهم، وتنصيب هشام بن عبد الجبار خليفة بدلاً من هشام المؤيد والقضاء على الأسرة العامرية نهائياً دون رجعة، وقد استجاب هشام بن عبد الجبار لهذه المؤامرة[4].

لكن الحاجب عندما علم بها قام بالقضاء عليها في وكرها، إذ أسرع لعقد مجلس للشراب، دعا إليه وزيره عيسى بن سعيد، فكشف الحاجب للأخير عن خطته التي يرمي إليها، وقتله في المجلس ذاته سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م[5]، وقال الشاعر ابن دراج القسطلي في هذا الحدث شعراً منه :

---

(١) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٢٠٦ .

(٢) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٨٣؛ ابن سعيد، المغرب، جـ١، ص١٩٣-١٩٤ .

(٣) بربنالش : هي أول ما اتخذه عبدالرحمن الداخل ، وكان فيها نخلة قال فيها شعراً :

يا نخل أنت غريبة مثلي   في الغرب نائية عن الأصل

ابن بشكوال، الصلة، جـ١ ، ص٣٢٨-٣٢٩ .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٣٠-٣٦؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، سفر٢١، ص١٨٢ .

(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٣٢-٣٥؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢١٣ .

شكراً لم أعطاك ما أعطاكا رب أذل لـــلكك الأملاكـــا[1]

أما المرشح الجديد هشام بن عبد الجبار ، فقد اختفى فترة من الزمن ووضع بيته تحت المراقبة، ثم قبض عليه، ومات في السجن بعد أيام قليلة[2].

وبعد مقتل الوزيز عيسى ألقى الحاجب المظفر خطاباً قال فيه إن طاعة السلطان من طاعة الله، وأنه يسير على نهج والده، وأضاف أنه لعجيب أن يتجرأ أحد على الخروج عن الطاعة ونبذ العهود، وأن الوزير عيسى نبذ هذا العهد، وشقّ عصا الطاعة، وهدم ركن الخلافة بما استمال من الرجال، وسلب من الأموال[3].

توفي الحاجب المظفر سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م ليتقلد الأمر بعده أخوه عبد الرحمن الملقب (شنجول) وأشارت عدة مصادر إلى أن الأخير اختلف قلباً وقالباً عن والده وأخيه، وكان مغروراً ، أحمقاً، طائشاً [4].

فبعد إعلان حجابته بأيام قلائل تلقب بعدة ألقاب سلطانية[5]، فكرهه الناس «وأبغضوه في الله، وابتهلوا لله تعالى في الدعاء عليه»[6]، بعدها أخذ الحاجب شنجول يتقرب من الخليفة هشام المؤيد أكثر ويرافقه في النزهات، وهو محجوب عن الرعية، يرتدي في حالة خروجه كالعادة برنساً في جملة الجواري، فلا يعرف منهن[7]، وكان يسعى من هذا التقرب إلى الحصول على لقب الخلافة، وهذه لم تكن لها سابقة في حجابة الأندلس وذكرت بعض المصادر أن

---

(١) ديوان، ص٦٠-٦١ .

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٣٥ .

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص١٠٥-١٠٦، ١٢١؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠٥-٢٠٦ .

(٤) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٩٤ .

(٥) المصدر نفسه، ق٢، ص٩٠ .

(٦) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٣٨ .

(٧) المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٠؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٩٠ .

الحاجب شنجول طلب من الخليفة أن يقلده ولاية العهد[1]، وهدده بالقتل إن لم يفعل ، وكثر الكلام حول هذا الموضوع[2].

وبذلك حقق الحاجب عبد الرحمن هدفه في توليه العهد بعد الخليفة، وبرر ذلك بأن الخليفة اختاره للخلافة دون بني عمه وأهله، إذ ليس له ولد يتولى الخلافة من بعده[3].

وتنفيذاً لأمر هذه البيعة ، أصدر الخليفة مرسوماً على نسختين من إنشاء كاتب الرسائل أبي حفص أحمد بن برد، وقد توجه الحاجب شنجول على رأس قوة عسكرية ، وبرفقة الوزراء والقضاة والفقهاء إلى قصر الخليفة في الزهراء، وكان أول الشهود على ذلك القاضي أحمد بن ذكوان، وتلاه أسماء تسعة وعشرين وزيراً، تلاهم مائة وستة وثمانين رجلاً من طبقات أهل الخدمة والفقهاء والحكام[4]. وأرسلت الكتب بشأن هذا إلى الكور والأقاليم للدعاء لولي العهد الجديد شنجول بعد الدعاء للخليفة[5]، وقد علق ابن عذاري على ولاية العهد هذه بالقول «فوصل هذا الجاهل بدعوى الخلافة عجرفية من غير تأول ولا أهلية، وكيف استهواه كيد الشيطان وغرته قوة السلطان إلى أن ركبها عمياء مظلمة لم يشاور فيها نصيحاً ... بل أخذها بالجملة»[6].

أما ردّة الفعل على إعلان ولاية العهد للحاجب شنجول التي هي في غير مكانها الصحيح، فقد وجدت معارضة من قبل كبار رجال الدولة، إذ انحازوا عن الحاجب لقلة عقله وجهله وبطشه[7].

---

(1) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٣٨، ٤٠، ٤٢ .

(2) المصدر نفسه، جـ٣، ص٣٩؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٠٧ .

(3) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٤٢-٤٣ .

(4) المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٦؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٩٣ .

(5) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٤٤-٤٦؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٩٠-٩٣ .

(6) البيان، جـ٣، ص٤٧ .

(7) المصدر نفسه، جـ٣، ص٣٩، ٤٣؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٩١ .

وبعد إعلان المرسوم وتوقيع الشهود، عاد الحاجب شنجول مع حاشيته إلى مدينة الزاهرة، يختال في ثوب الخلافة، ويحسب أنها له وأنه مستحق لها وقادر على القيام بأعبائها، وقدم له الوزراء وكبار رجال الدولة، التهاني في الظاهر، وقلوبهم حاقدة عليه[1].

وقدم أهل قرطبة التهنئة للحاجب شنجول بولاية العهد وهي عندهم أعظم مصيبة ، كل منهم يعزي نفسه، ويكفكف عبرته، وهم غير راضين عن ذلك[2].

أما أفراد البيت الأموي الذين تحملوا على مضض تسلط الأسرة العامرية، فكانوا غير راضين عن نقل الخلافة إلى العامريين، وهم أصحاب الحق الشرعي وجرياً للرسوم الجديدة في الأسرة العامرية، قدم أفراد البيت الأموي التهنئة لولي العهد الجديد ، ودخلوا على منازلهم يتقدمهم المبعدون عن الخلافة من أهل بيت هشام المؤيد، وغيرهم من بطون قريش تبدو عليهم في ظاهرهم الاستكانة والكبوة[3]، وتواصل تقديم التهاني من الناس «وقلوبهم موقدة ببغضه»[4].

وبعد فراغه من عقد ولاية العهد لنفسه ، انشغل بالملذات واللهو[5]، وفي الغزوة الأولى له، كان يأمر صاحب شرطته بالمناداة في الناس «يأمركم أمير المؤمنين بكذا وكذا»، وينادي ، ثم يسأله شنجول عن ردة فعل الناس ، ويطلب

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٤٦؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٩٣ .
وقال ابن يزيد المصري في مبايعة شنجول لولاية العهد :

إن ابن ذكوان وابن بـرد	قد ناقضا الدين بعد عمد
وعاندا الحق إذا أقاما	حفيد شنجة ولي عهـد

ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٧١-٢٧٢ .

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٤٧ .

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٤٧ .

(٤) المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٧ .

(٥) المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٧-٤٨ .

منه أن ينادي بذلك مراراً وتكراراً[1]، وكان شنجول قد بلغ مبلغاً من الاستخفاف في بني أمية، وعندما ينصح بأخذ الحيطة والحذر منهم يقول «لو اجتمع بنو مروان إلى مرقدي، وأنا نائم، ما أيقظوني»[2].

ويبدو أن الأمويين باتوا يرتقبون الفرصة المناسبة لاستعادة حقوقهم الشرعية، فكان انتقال ولاية العهد إلى العامريين وخروجها عنهم بلاءً لم يستطيعوا تحمله[3]، حتى عدها ابن حزم «فعلة خارجية»[4].

وفي سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م[5] وفي غياب الحاجب شنجول عن قرطبة في غزوة لطليطلة، قام بعض الأمويين بالتعاون والتنسيق مع بعض القبائل العربية، باسقاط الأسرة العامرية وقاد الانقلاب من الأمويين محمد بن هشام بن عبد الجبار والذي سبق أن قتل والده من قبل الحاجب السابق عبد الملك المظفر مع الوزير عيسى بن سعيد[6].

توجه الجميع بزعامة محمد بن هشام بن عبد الجبار إلى قصر الخليفة هشام المؤيد في مدينة الزهراء فخلع الخليفة بعد أن طلب منه الأخير منحه الأمان على نفسه «تؤمنني علي نفسي، وانخلع لك من الأمر، فقال : سبحان الله اتراني إنما قمت في هذا الأمر لأقتل أهل بيتي، وإنما قمت غضباً له ولنفسي وبني عمي ...»[7].

وتولى الخلافة محمد بن هشام وتلقب بالمهدي ورتب الخطط بعد أن عزل عن الحجابة حاجبها عبد الرحمن شنجول وقلدها بدلاً منه ابن عمه عبد الجبار بن المغيرة[8]، وقد اغترت العامة بدعاء هذين الرجلين بهاتين الخطتين وأعجبتهما

---

(١) المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٩ .
(٢) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٩٦ .
(٣) المصدر نفسه، ق٢، ص٩٠ .
(٤) ابن حزم، نقط العروس، جـ٢، ص٥٤ .
(٥) ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص٥-٦؛ المراكشي، المعجب، ص٨٦ .
(٦) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٦١؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٢، ص٤١١-٤١٢ .
(٧) النويري، المصدر نفسه، جـ٢٢، ص٤١٣ .
(٨) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٥٩ .

الاستجابة لهما»[1].

أما الحاجب شنجول الذي عاد إلى قرطبة، وقد تفرق عنه الناس من البربر وزعماء الأندلس، والصقالبة العامريين عند مكان يسمى منزل هاني فغلب عليه الجزع، وولى هارباً، خوفاً من القبض عليه ، فأرسل المهدي في طلبه ألف جندي[2]، بقيادة الحاجب محمد ابن ذرى فقبض على الحاجب شنجول وقتله ذبحاً وصلب على باب السّدة في قرطبة[3]، وقال من حضر هذه الحادثة ومن أعجب ما رأيت أنه تمّ سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م، فتح مدينة قرطبة، وهدم الزاهرة وخلع خليفة قديم الولاية وهو هشام بن الحكم ونصب خليفة جديد هو محمد بن هشام بن عبد الجبار، وزوال الدولة العامرية، وإعادة دولة بني أمية[4].

وبعد سقوط الأسرة العامرية سُرّ الناس بولاية المهدي وأقاموا الولائم والأعراس ابتهاجاً بهذه المناسبة[5]، وكان عهده بداية الفتنة البربرية، والصراع على السلطة بين الأمويين مع بعضهم البعض كالصراع بين الخليفة المهدي، وسليمان المستعين وأنصاره من البربر وبقايا البيت العامري[6]، وقد قتل الخليفة المهدي من قبل حاجبه واضح العامري، الذي كان يحقد عليه بسبب إطاحته بالأسرة العامرية، إضافة إلى سوء سيرة المهدي وانشغاله بالملذات، فقد تآمر على قتله مع مجموعة من الجند العامريين سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م[7]، وأعاد الخليفة هشام المؤيد للخلافة، وتولى واضح حجابته وبذل الأخير جهده لإخماد الفتنة وفرض الصلح مع البربر، إلا أن سليمان المستعين كان ناقماً عليه لقتله الخليفة المهدي وغدره له وقلة وفائه معه، فاستمر واضح في قتال البربر، وخرب

---

(١) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤١٣ .

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٤٩-٥٠ .

(٣) المصدر نفسه، جـ٣، ص٧٣؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤١٧ .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٧٤ .

(٥) المصدر نفسه، جـ٣، ص٧٤ .

(٦) المصدر نفسه، جـ٣، ص٨٢-٨٣ .

(٧) ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص٧ .

مدينة الرصافة وأحرقها[1]، وبلغ به التخاذل حد الاستنجاد بالنصارى مقابل التنازل عن الحصون والقلاع الإسلامية[2]، وبسبب استمرار الفتنـــــــة، أراد واضح الهرب من قرطبة فقبض عليه، وأدين بإتلاف الأموال، والتقرب من البربر الذين عاثوا فساداً في البلاد فقتله الجند سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م، وحزوا رأسه وطافوا به، وألقوا جثته على الرصيف بالموضع الذي ألقيت فيه جثة الخليفة المهدي[3]، وبمقتله أعلن الخليفة هشام عن عدم رغبته في تعيين حاجب له «قال أنا ما أريد حاجباً، أنا أباشر أموري بنفسي، وجلس أياماً للناس، ثم عاد إلى طبعه..»[4].

ويبدو أن الصراعات على السلطة بين الأمويين مع بعضهم البعض، وبين الأمويين والعلويين، وبين العلويين أنفسهم وقصر فترة من يتقلد الخلافة، حال دون تعيين حجاب لهم في هذه الفترة حيث لم تشر المصادر إلى منصب الحجابة بعد سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م .

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١٠٢ .

(٢) المصدر نفسه، جـ٣، ص١٠٢ .

(٣) المصدر نفسه، جـ٣، ص١٠٥ .

(٤) المصدر نفسه، جـ٣، ص١٠٥ .

الفصل الرابع

أثر الحاجب في الحياة الاجتماعية

والاقتصادية والعمرانية

أثر الحاجب في الحياة الاجتماعية :

ترك الاستقرار السياسي في عصر الخلافة الأول (٣١٦-٣٦٦هـ/٩٢٨-٩٧٦م) وعصر الدولة العامرية (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٩م) انعكاساً على المجتمع الأندلسي بكافة فئاته .

ويمثل الحاجب قمة الهرم الاجتماعي بعد الخليفة، وينتمي هؤلاء الحجاب إلى عناصر مختلفة من العرب والصقالبة والبربر، ويظهر أثر بعضهم واضحاً في الحياة الاجتماعية، وهنالك دلائل تشير إلى ثرائهم منها الهدية القيّمة التي قدمها جعفر بن عثمان المصحفي إلى الخليفة المستنصر، واشتملت على الغلمان بكامل أسلحتهم وخيولهم وعلى الملابس والأسلحة المختلفة ومجوهرات[1].

وقد اقتنى الحاجب المصحفي أثناء حجابته للخليفة المستنصر أموالاً طائلة، «واقتنى وادخر»[2]. وقد تعرضت جميع أمواله إلى المصادرة عندما نُكب من قبل الحاجب المنصور[3]. وكان الأخير قد دعا إلى عقد مجلس للوزراء بشأن أموال المصحفي[4]، وتمت مناظرته في هذه الجلسة من قبل الوزراء على المال، وكان رد المصحفي عليهم: «استنفذت ما عندي من الطارف والتالد، ولا مطمع فيَّ في درهم، ولو قطعت إرباً إرباً»[5].

بينما ترك الحاجب جعفر بن عثمان الصقلبي أموالاً وقصوراً، استحوذ عليها بعد وفاته الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، وكانت هذه الأموال من ضمن ما تمت مطالبة المصحفي بها أثناء محاكمته «ومما طولب به مال الصقلبي جعفر»[6].

---

(١) ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص٢٨٢؛ المقري، نفح، م١، ص١٤٤.
(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥٥.
(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص ٢٥٦، ٢٦٨.
(٤) ابن خاقان، مطمح، ص١٦٤-١٦٦.
(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٩.
(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٦، ٦٧.

والتي قبضها الحاجب المصحفي سراً[1].

وعهد الحاجب المصحفي أثناء حجابته للخليفة هشام المؤيد بأعلى المناصب في الدولة إلى أقاربه وأبنائه، ولكن هؤلاء قصّروا في تأدية واجباتهم، فانعدم الأمن الداخلي في البلاد وخاصة قرطبة أثناء ولاية محمد بن جعفر المصحفي للمدينة، فعزل عنها ليتولى مكانه محمد بن أبي عامر، وتمكن الأخير من حفظ الأمن، وقضى على الفسق والجرائم حتى «أنسى أهل الحضرة من سلف من أفراد الكفاة وأولي السياسة وقد كانوا قبله في بلاءعظيم»[2].

وعندما تولى الحاجب المنصور وابنه المظفر منصب الحجابة عمّ الأمن، فقد كان المنصور يسهر الليل ليتابع شؤون الرعية، ونستدل على ذلك من رده على فتاه قائلاً: «يا شعلة، حارس الدنيا لا ينام إذا نامت الرعية ..»[3].

وحرصاً على توفير الأمن للسكان، نشر الحاجب المنصور العيون لمراقبة الأمن في قرطبة، كما عيّن له كاتباً يدور في مختلف الدواوين يترصد ما يجري من أحداث ومداولات بين الموظفين، إضافة إلى أنه حارب الكهنة والمنجمين[4].

وعم الاستقرار والرخاء عهد الحاجب المظفر الذي كانت أيامه أعياداً، فنال رضى الناس وحبهم له لما عرف عنه من نزاهة وعفة ونقاء سريرة، وكانت أيامه مضرب المثل في الأمن والعدل[5] حتى قيل أن المنصور وابنه المظفر آخر سعد الأندلس[6].

ويتضح أن الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي انعكسا إيجابياً على المجتمع الأندلسي، فقد ارتفع مستوى المعيشة لأهل قرطبة في عهد الدولة العامرية، وتوفرت وسائل الراحة والاستجمام، واقتنى الناس الفرش والأثاث

(١) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٦٨.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٦.

(٣) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٧٦.

(٤) المصدر نفسه، ق٢، ص٧٦-٧٧.

(٥) المراكشي، المعجب، ص٨٥؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٠٧؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٨٥.

(٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٤.

الفاخر والتحف الثمينة[1]. وزاد هذا في عهد الحاجب المظفر، الذي اشتهر هو وأصحابه بالتأنق والزينة في مراكبه، وطلب الآلات الملوكية حتى جلب إليها كل نفيس ونادر[2] «فما رأى الناس بعهده ملكاً يعدله في البهاء والبهجة ...»[3] حتى بلغت الأندلس في عهده إلى نهاية الجمال والهدوء والرفاهية[4].

أما أوقات فراغ الحاجب من الأعمال، فكان يقضيها في النزهات، وممارسة بعض الهوايات كالسباحة، فقد شارك الحاجب جعفرالصقلبي القاضي المنذر بن سعيد البلوطي السباحة في برك متنزهات مدينة الزهراء بحضور الخليفة المستنصر[5].

ومن وسائل التسلية التي كان يستخدمها الحاجب في نزهاته القوارب المسماة (الزو)، وقد استخدمها الحاجب المنصور أثناء نزهته في النهر الذي تقع عليه مدينة الزاهرة مع حاشيته[6]، أما الحاجب شنجول فكان يخرج مع الجواري إلى المتنزهات وهو يرتدي البرنس[7].

وكانت مجالس الحجاب التي يشاركون فيها نُدماءهم، تتصف باللهو والطرب، وفي بعض الحالات كان يتخلص الحاجب من معارضيه ومناوئيه أثناء عقد هذه الجلسات التي غلب عليها طابع الرقص والطرب وشرب الخمر، والفكاهة حتى أن الحاجب موسى بن حدير حاجب الخليفة الناصر أمر باختلاس خاتم قاضي إشبيلية صهيب بن منيع القرطبي، وزاد على نقش خاتمه وأعاده إليه، ولما فطن القاضي للنقش غيّره[8]، وكان تصرف الحاجب موسى هذا من باب

(١) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٨٤.

(٢) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢١٢-٢١٣.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٨٠.

(٤) ابن سعيد، المغرب، ق٢، ص٢١٣.

(٥) ابن خاقان، مطمح، ص٢٥٥-٢٥٧.

(٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٩٩؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٨٠.

(٧) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٤٠.

(٨) ابن الأبار، الحلّة، جـ١، ص٢٣٧؛ انظرأيضاً: حسين دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م)، ط١، مطبعة الحسين الإسلامية، ١٩٩٤، ص٢٩١. وسيشارإليه تالياً: دويدار، المجتمع الأندلسي.

الدعابة والمرح وحسن الحديث والمجلس.

وفي هذا الصدد وصف الحاجب المصحفي الخمر فقال:

صفراء تبرق في الزجاج فإن سرت في الجسم دبّت مثل صلٍ لادغ

عبث الزمان بحسنها فتسترت عن عينه في ثوب نور سابغ[1]

ويظهر أن الطرب والموسيقى هما الصفة الغالبة على مجالس الحجاب فقد أطرب أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادي الحاجب المنصور، عندما دخل عليه والمنصور يحمل العود بين يديه راغباً في سماع الموسيقى للترويح عن نفسه، فأخذ أبو العلاء العود وغنى للمنصور على انفراد معه، فأُعجب به المنصور وقال: «إنك فرد في علم الموسيقى»[2].

ولم يقتصر الغناء والإنشاد على الجواري، بل إن إحدى بنات الحاجب المظفر، وتدعى ضنى العامرية كانت تهوى الإنشاد وتجيد الغناء، وقد طلبت من علي بن أحمد بن حزم أن يكتب لها أبياتاً من الشعر لتغنيها، فاستجاب لطلبها، ووضع لها أبياتاً في هذا المجال[3].

تخللت مجالس الأنس في عهد الحاجب المنصور الرقص أيضاً، فقد شارك الوزير أبو مروان بن شهيد وهو يعاني من مرض النقرس[4] بالرقص في إحدى هذه المجالس، وقال طرباً أبياتاً [5].

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥٥؛ انظر أيضاً: يونس، ماتبقى من شعر المصحفي، ص١٨٠.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٣٠؛ انظر: سالم، قرطبة، جـ٢، ص٩٧.

(٣) ابن حزم، طوق الحمامة، ص١٤٩-١٥٠؛ انظر: دويدار، المجتمع الأندلسي، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٤) النقرس: داء الملوك، وهو مرض يصيب المفاصل، بسبب فرط حامض البوليك في الدم إذ يظهر تحجر تحت جلد الإبهام، انظر: يوسف خياط، معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، بيروت، د.ت، ص٦٨٤.

(٥) وهذه الأبيات هي:

هاك شيخ قاده عذر لكا قام في رقصته مستهلكا

لم يطق يرقصها مستثبتاً فانثنى يرقصها مستمسكا

عاقه عن هزها منفرداً نقرس أضنى عليه فاتكا

فصاح شاعر من بغداد حضر المجلس اسمه الفليك: لله درك يا وزير، تصلي بالقاعدة، = =

ويتبين أن مجالس الأنس والطرب كانت تستغل من الحاجب في بعض الأوقات لتحقيق غايته بالتخلص من منافسيه ومعارضيه، فقد تخلص الحاجب المنصور من وزيره جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي مستعملاً الحيلة في ذلك، سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م، بعد أن ثمل الوزير من الشرب واستخفه الطرب والرقص، فقتل من قبل أحد رجال المنصور بعد خروجه من المجلس في منتصف الليل، وكان ذلك سراً، حيث أظهر المنصور الحزن عليه[1].

وقيل أن الحاجب المنصور كان أحسن الناس مجلساً وأبرهم بمن يحضر منادماً ومؤانساً، ولكن هذه المجالس لم تكن عقبة أمام قرارات المنصور وإشرافه على عمله فكان «ينفذ الأمور، والكأس تدور، والجبال للطرب تمور»[2].

وأصدر الحاجب المنصور أمراً بمنع شرب الخمر، وعدم دخوله مدينة قرطبة[3]. وأقلع المنصور عن شربه قبل وفاته بسنتين[3].

وتظهر النقوش المحفورة على العلب والصناديق العاجية والتي نقش عليها مجالس الأنس والشراب مدى اتساع المجالس في عهد الحاجب المظفر، فقد أنتجت دار الصناعة في الأندلس، صناديق عاجية سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م تعود إلى عهد الحاجب المظفر[4].

وسار الحاجب المظفر على نهج والده في استغلال مجالس الأنس والشراب في التخلص من المعارضين، ففي سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م، أقام المظفر مجلساً للشراب، دعا إليه وزيره عيسى بن سعيد القطاع وأظهر السرور في استقباله،

= وترقص بالقائمة، فزاد الحاجب المنصور فرحاً، ووزع مالاً على الجميع. انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٢٨؛ ابن شهيد، ديوان، ص١١-١٢(مقدمة المحقق).

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٨٠-٢٨١؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٦٥.

(٢) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٧٥.

(٣) جهاد الزغول، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤، ص١٥٣. وسيشار إليه تالياً: الزغول، الحرف والصناعات.

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٨٩.

(٤) دويدار، المجتمع الأندلسي، ص٢٨٥-٢٨٦؛ سالم، قرطبة، جـ٢، ص٩٦-٩٧.

وحث السُّقاة عليه، فشرب الوزير كثيراً ثم سل المظفر سيفه، وقتل وزيره في المجلس مع صاحبيه خلف بن خليفة، وحسن بن فتح[1]. وأمر بإغراق جثثهم في النهر، ثم قام الحاجب بالإقلاع عن الشراب ولم يعد إليه مدة حياته[2].

أما الحاجب شنجول، فوُصِفَ بانشغاله باللهو واللذة والخلط والفسوق، وكان يحرض أصحابه بعضهم على بعض في مجالس شرابه، إذ كان مُكِباً باستمرار على شرب الخمر[3].

وهناك إشارات إلى قيام بعض الحجاب بأعمال البر والتقوى، فذكر أن الحاجب جعفر الصقلبي كان يوزع الأموال على الفقراء والمحتاجين واليتامى ويتفقد أحوالهم[4]، كما شارك الحاجب واضح العامري في خلافة هشام المؤيد الثانية (٤٠٠-٤٠٣هـ/ ١٠٠٩-١٠١٢م) في مرافقة جنازة أحمد بن عبد الملك بن هاشم الإشبيلي المعروف بابن المكوى سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م[5].

ورغم ما اتصف به المنصور من مكر ووسائل استغلها في القضاء على خصومه فقد عُرف عنه صحة الباطن، والخوف من الله تعالى، فإذا ذُكِّر بالله ذكر، وإذا خُوِّف من عقابه ازدجر، كما كان عدلاً مع الخاصة والعامة، لا يهاود أحداً على حساب الآخر حتى ولو كان من أقرب المقربين إليه من خاصته وحاشيته[6]، منصفاً للمظلومين. ومن بعض الأمثلة على ذلك أنه أمر بتسليم أحد فتيانه من الصقالبة إلى صاحب المظالم عبد الرحمن بن فطيس لمحاكمته، ثم أبعده من الخدمة في القصر، بعد أن صدر الحكم عليه لشكوى قدمت ضد الفتى من قبل رجل من العامة، وقال المنصور: «ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية»[7]. كما أنصف تاجراً مغربياً من فتاه الميورقي، فسخط المنصور على الأخير وصادر أملاكه،

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص١٢٦-١٢٧.
(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٣٢.
(٣) المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٧-٤٨.
(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٥٣ .
(٥) ابن بشكوال، الصلة، جـ١، ص٥٢-٥٤.
(٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٨٩.
(٧) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٨٩.

نهر قرطبة عليها. وقدرت التعويضات بمائة دينار ذهباً[1].

وشارك بعض الحجاب في المناسبات الاجتماعية التي أقيمت في قرطبة، منها مشاركة الحاجب المصحفي في الاحتفال الكبير الذي أقامه الخليفة المستنصر بمناسبة مولد ابنه هشام المؤيد سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م من جاريته صبح البشكنسية، وحضر الاحتفال كبار رجال الدولة[2].

وأقام الحاجب المنصور احتفالاً كبيراً بمناسبة ختان أحد أولاده، وختن معه ما يقارب خمسمائة طفل، وشارك في الاحتفال بعض المطربين، وأصحاب اللعب والفكاهة، وقدمت فيه الهدايا والولائم[3]. كما قام بتحرير ألف وثمانمائة رقبة من العبيد المغربية ذكوراً وإناثاً بعد انتصاره في أرض العدوة[4].

ونظر الحجاب في إطلاق بعض السجناء، وخاصة الحاجب المنصور وابنه المظفر، فأطلق الأخير من يؤمَن شره بالمسلمين[5]. وكان المظفر يتردد على الصالحين[6] ويوزع العطايا عليهم[7]، ويقدم الصدقات للمحتاجين، ومن هذه الصدقات أنه أرسل مبلغ خمسمائة دينار إلى أحد الصالحين وقال له: «إنها من أطيب تراثي، وأريد أن تضعها بمكان ينفع»[8]. وزع عطاءً على المطوعة الذين شاركوا في غزوته من المغرب[9]، ووصفه المظفر بالعدل وحماية الشرع والدين ونصرة المظلوم، وقمع العدو[10].

(١) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٨٨.
(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٣٧؛ دويدار، المجتمع الأندلسي، ص٢١١.
(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٤٦ ؛ دويدار، المجتمع الأندلسي، ص٢١٠-٢١١.
(٤) جوزف مونرو، الفتوحات الإسلامية، ص٢٢٩.
(٥) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٨٦.
(٦) زار الحاجب المظفر الشيخ محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن عبدوس الخشني ويعرف بابن المشكيالي من أهل طليطلة، فاكرم مثواه، ودعا له الشيخ: «اللهم أدخل له في قلوب رعيته الطاعة، وأدخل لهم في قلبه الرأفة والرحمة، ثم انصرف». ابن بشكوال، الصلة، جـ٢، ص٧١٢-٧١٣.
(٧) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٨٥.
(٨) المصدر نفسه، ق٢، ص٨٦.
(٩) المصدر نفسه، ق٢، ص٨٧.
(١٠) المصدر نفسه، ق٢، ص٨٤.

أما الملابس التي كانت سائدة ويرتديها كبار الشخصيات فهي الطيلسان، ويضعونه للزينة على الكتف أو الكتفين مطوياً طياً ظريفاً، وتبين بعض النصوص أنواع هذه الملابس من خلال الهدايا والصلات القيّمة التي قدمها الحاجب المنصور لحاشيته وجنده. فمثلاً أمر لأبي العلاء صاعد البغدادي بألف دينار، ومائة ثوب ما بين غلائل وطيقان وعمائم[1]. بينما وزعت أنواع أخرى من الملابس على الجند البربر الذين وصلوا للأندلس، فكانت تستبدل ملابسهم البالية بملابس الخزّ الطرازي[2]، ويركبون بدلاً عن خيولهم الرديئة الخيول الأصيلة، ويسكنون قصوراً لا يحلمون بمثلها[3].

وبعد انتصار الحاجب المنصور في غزوة شنت ياقب سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م أمر بتوزيع فاخر الملابس على ملوك الإسبان والزعماء المسلمين، وقد بلغت أعداد هذه الكسي ألفين ومائتين وخمساً وثمانين كسوة من الخزّ الطرازي، وإحدى وعشرين كسوة من صوف البحر، واثنين عنبريين، وملابس أخرى متنوعة كبيرة القيمة[4]، وعدّ ابن الخطيب هذه الأعداد «بما يضيق عن طاقة الملوك»[5].

أما الملابس الخاصة بالحاجب فكانت مختلفة من حاجب لآخر، ومنها القلانس[6]. وقد ارتداها الحاجب عيسى بن شهيد حاجب الأمير عبد الرحمن الأوسط، وهاشم بن عبد العزيز حاجب المنذر، وغالب الناصري في حجابته وكذلك الحاجب شنجول، وعندما قبض على الأخير سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م أمر الحاجب ابن ذرى بانتزاعها عن رأسه، فانتزعت[7]. بينما اختلف عنهم الحاجب

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص١٩.

(٢) الثياب التي طرزت بالديباج وهي من الحرير الفاخر، انظر: مليحة رحمة الله، الحياة الاجتماعية، ص١١٧.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٧٩.

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٩٧.

(٥) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٦٨.

(٦) القلنسوة: من أغطية الرأس المحبذة عند المسلمين، وتصنع من الوشي أو الخزّ أو الصوف، أو الفراء، انظر للمزيد من التفاصيل: سحر سالم، ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، بحوث ندوة الأندلس، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٤، ص٢٥٤. وسيشار إليه تالياً: سحر سالم، ملابس الرجال.

(٧) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٧٢؛ سحر سالم، ملابس الرجال، ص٢٥٤.

غالب الناصري، فكان يرتدي طرطوراً [1] (قلنسوة) عالياً على رأسه، وقيل كان يرتدي على رأسه طشتان مذهب مرتفع السمك قد عصبه بعصابة حمراء، وشد جبينه بعصابة أخرى[2] ، يوم وفاته فجأة في ساحة القتال سنة ٣٧١هـ/٩٨١م[3]. وعندما ظهر الحاجب المظفر في موكبه الذي خرج فيه للغزو سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م وضع على رأسه بيضة حديدية على شكل خوذة مثمنة الشكل شديدة الشعاع[4].

وهناك تطورات جديدة طرأت على ملابس الطبقة العليا من رجال الدولة في عهد الحاجب شنجول على اثر ولايته العهد، فقد أصدر قراراً وبشكل إجباري، دعا فيه طبقات أهل الخدمة إلى خلع قلانسهم الطويلة المرقشة والمزخرفة، والتي اعتادوا على لبسها منذ حقبة طويلة ويتفاخرون بها كونها تميزهم عن الرعية، وأمرهم باستبدالها بالعمائم[5] مهدداً إياهم بالعقوبة في حالة عدم الانصياع لأوامره، فما كان من هؤلاء إلا أن استعانوا بالبربر لتوفيرها لهم، خاصة وأنهم يرتدونها ومن زيهم، وتصف بعض المصادر حالة هؤلاء عندما ارتدوها بأنهم ظهروا في أبشع صورة، وأصبحوا للناس أضحوكة[6]. وأضاف الذهبي أن زيهم كان زي أصحاب الشعور المكشوفة، فأمرهم بحلق الشعر وشد العمائم تشبيهاً بزي البربر من بني زيري[7].

ورغم أن البرنس من ملابس الجواري، إلا أن الحاجب شنجول لبسه عندما

---

(١) الطرطور: من أنواع القلانس الطويلة والدقيقة الرأس، وهي من ملابس الأعراب، إبراهيم يونس، المعجم الوسيط، ط٢، جـ٢، ص٥٥٥؛ أحمد رضا، معجم متن اللغة، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩، م٣، ص٩٧.

(٢) ابن حزم، رسائل، جـ٢، ص٩٤، حاشية (٢) .

(٣) ابن حزم، رسائل، جـ٢، ص٩٤؛ سحر سالم، ملابس الرجال، ص٢٥٤؛ العبادي، في التاريخ العباسي، ص٤٤ .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٥؛ انظر: مليحة رحمة الله، الحياة الاجتماعية، ص١١٦.

(٥) العمائم: لباس الرأس الشائع والمعروف في الأندلس، والعمامة طويلة وكبيرة تتدلى أطرافها على الكتفين. وساد استخدام العمامة البيضاء في الأندلس، أبو الحسن علي بن سيده، المخصص، ٥ج، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت، جـ١، ص٨١-٨٣. وسيشار إليه تالياً: ابن سيده، المخصص؛ انظر: مليحة رحمة الله، الحياة الاجتماعية، ص١١٥.

(٦) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٤٨.

(٧) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٢٧ج، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط٢، =

خرج للنزهة مع جواري الخليفة هشام المؤيد متخفياً بذلك في حدائق القصر[1].

كما لبس الحاجب شنجول الخف في قدميه، فلما قبض عليه «أخرج من خفه سكيناً»[2].

ولا بد من الإشارة إلى أن المرأة الأندلسية[3] لعبت دوراً سياسياً واجتماعياً خلال عصر الخلافة، فعن طريقها وصل بعض كبار الشخصيات إلى أعلى مناصب الدولة وهو الحجابة.

ومن بين النساء اللواتي وردت أسماؤهن في المصادر المختلفة صبح جارية الحكم المستنصر، وهي بشكنسية نافارية الأصل تصفها المصادر بالجارية أو الحظية. وصبح ترجمة لكلمة أورورا (Aurora)[4] الفرنجية ومعناها الفجر أو الصباح الباكر، وهو الاسم النصراني الذي كانت تحمله فيما يظهر. ولم توضح المصادر هل استُرِقّت بالأسر، أو كانت رقيقاً بالملك والتداول[5].

وظهرت صبح في بلاط قرطبة في أوائل عهد الخليفة المستنصر، وكانت مغنية حظية عنده، وكان الخليفة المستنصر يسميها بجعفر، وتوفيت في خلافة ابنها هشام المؤيد[6]، واتصفت صبح بحسن الأخلاق والجمال الرائع وشغف بها الخليفة المستنصر حتى أصبحت ذات نفوذ ورأي، وازداد هذا النفوذ عندما أنجبت للخليفة الحكم سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م ولداً اسمه عبد الرحمن، الذي مات وهو طفل ثم أنجبت له ولداً ذكراً آخر سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م هو هشام المؤيد[7].

ورغم أنها كانت جارية وحظية[8]، ولم تكن زوجة حرة، إلا أنهابلغت مكانة في القصر وكأنها ملكة شرعية، وقد سمتها الروايات الإسلامية صبح أم المؤيد[9].

= دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣، أحداث سنوات ٣٨١-٤٠٠هـ ص٣٧٤. وسيشار إليه تالياً : الذهبي، تاريخ الإسلام.

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٤٠.

(٢) المصدر نفسه، جـ٣، ص٧٣.

(٣) عن المرأة الأندلسية انظر: بحث محمد عبد العزيز عثمان، المرأة العربية في الأندلس، مجلة المؤرخ العربي، ع١٢ (الخاص بالمغرب والأندلس)، ١٩٨٠.

(٤) انظر: Dozy, Ispanich Islam, Vol.3, P. 515.

(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ٢٦٨-٢٦٩؛ انظر: عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٢٠؛ دويدار، المجتمع الأندلسي، ص٧٢.

(٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٣٥.

(٧) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٣٥، ٢٣٧.

(٧) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٣٧.

(٩) المراكشي، المعجب، ص٧٤.

أو أم هشام[1]، وتصفها الدراسات الأجنبية بالسلطانة صبح[2].

كانت كلمة صبح هي النافذة، خاصة في تعيين الوزراء ورجال البطانة، وقد اجتهد الحاجب المصحفي في خدمتها، وساهم الأخير في إيصال ابن أبي عامر إلى داخل القصر، عندما طلبت السيدة صبح وكيلاً لابنها عبد الرحمن فاختارته بناءً على اختيار المصحفي له فعينته لخدمتها وخدمة ابنها عبد الرحمن[3]. وكان محمد شاباً في السابعة والعشرين من العمر، عندما عين وكيلاً لابنها عبدالرحمن سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م، وعين بمرتب خمسة عشر ديناراً شهرياً[4]،ثم تقلد بوساطة صبح عدة مناصب في الدولة أثبت كفاءة في جميعها لعناية صبح ومؤازرتها له، وذكر أحد المؤرخين أن خدمته للسيدة صبح سبب بروزه، وإنها السبب في نقل السلطات إليه. وقد استمال السيدة صبح لجانبه بحسن المعاملة ولطف الحديث وتقديم الهدايا الثمينة[5]، ومن بين هذه الهدايا التي أتحفها بها أن صنع لها قصراً من فضة عندما كان والياً للسكة، وأدت العلاقة الوثيقة بينهما إلى إثارة شكوك الخليفة المستنصر تجاهه، وتساءل عن سر استلطاف نساء القصر له، رغم توفير كل ما يحتَجْنَ له من زينة وحلي وزخارف، إلا أنهن كن يبدين الثناء على هداياه لهن، ولا يرضيهن إلا ما آتاه، وقد أبدى الخليفة المستنصر خوفاً على ما في يده من أموال السكة، خاصة بعد أن ازدادت السعاية ضده، فأمر المستنصر بمحاكمته، فأسرع ابن أبي عامر إلى سد العجز في مال السكة، بالاستدانة من أحد الوزراء، وأثبت براءته أمام الخليفة، وزالت التهمة عنه[6]. وتوثقت العلاقة بين محمد بن أبي عامر والسيدة صبح بعد وفاة الخليفة المستنصر سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م. وقيل أنها نفذت البيعة لابنها هشام المؤيد في محاولة منها لتكون الوصية على العرش. وقد رأى محمد بن أبي عامر في هذه المرأة أداة صالحة هينة يستطيع أن يخضعها لإرادته لتساعده في تحقيق مشاريعه

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٧٢؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٦٨.

(٢) عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٢٠؛ انظر: Dozy, Spanish Islam, vol3, p.488.

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥١.

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٥١؛ عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٢٢.

(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥٢.

(٦) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٥٢.

البعيدة المدى[1]، وبالوقت نفسه كانت السيدة صبح تنظر إلى ابن أبي عامر على أنه الرجل القوي والوحيد الذي يستطيع أن يحمي ابنها ويحفظ الأمن. وزاد إعجابها به بعد نجاحه في رد الهجوم الاسباني على شمال الأندلس سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م[2].

واستمر ابن أبي عامر في خدمة صبح ونساء القصر حتى حقق مراده، فاستعان بها على هلاك الحاجب المصحفي، فأشركت القائد غالب في الحجابة مع الحاجب المصحفي[3]. وساهمت صبح في الإشراف على حفل زواج محمد بن أبي عامر من ابنة غالب[4].

وتذكر دراسات حديثة أن السيدة صبح كان لها الدور في عزلة ابنها المؤيد، كونها هي التي أظهرت ابن أبي عامر على حساب ابنها، إضافة إلى أن المؤيد افتقر إلى الصفات التي تؤهله للحكم، فكان ميالاً إلى اللهو والدعة بين المتنزهات وآلات الطرب، وشجعت صبح وابن أبي عامر هذه الميول لديه وعملت على تغذيتها حتى أصبح هشام المؤيد سجين القصر[5].

استطاع ابن أبي عامر بعد أن تقلد منصب الحجابة أن يسيطر على مقاليد الحكم، وتلقب بالألقاب السلطانية، فما كان من السيدة صبح وبعد فوات الأوان إلا أن أخذت تعمل ضده، خاصة بعد أن أثيرت الأحاديث حول علاقتها به[6]، حتى قيل أنه تزوجها سراً[7]، وقيل أرضعته فسمي ظئر[8] هشام[9]، فعارضته ونشرت بين المعارضين للمنصور خطته بعزل ابنها الخليفة هشام المؤيد عن الحكم. ونسب

---

(١) عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٢٥.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٢؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠٠؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٤.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٥.

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٥، ٢٦٧.

(٥) عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٢٥.

(٦) ابن حزم، نقط العروس، جـ٢، ص٦٨؛ دويدار، المجتمع الأندلسي، ص٣٢٨.

(٧) ابن حزم، نقط العروس، جـ٢، ص٦٨.

(٨) ظئر: العاطفة على غير ولدها، وينال الرعاية والعناية من مرضعته. ابن منظور، لسان العرب، م٤، ص٥١٤، ٥١٥.

(٩) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص١٩٥.

إليها أنها كانت وراء الصراع الذي حصل بين غالب والمنصور[1]، كما أرسلت إلى زيري بن عطية حاكم المغرب الأموال واستدعته لدخول الأندلس، وكان زيري من الموالين للأمويين والناقمين على المنصور بحجره على الخليفة هشام المؤيد، إلا أن المنصور قبض على جميع أموال الدولة التي كانت في الزهراء، وبذلك أدركت السيدة صبح أنها لا تستطيع مقاومة هذا الرجل القوي، فلجأت إلى السكينة والعزلة[2].

ورجّح ابن عذاري أنها توفيت في خلافة ابنها المؤيد[3]. وحدد أحد الباحثين تاريخ وفاتها بأنه كان سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٠م قبل وفاة المنصور، وقد رثاها الشاعر ابن دراج في قصيدة مؤثرة[4].

ومن النساء اللواتي لعبن دوراً في الأسرة العامرية السيدة الذلفاء الزوجة الحرة للحاجب المنصور التي اتصفت بالذكاء وقوة العزم، وكثرة المال، والوجاهة، فقد أشير إلى أن المنصور أودع أموال الدولة قبل وفاته عندها[5]، مما يدل على تمتعها بنفوذ كبير، وقدرة على التدخل في الشؤون السياسية[6].

وبلغت السيدة الذلفاء من علو الدرجة والنفوذ السياسي حتى أنها تمكنت من الإطاحة بالوزير عيسى بن سعيد القطاع، وزير ابنها الحاجب المظفر، وحرّضت ابنها المظفر على قتله، لما ورد عنه من محاولته إحداثَ انقلابٍ على الأسرة العامرية «فدخلت على ابنها، فصدقته عن تهمة عيسى، وعزمت عليه في قتله، فلم يشكّ في صحة ذلك، وخرج فوراً فأمر بقتله»[7].

ويبدو أن السبب الذي دفع بالسيدة الذلفاء للإيقاع بالوزير ابن القطاع

(١) المقري، نفح، م١، ص٢٨٢؛ عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٢٧.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٧١.

(٣) البيان، جـ٢، ص٢٥٢.

(٤) ابن دراج، ديوان، ص١١٩-١٢١.

(٥) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٨١.

(٦) فائزة حمزة عباس، دور المرأة الأندلسية في الحياة العامة من الفتح حتى نهاية الخلافة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٨٩، ص١٦١. وسيشار إليه تالياً: فائزة حمزة، دور المرأة؛ خالد حسن حمد الجبالي، أثر الزواج المختلط ما بين العرب والإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس وحتى سقوط الخلافة ٩٢-٤٢٢هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٥، ص١٨١. وسيشار إليه تالياً: الجبالي، الزواج المختلط.

(٧) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٦٣-٦٤؛ انظر: فائزة حمزة، دور المرأة، ص١٦١؛ عمر رضا =

ليس محاولته العمل ضد الحاجب المظفر فقط، إنما بسبب تشجيعه الحاجب المظفر على الزواج من فتاة من العامة اسمها واجد[1] ابنة الجنان، فعارضت الذلفاء زواج ابنها من هذه الفتاة لأنها ليست من طبقتهم، فضمرت للوزير حقداً بسبب ذلك[2].

وأدت السيدة الذلفاء دوراً بارزاً على الساحة السياسية، فبعد وفاة ابنها الحاجب المظفر سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م، اتهمت الذلفاءُ أخاه شنجول بقتله، رغم ما وفره الأخير لها من رعاية وإكرام، لكنها سعت بالإيقاع به ووجدت الوقت المناسب لذلك بعد إعلان شنجول ولاية العهد له، فأرسلت فتاه بشر الصقلبي إلى محمد بن هشام (المهدي) تحرضه على القيام ضد الحاجب شنجول، وقد تبرعت بتقديم المال اللازم لذلك، فحصل لها ما أرادت، حيث أطاح بحكم الأسرة العامرية، وقتل الحاجب شنجول سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م بعد أربعة أشهر من حجابته[3]. وقيل أن الذلفاء زوجة المنصور اتهمت شنجول بقتل أخيه المظفر بالسم فحرضت المروانيين على الوثوب عليه بوساطة بشر الصقلبي من الفتيان العامريين المنحرفين عن مولاه شنجول، فأرشده المروانيون إلى أحد أفرادهم وهو محمد بن هشام، ووعده بشر عن الذلفاء بتقديم الدعم والمال لهم[4].

وبعد مقتل الحاجب شنجول، صان الخليفة المهدي السيدة الذلفاء وحفيدها محمد بن عبد الملك المظفر، وأذن لها بالانتقال من الزاهرة التي دمرت إلى قصرها داخل قرطبة، مطلقة اليد في كامل أملاكها وذخائرها ولم تفقد منها شيئاً أثناء الفتنة، وتمتع بهذه الأملاك حفيدها محمد بن عبد الملك بعد وفاتها[5].

فإلى جانب الذلفاء، الزوجة الحرة للمنصور، تزوج الحاجب المنصور من

= كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ٥ج، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، جـ١، ص٤٢٧. وسيشار إليه تالياً: كحالة، أعلام النساء.

(١) بعد مقتل المظفر تزوجت واجد من الوزير عبد الله بن مسلمة صاحب مدينة قرطبة، أيام حجابة شنجول، وبعد مقتله تزوجها رجل من رؤساء البربر. ابن حزم، طوق الحمامة، ص١٩-٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١٩-٢٠؛ ابن حزم، نقط العروس، جـ٢، ص٧٠؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص١٢٤-١٢٥؛ انظر: الجبالي، الزواج المختلط، ص١٨١؛ فائزة حمزة، دور المرأة، ص١٦٠.

(٣) التواتي، مأساة، ص٥٢٨-٥٢٩.

(٤) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١٠٩.

(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٦٣-٦٤؛ انظر: الجبالي، الزواج المختلط، ص١٨٢-١٨٣.

أسماء ابنة القائد غالب الناصري سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م وزفت إليه ليلة النيروز، وكان أعظم عرس في الأندلس[1].

ووُصفت أسماء بأنها من أجمل نساء عصرها، وأكثرهن ثقافة، وذات أدب صالح[2]، وأقيم لها حفلٌ زواج كان مضرب المثل في البذخ والبهاء، تزوجت أول مرة من الوزير عبد الرحمن بن موسى بن حدير، فطلقها على عهد الخليفة المستنصر.

وتعتبر هذه المصاهرة زواجاً سياسياً، أراد منه ابن أبي عامر فصم عُرى الوفاق بين الحاجب السابق المصحفي وبين قائد الجيش غالب[3]، فأسرع ابن أبي عامر إلى فسخ عقد الزواج من ابن المصحفي، فطلب يدها، وتزوجها، ودام هذا الزواج مدى الحياة[4].

وبعد انتهاء المواجهة العسكرية بين الحاجب المنصور وصهره غالب والد أسماء، وموت غالب، امتحنها زوجها عندما أمر بعرض رأس أبيها، عليها سنة ٣٧١هـ/٩٨١م، فلما وضع بين يديها قالت: «الحمد لله الذي أراحك وحكم لمولاك، أمَا لولا طاعة الإمام المولى، وحق الزوج المطاع، لقضيت للحزن عليك أوطاراً، وإني بالحزن لك لأولى مني بالحزن عليك»، ثم طلبت ماء الورد والطيب، وغسلت وجهه وسرحت شعره، ونشرت عليه كثيراً من المسك، وأرسلت به إلى الخليفة هشام المؤيد[5].

ومن بين المصاهرات السياسية للحاجب المنصور، زواجه من ابنة الملك شانجه بن غارسيه الثاني (Sancho Garces Abarca 11)، المدعو أباركا ملك النافار التي اعتنقت الدين الإسلامي وتسمت بعبدة، وأنجبت للحاجب المنصور ابنه عبد الرحمن، الذي أطلقت عليه أمه اسم (Sanchue|o)، أي (سانشو الصغير)(Sancho)[6]، ذكرى لأبيها شانجه (Sancho)، حيث كان يشبهه في

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٥؛ عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٢٩.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٥، ٢٦٧.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٥.

(٤) أبو عبدالله محمد بن محمد المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة المعارف، الرباط، ١٩٨٤،، ق٢، سفر٨، ص٤٧٩. وسيشار إليه تالياً: المراكشي، الذيل والتكملة.

(٥) المصدر نفسه، ق٢، ص٤٧٩-٤٨٠.

(٦) انظر: Dozy, Ispanich Islam, Vol.3, P. 538.

الشكل، ونال هذا الاسم تحريفاً من العامة فتغير اللفظ إلى شنجول(Sancho)[1].

وذكر ابن الخطيب أن عبدة كانت من خير نساء المنصور، ذات دين متين وحسب رفيع[2]، كما تزوج المنصور من تيريسا (Tirieza) إبنة الملك برمودا الثاني (Bermudo11) ملك ليون[3] سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م، ولكنه لم يرزق منها بولد، وبعد وفاة زوجها المنصور عادت لبلادها[4].

وهذه المصاهرات ساهمت في اختلاط الدماء العربية بالدماء الاسبانية، ثم شاعت هذه المصاهرات بين عامة الناس[5].

وانعكست انتصارات المنصور في غزواته ضد الممالك النصرانية على مستوى المعيشة للسكان، فكثرت الأموال وبنيت القصور، واقتنى الناس الغلمان والجواري وذكر المراكشي في أيام المنصور، تغالى السكان بالأندلس فيما يجهزون به بناتهم من الثياب والحلي والدور، وذلك لرخص أثمان بنات الاسبان، فكان الناس يرغبون في بناتهم بما يجهزونهن به، ولولا ذلك لم يتزوج أحد حرة، ووصل انخفاض الجواري حداً أنه تم بيع إبنة ملك من عظماء الروم -أي الاسبان- بقرطبة، وكانت ذات جمال رائع بمبلغ ربما لا يساوي أكثر من عشرين ديناراً عامرية[6].

ويتضح مما سبق أن إغراق البلاد بالجواري قد أدى إلى أزمة اجتماعية

---

(١) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٦٥؛ دويدار، المجتمع الأندلسي، ص٧٢؛ عبد الرحمن علي الحجي، أندلسيات، ط١، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، ١٩٦٩، ص٧٩-٨٠. وسيشار إليه تالياً: الحجي، أندلسيات.

(٢) الحجي، أندلسيات، ٧٩-٨٠ .

(٣) المرجع نفسه، ص٧٩؛ علي محمود راضي، الأندلس والناصر، دار الكتاب العربي، د.ت، ص١٠٨. وسيشار إليه تالياً : راضي، الأندلس والناصر .

(٤) أعادها الحاجب المظفر، ويقال أنها طلبت إدخالها أحد الأديرة حيث قضيت بقية حياتها حتى توفيت سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٩م، انظر: دويدار، السفارات السياسية، ص٥٢ .

(٥) راضي، الأندلس والناصر، ص١٠٨ .

(٦) المعجب، ص٨٤ .

عانى منها المجتمع الأندلسي[1]، حتى تغالى الناس في تجهيز بناتهم بالثياب الفاخرة والحلي الثمينة من أجل اقبال الشباب الأندلسيين على الزواج منهن[2].

وفي إحدى غزوات المنصور لمملكة جليقية سنة ٣٧١هـ/٩٨١م عاد بأربعة آلاف سبية، ويظهر من ذلك مدى اغراق البلاد بالجواري، وما ترتب على ذلك من تغييرات على واقع المجتمع الأندلسي [3].

ويبدو أنه في عهد الحاجب المظفر، ارتفعت أسعار الجواري بسبب الهدوء والاستقرار السياسي، فتراجعت أعداد الجواري عما كان عليه في عهد المنصور، حتى كان الناس يقولون «مات الجلاب مات الجلاب» وبقيت الجواري في عهد الحاجب المظفر من مظاهر الزينة والأبهة، ويتنافس الناس في شرائهن، وقد أباح المظفر الحريات، وراقت أيامه[4].

وكثيراً ما يتم تبادل الجواري كهدية من الحاجب إلى أحد كبار الشخصيات ، ومثال ذلك : إهداء الحاجب المنصور إحدى جواريه وتدعى أنس القلوب لوزيره أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم[5]،.كما أهدى بعد عودته من إحدى الغزوات إلى ابن شهيد[6] أربع جوار على درجة من الحسن والجمال[7].

---

(١) نايف سلامة العميان، الخراج في عهد الدولة الأموية في الأندلس (٩٢-٤٢٢هـ/ ٧١١-١٠٣١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية،١٩٩٦، ص٩٥. وسيشار إليه تالياً : العميان، الخراج ؛ انظر: جوزيف رينو، الفتوحات الإسلامية، ص١٩٤ .

(٢) حازم عبد الله، ابن شهيد، ص١٣؛ التواتي، مأساة، ص١٩٢.

(٣) ابن الابار، الحلة، جـ١، ص٢١٦؛ حسين دويدار، المجتمع، ص٣١٩ .

(٤) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٥ .

(٥) المقري، نفح، م١، ص٢٨٩-٢٩٠؛ دويدار، المجتمع الأندلسي، ص٢٨ .

(٦) هو أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن شهيد، كتب إلى المنصور بعد عودة الأخير من إحدى الغزوات : أنا شيخ والشيخ يهوى الصبايا فبنفسي أقيك كل الرزايا
ابن خاقان، المطمح، ص٣٩٦؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠٣؛ انظر : ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٣٠٠ .

(٧) ابن خاقان، مطمح، ص٣٩٦؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٣٠٠ .

وكانت الجارية تعتبر وسيطاً لنيل مركز أو للمحافظة على ذلك المركز في حالة أن تكون مهداة من الصغير إلى من هو أعلى مكانة منه[1].

وساهمت الجواري في عدة نشاطات منها التعليمية فكن يعلّمن القرآن والشعر والخط في بعض القصور عند الطبقات العليا من المجتمع الأندلسي، فمثلاً تلقى أبو محمد علي بن أحمد بن حزم تعليمه في الصغر على يد جواري القصر[2].

أثر الحجاب في الحياة الاقتصادية :

ترك بعض حجّاب الأندلس وخاصة حجاب الأسرة العامرية بصمات واضحة في الحياة الاقتصادية في الأندلس، مما ساعد في تقدمها بمختلف قطاعاتها كالزراعة، والصناعة، والتجارة، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع واردات خزينة الدولة حتى سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م، إذ تعرضت بعد ذلك إلى النهب والإفلاس بسبب قيام الفتنة البربرية، ثم قيام الصراعات المستمرة على الحكم حتى سقوط الخلافة .

وبلغ بعض حجاب الأندلس مبلغاً من الثراء، فقد كان الخليفة يحدد للحاجب دخلاً كبيراً يصل إلى ثمانين ديناراً شهرياً وهو راتب الحجابة[3]. كما أنيط للحجاب الاشراف على الشؤون المالية حتى استأثر عدد منهم بأموال الدولة فازدادت مقتنياتهم وادخاراتهم ، مثل الحاجب المصحفي، إضافة إلى أن الكثير من حجاب الأندلس أصدرت السكة بأسمائهم ومنهم الحاجب جعفر

---

(١) ابن خاقان، مطمح، ص٢٩٦؛ انظر أيضاً : وائل أبو صالح، الجواري في الأندلس، ط١، دار القلم، رام الله، ١٩٨٥، ص٢١. وسيشار إليه تالياً: أبو صالح، الجواري .

(٢) ابن حزم، طوق الحمامة، ص٧٩؛ أبو صالح، الجواري، ص١٦ .

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٨-٢٦٩ .

الصقلبي الذي نسب إليه الدينار الجعفري، والدنانير العامرية التي نسبت إلى الحاجب المنصور ثم أبنائه من بعده[1].

نالت القطاعات الاقتصادية عناية من حجاب الأندلس ففي الزراعة أولى الحاجب المنصور وإبنه المظفر اهتماماً بهذا القطاع، ويستدل على ذلك من خلال ارتفاع كمية الحبوب المخزنة في إهراءات الدولة سنة ٣٧٤هـ/٩٨٤م والتي وصلت إلى مائتي ألف مد، حتى أن الحاجب المنصور عندما وقف على كميتها قال متعجباً «أنا أكثر طعاماً من يوسف صاحب الخزائن»[2].

ومن الحبوب التي اهتم الحاجب المنصور بزراعتها الشعير، وكان يستعمل طعاماً للدواب، ووصلت كمية ما زرع منه ألفيّ مد[3]، سوى ما كان يزرع في بداية كل موسم زراعي في الحقول السلطانية من هذا المحصول[4].

ولقد شجع الحاجب المنصور الزراعة إذ أصدر أمراً سنة٣٨٨هـ/٩٩٨م سمح فيه للناس بحرية المشاركة في الغزوات العسكرية دون إكراه من الدولة عليهم، وبذلك فسح المجال أمامهم للعمل في الزراعة. وسار الحاجب المظفر على هذا النهج، وشجع الناس على الإقامة في المناطق الخالية واستيطانها في محاولة منه لتعميرها وزراعتها[5].

أما الضرائب فقد أعاد الحاجب المنصور النظر في ضريبة زيت الزيتون وحث الخليفة هشام المؤيد على إعفاء الناس منها، كما أعفى الحاجب المظفر السكان من ضريبة سدس الجباية[6]، وكانت الجباية تتكون من أموال المواريث التي ليس لها من يرثها، والأموال الآتية من بيع الأسرى وغنائم الحرب، ومن

---

(١) انظر : ملحق الدراسة رقم (٧) .
(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٩٨؛ المقري، نفح، م١، ص٥٨٤ .
(٣) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١٠٢.
(٤) المصدر نفسه، ق٢، ص١٠٢ .
(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٧.
(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٧٨.

أموال المصادرات[1].

استمر الحاجب المنصور في تشجيع الزراعة حتى أنه كان يقف على كمية الحطب التي تدخل يومياً إلى قرطبة، فقد بلغت في إحدى الإحصائيات التي قدمت له ما يقارب ستة آلاف وستمائة حِمْل من الحطب[2].

واهتم الحاجب المنصور بالصناعة، إذ قام الحاجب بنقل الأيدي العاملة من الصناع إلى مدينته الزاهرة، والتي أنشئت فيها الكثير من الصناعات، ولعل أهمها صناعة المنسوجات والطراز وكانت هذه المصانع تنتج المنسوجات الحريرية الفاخرة، ووصل كمية ما أهداه الحاجب المنصور لملوك الاسبان في إحدى غزواته من الخز الطرازي بعد انتصاره في موقعة شنت ياقب حوالي ألفين ومائتين وخمس وثمانين قطعة[3].

وتعكس غزوات الحاجب المنصور ضخامة وتنوع الأسلحة المستعملة في غزواته، مما يشير إلى تطور صناعة الأسلحة في الأندلس، والتي اتخذت من بعض المدن الأندلسية كالزهراء والزاهرة ومدينة سالم مركزاً لهذه الصناعات، مثل صناعة التروس في الزهراء والزاهرة[4]، وصناعة القسيّ بأصنافها العربية والتركية والخراسانية وتنتج من قبل مصانع أبي العباس البغدادي في قرطبة، ومصنع طلحة الصقلبي في الزهراء وكذلك النبال والدروع، والدروق، والسيوف، والرماح[5]، والبيض[6] والسروج واللجم وأغلال السجن، وآلات الوضوء، وصناعات العسكر والمجانيق، وصناعات الزيت والنفط والقطران

---

(1) بدر وشلميط، صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي، ندوة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ٢ج، بيروت، لبنان، ١٩٩٨، جـ٢، ص١٠٥٦. وسيشار إليه تالياً: شلميط، الاقتصاد الأندلسي.

(2) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١٠٤.

(3) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٩

(4) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٩٨.

(5) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١٠١، ١٠٢، ١٠٤.

(6) البيض: هي خوذات الرأس العربية المصنوعة من الجلد والحديد، ابن سيده، المخصص، ص٧٠-٧٣.

والمشاقة[1] والحراب والسهام والدبابيس[2] والطبرزينات[3] والوضم[4].

ومن الصناعات الأخرى التي ذكرتها بعض المصادر صناعة الحديد والرصاص والشموع والكتان[5].

أما التجارة فقد ازدهرت في الأندلس بصورة خاصة في زمن الحاجب المنصور الداخلية منها والخارجية، وتدل كثرة عرض المحاصيل الزراعية والسلع الصناعية الأندلسية على نشاط حركة التجارة الداخلية، وكان للأندلس علاقات تجارية مع المشرق مثل العراق ومصر واليمن[6]. وقد أصبحت مدينة الزاهرة مقصداً للتجار من هذه الدول لكثرة صناعاتها، واتّساع أسواقها، واهتمام الحاجب المنصور في هذا المجال. وسار على نهجه الحاجب المظفر الذي أقام المعارض الصناعية التي عرضت فيها الصناعات الأندلسية العسكرية بشكل خاص، وحظيت هذه المعارض بإعجاب وإقبال التجار من مختلف الأقطار عليها[7].

استمر الاقتصاد الأندلسي في عهد الحاجب المنصور وابنه المظفر في الازدهار. ويتضح ذلك من وصية المنصور لابنه المظفر «وتمايزت لك بين دخل الدولة وخرجها»[8]، إلا أن هذه الأحوال الاقتصادية تدهورت خلال الفتنة، وتعرضت الأموال للنهب في هذه الفتنة البربرية، وكان مقدار ما نُهب من

---

(1) المشاقة: الآلة التي تدفع هالة النار المستعملة بقوة الزيت أو النفط، حلاوي، مدينة الزاهرة، ص ١٧٦.

(2) الدبابيس: هي عصيّ قصيرة من الحديد، لها رأس حديدي مربع أو مستدير الشكل، يستعملها الجند في القتال، المرجع نفسه، ص١٧٧.

(3) الطبرزينات: سلاح يشبه الفاس أو البلطة، يركب في قضيب من الحديد أو الخشب القاسي، وتنقش عليه نقوش إسلامية وعبارات دينية، انظر: عبد الجبار محمود السامرائي، تقنية السلاح عند العرب، مجلة المورد، عدد ١٤، بغداد، ١٩٨٥، ص١٣. وسيشار إليه تالياً: السامرائي، تقنية السلاح.

(4) الوضم: قطعة خشبية أوبارية يوضع عليها اللحم لوقايته من الأرض، انظر: ابن منظور، لسان العرب، م١٢، ص ٦٤٠.

(5) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٨٧.

(6) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٩١.

(7) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٨٥.

(8) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٨١.

الزاهرة خمسة آلاف ألف وخمسمائة ألف دينار من الذهب أي ما ثمنه ألف ألف وخمسمائة ألف دينار، وبلغ مقدار ما استخرج ونهب من بعض الدفائن مائتي ألف دينار[1]. إضافة إلى القيمة العينية للآلات والمتاع من الفرش والآنية، حتى أفلست خزينة الدولة من الأموال، وفرض على السكان دفع الأموال لتغطية نفقات الجيش، وعندما أخرج الخليفة هشام المؤيد محتويات القصر من آلة وآنية ذهبية وفضية وحليّ وثياب وكتب للبيع، تعرضت مبالغ مبيعاتها للنهب من قبل الحاجب (واضح العامري)، وكانت سوء سياسته وارتفاع الأسعار وتفاقم البلاء من أسباب قتله[2].

أما السكة فقد ضُربت باسم الحاجب جعفر الصقلبي في عهد الحكم المستنصر، إذ نَسبت إليه بعضُ النصوص الدينارَ الجعفري[3]، كما سُكت باسم الحاجب المنصور والمظفر وشنجول[4]. ويتبين أن الدنانير العامرية من العملات التي كانت متداولة في الأندلس خلال حقبة الدولة العامرية[5].

أثر الحاجب في الحركة العمرانية :

نالت العمارة جزءاً من اهتمام الحاجب في الأندلس، ففي فترة سابقة من عصر الإمارة، نُسب إلى الحاجب هاشم بن عبد العزيز بناء مدينة أبده[1]، وكثيرٌ من حصونها[6].

---

(١) المصدر نفسه، ق٢، ص١١١.

(٢) المصدر نفسه، ق٢، ص١١٧-١١٨.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٧٢، ٧٣.

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٦.

(٥) المعجب، ص٨٤.

(١) أبده: مدينة بالأندلس تقع بالقرب من النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة، الحميري، صفة، ص١١.

(٦) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٣٦.

ويظهر عدم وجود دور للحاجب في الحركة العمرانية خلال عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر بسبب شغور منصب الحجابة، ولكن هذا لا يعني أن الحركة العمرانية قد أصابها الجمود، فقد تولى الخليفةعبد الرحمن الناصر بنفسه أمرَ تشجيع الحركة العمرانية، بل إنه كان شغوفاً بالعمارة والبناء، حتى أنه خصص ثلث جباية الأندلس لهذا المجال. ومن آثاره بناء مدينة الزهراء[1]، ومدينة سالم الواقعة في الثغر الأوسط والمواجهة لملكة قشتالة[2].

وعند تولى الحكم المستنصر الخلافة شاهد زيادة عدد سكان قرطبة وزيادة ازدحام المصلين في جامع قرطبة الكبير، فأمر حاجبه جعفر بن عثمان بن عبد الرحمن الصقلبي بالإشراف على توسيع الجامع وزيادة البناء فيه من ناحية المنطقة المعروفة بسوق الصخور، إذ تم نقل السوق المذكور إلى مكان آخر، وبدأ العمل في الجامع في نفس العام بإشراف الحاجب الصقلبي، وأحضر له المهندسون، وتم تخطيط الموقع وتقدير الزيادة البالغ طولها خمسةً وتسعين ذراعاً، وعرضها بعرض الجامع، وتمت الزيادة بشكل متقن[3].

وتشير دراسة حديثة أن عقد المحراب في جامع قرطبة نقش عليه بخط كوفي ما نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمر عبد الله الحكم أمير المؤمنين أصلحه الله مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رحمه الله بعمل هذه الفسيفساء في البيت المكرم فتم جميعها بعون الله سنة أربع وخمسين وثلاثمائة»[4].

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٣١-٢٣٢؛ الحميري، صفة، ص٩٥.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢١٣-٢١٤.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٣٤.

(٤) سالم، قرطبة، جـ١، ص٣٤٢، ٣٤٣، ٣٩٨؛ انظر: أنتونيو فرنانديز، فن الخط العربي في الأندلس، ندوة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، بيروت، لبنان، جـ٢، ص٩٢٢. وسيشار إليه تالياً: فرنانديز، الخط العربي.

وبنى الحاجب جعفر الصقلبي له قصراً فخماً في الجانب الغربي من مدينة الزهراء[1]، واهتم الحاجب المصحفي بالبناء، فقد أقام له المنيات[*] والقصور في قرطبة، وأشهرها المنية المصحفية، والتي بناها في عهد الخليفة الحكم المستنصر[2]. وقد وقف حفيده أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر المصحفي على أطلالها، فتذكّر ما آل إليه حال جدّه جعفر المصحفي مع المنصور، واستيلاء الأخير على منصبه وأملاكه فقال أبياتاً من الشعر، منها:

قف بالمصحفيـــة وانـدب مقلة أصبحت بلا إنسان

واسألنها عن جعفر وسطاه ونداه في سالف الأزمـان[3]

ومن إنجازات الحاجب المصحفي في مجال البر والتقوى بناء مسجد شيد باسمه (مسجد المصحفي) في قرطبة[4].

أما الحاجب المنصور فقد اختلف عن سابقيه من حجاب الأندلس قوةً ونفوذاً، إذ كان الحاكم الفعلي في ظل خلافة هشام المؤيد الاسمية. وقد اهتم الحاجب المنصور بالعمارة والبناء بشتى صنوفها، إذ كان يملك داراً فخمة في الرصافة التي اتسع في بنائها وارتادها عدد كبير من الناس[5].

وبعد تقلد المنصور منصب الحجابة، أمر ببناء مدينة الزاهرة سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م، شرق قرطبة في المنطقة المعروفة بـ «ألش»، واتخذها مقراً له

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٦٦.

(*) المنيات : حديقة واسعة أو عزبة، وقد تفنن أهل الأندلس في إعدادها وتنويع مرافقها، انظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٦٨، حاشية (٢) .

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥٥.

(٣) المقري، نفح، م١، ص٤٧١؛ انظر: سالم، قرطبة، جـ١، ص١١٨؛ فكري، قرطبة، ص١٨٣؛ دويدار، المجتمع الأندلسي، ص٢٥٨؛ حمدي عبد المنعم، دراسات في التاريخ الأندلسي، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص٣٤، ٣٥. وسيشار إليه تالياً: عبد المنعم، دراسات.

(٤) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ٢ج، عنى بنشرة عزة العطار الحسيني، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٥، جـ٢، ص٦٣٥. وسيشار إليه تالياً: ابن الأبار، التكملة؛ انظر أيضاً: إبراهيم العكش، التربية والتعليم في الأندلس، ط١، دار الفيحاء، عمان، الأردن، ١٩٨٦، ص١٦٩. وسيشار إليه تالياً: العكش، التربية والتعليم.

(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥٨.

سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م[1].

وعن تصميم وتخطيط المدينة، فأشارت بعض المصادر إلى أن الحاجب المنصور نقل للمدينة أصحاب المهن والحرفيين وجلب لها الآلات والمعدات اللازمة للبناء من الرخام والقراميد والأخشاب والصخور تمهيداً لبنائها. وامتازت باتساع مساحتها وأسوارها المرتفعة وحدائقها الغنّاء، وأحاطها بالأسوار المرتفعة، وفتح لها عدة أبواب منها باب السباع وباب الجنان، وباب الفتح[2]. وأنشأ فيها الاهراءات، والاصطبلات، والأسواق التجارية، والمصانع المختلفة، وأقام فيها الدواوين للعمال والموظفين[3].

ولتشجيع كبار رجالات الدولة على السكن بالقرب منها أقطع ما حولها من الأراضي للوزراء والقادة، فأقام هؤلاء فيها القصور والدور، والمتنزهات، وهذا شجع الناس على التنافس والبناء بجانب المدينة نظراً لأهميتها السياسية، وللدنو من صاحب الدولة الحاجب المنصور[4]، وبذلك اتسعت الزاهرة، واتصلت أرباضها بأرباض قرطبة، وكانت الأخيرة قد اتسعت وازدادت مساحتها في عهد الحاجب المنصور حتى بلغت أرباضها واحداً وعشرين ربضاً، كل ربض منها يعد أكبر مدينة من مدائن الأندلس[5].

ونظم في الزاهرة الجهاز الإداري، فخصصت الأماكن لجلوس الوزراء وكبار الأمراء[6]، وعين عليها صاحب شرطة ووالٍ[7]، ثم كتب المنصور إلى جميع

---

(١) ابن خاقان، مطمح، ص٣٩٢؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٨٣.

(٢) ابن خاقان، مطمح، ص٣٩٢؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٨٣-٢٨٤؛ صفة، ص٨١؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١٠٢.

(٣) ابن خاقان، مطمح، ص٣٩٣.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٩٣؛ الحميري، صفة، ص٨١-٨٢.

(٥) ابن خاقان، مطمح، ص٣٩٣؛ الحميري، صفة، ص٨١-٨٢؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١٠٣-١٠٤.

(٦) ابن خاقان، مطمح، ص٣٩٢؛ المقري، نفح، م١، ص٧٨-٧٩.

(٧) ابن خاقان، مطمح، ص٣٩٣-٣٩٤.

المدن الأندلسية بإرسال الأموال والجبايات للزاهرة[1]، وبذلك نافست الزهراء، بل حلت محلها[2]، وأصبح الخليفة هشام المؤيد معزولاً عن العالم الخارجي[3].

أما المنيات والقصور التي أقيمت في الزاهرة فكانت متعددة منها المنية العامرية[4] أو قصر العامرية[5]، أو قصر المنصور[6]، وهي من أهم ضواحي المدينة، أحيطت بالبساتين والرياض.

ويصف أحد الباحثين قصر العامرية بأنه يتكون من ثلاث قاعات متوازية تتخللها الغرف المرافقة للقصر والواقعة في الشمال الشرقي من القصر، كما تتصل بالغرف بركة كبيرة، أقيمت كلها من الحجر[7].

وأغدق الشعراء الوصف لمدينة الزاهرة ومنيتها الشهيرة العامرية ومنهم الشاعر ابن أبي الحباب، الذي قال فيها:

لا يوم كاليوم في أيامنا الأول   بالعامرية ذات الماء والظلل

هواؤها في جميع الدهر معتدل   طيباً وإن حل فصل غير معتدل[8]

وقال فيها ابن العريف:

بالعامرية تزهي على جميع المباني   وأنت فيها كسيف قد حل في غمدان[9]

---

(١) الحميري، الروض المعطار، ص٢٨٣-٢٨٤؛ صفة، ص٨٢.

(٢) عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م، ط١، دار القلم، دمشق، بيروت، ١٩٧٦، ص٣٠٤. وسيشار إليه تالياً: الحجي، التاريخ الأندلسي.

(٣) مونتغمري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة محمد رضا المصري، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩٤، ص ٩٤-٩٥. وسيشار إليه تالياً: مونتغمري وات، إسبانيا الإسلامية.

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٧؛ انظر أيضاً: المقري، نفح، م١، ص٥٨١.

(٥) فكري ، قرطبة، ص١٨٣.

(٦) فون شاك، الفن العربي في إسبانيا وصقلية، ترجمة الطاهر أحمد مكي، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥، ص٤٩-٥٠. وسيشار إليه تالياً: شاك، الفن العربي.

(٧) سالم، قرطبة، جـ٢، ص١٩.

(٨) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٧؛ المقري، نفح، م١، ص٥٨١؛ انظر : جودت هلال ومحمد محمود صبح، قرطبة في التاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص٧٢. وسيشار إليه تالياً: هلال، قرطبة.

(٩) المقري، نفح، م١، ص٥٨٢-٥٨٣.

وقال صاعد البغدادي:

يا أيها الحاجب المعتلي	على كيـــــوان
العامريــة أضــحت	كجنة الرضـــوان
فريدة لفريد ما بـين	أهل الزمـــــان[1]

وقال أيضاً في وصف الزاهرة:

تحفها في فنون الأيك زاهرة ... قد أورقت فضة إذ أثمرت ذهبا[2]

ويبدو أن المنصور كان شغوفاً بالعمران، حتى وصلت بيوته إلى أربعة وخمسين بيتاً[3]، وكانت القصور العامرية تتصف بالجمال والرونق وأشهرها إضافة إلى العامرية قصر ناصح، وقصر الزاهي الذي كسيت جدرانه بالمرمر، وأجرى إليه المياه، وأقام الحاجب المظفر قصر الحاجبية خارج سور مدينة الزاهرة[4]، بينما كان قصر أرملاط خاصاً بالحاجب شنجول[5].

ومن المنيـــــات العامرية منية السرور، واشتهرت بحسنها وشرفاتها المقامة على أعمدة من الرخام، ومنية ذات الواديين، ومنية أرطانية[6]، ومنية اللؤلؤة، وكانت الأخيرة مكاناً لجلوس الحاجب المنصور عندما يتابع بعض أعماله واشتهرت بارتفاعها[7].

أمـا الزاهرة فـبـعـد مـرور ثلاثين عـامـاً، تعـرضت للدمـار، وهذا النوع من المدن يسمى بالمدن الشخصية[8]، وقد تنبأ الحاجب المنصور بخراب مدينة الزاهرة وقال: «ويهاً لك يا زاهرة .. من الخائن الذي يكون خرابك على

---

(١) المصدر نفسه، م١، ص٥٨٣.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٧.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٣٠١.

(٤) المصدر نفسه، جـ٣، ص٦٢.

(٥) المصدر نفسه، جـ٣، ص٧١.

(٦) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٩٩.

(٧) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٩٩-٣٠٠؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٧٦.

(٨) حلاوي، الزاهرة، ص٢٧.

يديه .. »[1].

كما أوردت بعض المصادر أمثلة أخرى تشير إلى خراب الزاهرة ونهب أموالها ومحتوياتها حتى لم يبق دار في الأندلس إلا ودخلها من أموالها، بل قيل أن بعضها وصل بغداد والمشرق حين انقرضت الدولة العامرية[2].

وأولى الحاجب المنصور عناية ببناء المساجد وتوسعتها، ومنها المسجد الجامع بقرطبة الذي عمل على زيادة مساحته سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م[3]، بعد أن ازداد سكان قرطبة، خاصة بعد قدوم أعداد كبيرة من القبائل البربرية في بداية عهد المنصور، فضاق المسجد بالمصلين لا سيما يوم الجمعة، فرأى الحاجب توسعته من الناحية الشرقية بسبب اتصاله من الناحية الغربية بقصور الخلافة[4]، فبلغت الزيادة ثمانين ذراعاً ووصل العرض إلى مائتين وثلاثين ذراعاً من الشرق[5]. وامتازت هذه الزيادة بالإتقان وخلوها من الزخرفة، وقد شارك في بناء المسجد أسرى نصارى الذين تم أسرهم أثناء غزوات المنصور. وذكرت بعض المصادر في هذا الشأن «وما أحسن ما عاينه الناس في بنيان هذه الزيادة العامرية أعلاج النصارى مصفدين في الحديد من أرض قشتالة وغيرها، وهم كانوا يتصرفون في البنيان عوضاً عن رجالة المسلمين إذلالاً للشرك وعزة للمسلمين»[6] وكان المنصور من المشاركين في أعمال البناء التي استمرت عامين ونصف[7].

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٦٢-٦٣؛ المقري، نفح، م١، ص٥٨٩.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٦٤-٦٥؛ انظر: سالم، قرطبة، جـ١، ص٢٦٢، جـ٢، ص١٥٢-١٥٣.

(٣) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٧٦؛ المقري، نفح، م١، ص٥٤٨.

(٤) المقري، المصدر نفسه، م١، ص٥٤٨-٥٤٩.

(٥) أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ٢ج، تحقيق أدريان فان ليفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، بيت الحكمة، ١٩٩٢، جـ٢، ص٩٠٠. وسيشار إليها تالياً: البكري، المسالك والممالك؛ انظر: عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٤٨٢.

(٦) المقري، نفح، م١، ص٥٤٦.

(٧) المصدر نفسه، م١، ص٥٤٧؛ انظر: عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٧٦؛ العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٤٥٥-٤٥٦.

له في الديوان «وله مع ذلك المنزل والمحراث»، ولقيت دعوته القبول والاستحسان[1].

وبنى المظفر في أرض المغرب الساقية المستطيلة بجانب باب الحفاظ، وجلب إليها الماء من وادي حسن الواقع خارج مدينة فاس من ناحية باب الحديد[2]، وصنع بجامع الأندلسيين بمدينة فاس منبراً من خشب القنب والأبنوس وكتب عليه «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر بعمله الخليفة المنصور سيف الإسلام عبدالله هشام المؤيد بالله أطال الله بقاءه، على يد حاجبه عبد الملك المظفر بن محمد بن أبي عامر ... وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة»[3].

وبعد وفاة الحاجب عبدالملك المظفر توقف الازدهار العمراني الذي شهدته قرطبة، بل لم تسلم الإنجازات المعمارية السابقة من الخراب والدمار بسبب الحروب الأهلية[4]، وإن كان هناك معالم عمرانية سلمت من التدمير فهي قليلة، وقد وردت بعض الإشارات لقيام الحاجب واضح ببناء خندق حول قرطبة لحمايتها من هجمات البربر[5]. كما أنشأ واضح مكاناً للجلوس أسماه (الديدبان) ويشرف على الخندق وقد خصصه لعقد اجتماعاته مع كبار رجالات الدولة[6].

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٧.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص٥٨-٥٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٨-٥٩.

(٤) سالم، تحف العاج الأندلسية في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص١٧. وسيشار إليه تالياً: سالم، تحف العاج.

(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١٠١.

(٦) المصدر نفسه، جـ٣، ص١٠٢-١٠٣؛ سالم، قرطبة، جـ١، ص١١٣.

الفصل الخامس

أثر الحجاب في الحياة العلمية والثقافية

أثر الحُجّاب في الحياة العلمية والثقافية :

شجع الحُجّاب العلم والثقافة، وكانت لهم نتاجاتهم العلمية، وشهدت الأندلس نهضة فكرية واسعة في عصر الخلافة الأموية، كان للحاجب دور واضح فيها، فقد ذكر أن الحاجب موسى بن حدير حاجب الخليفة الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) كان أديباً وشاعراً ومن أهل العلم والمعرفة بالعربية واللغة والكلام في معاني الشعر[1].

كما شارك الحاجب موسى بن حدير في المجالس الأدبية التي كانت تعقد فيها المطارحات الشعرية واللقاءات الأدبية، وكان يشارك إلى جانبه بعض الأدباء والشعراء ، مثل الأديب محمد بن يحيى بن القلفاط[2] (ت٣٠٢هـ/٩١٤م)، والشاعر حبيب[3]، كما كان شاعراً وإخبارياً حافظاً لأخبار بني أمية[4].

أما في عهد الخليفة المستنصر ، فقد ازدهرت الحركة العلمية بشكل واسع ويعود ذلك إلى تشجيع الخليفة للعلم، فأشارت بعض المصادر إلى أن الخليفة المستنصر كان جامعاً للعوم المختلفة محباً مكرماً للعلماء، وقد جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من حكام الأندلس ، وذلك بإرساله في طلبها إلى كافة الأقطار ، واشترائه لها[5]، قبل أن تنتشر أحياناً في بلادها، وكان يجمع كتب العلوم الشرعية من الفقه والحديث، وكتب الأنساب، وكان حريصاً على جمع المؤلفات المتعلقة بالقبائل العربية وفنون العلم المختلفة، يستجلب العلماء ورواة الحديث

---

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، ق٢،ص٥٢٦؛ انظر أيضاً : جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ٤ج، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٦، جـ٢، ص٦٩. وسيشار إليه تالياً : القفطي، إنباه الرواة .

(٢) هو يحيى بن زكريا أبو عبد الله المعروف بالقلفاط، كان بارعاً في علم العربية، حافظاً لها، وكان شاعراً مجوداً مطبوعاً، كثير المهاجاة للأدباء. ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٦٧؛ انظر القفطي، إنباه الرواة، جـ٣، ص٢٣١، حاشية (٣).

(٣) المصدر نفسه، جـ٣، ص٦٩ .

(٤) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٣٣-٢٣٤ .

(٥) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٤٣؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص١٨٦.

من جميع الآفاق ، ويحضر مجالس العلماء ويسمع منهم ويروي عنهم[1]، مرسلاً العطايا والصلات إلى الفقهاء والعلماء مثل أبي اسحاق محمد بن القاسم بن شعبان في مصر، كما أرسل إلى الأصفهاني صاحب كتاب "الأغاني" مبلغ ألف دينار عيناً ذهباً من أجل أن يرسل له نسخة من هذا المؤلف قبل أن ينشر في العراق[2].

وورد عن تليد الفتى المشرف على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس أن عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربعة وأربعون فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط[3].

وكان إلى جانب اهتمام الخليفة المستنصر بالثقافة والعلوم، وإنشاء المكتبات، وجود العلماء والأدباء والشعراء الذين كان لهم باع في هذا المضمار، ومنهم الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي الذي عدّ من أدباء الأندلس، وكان كثير الشعر، واسع الأدب[4].

وقد اسهبت بعض المصادر في رواية الكثير من شعره المتنوع[5] الذي

---

(١) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٠١ .

(٢) المصدر نفسه، جـ١، ص٢٠٢-٢٠٣ .

(٣) ابن حزم، قلائد الذهب، جـ١، ص٩٢؛ انظر : خليل إبراهيم الكبيسي، تشجيع الحكم المستنصر للحركة العلمية في الأندلس، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٤١-٤٢، سنة ١٦، ١٩٩٠، ص١٥٢-١٥٧. وسيشار إليه تالياً : الكبيسي، الحكم المستنصر .

(٤) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٢٨٩؛ المراكشي، المعجب، ص٦٢، وللمزيد من شعره انظر: ابن سعيد، المرقصات المطربات، ط٢، دار حميدو ومحيو، ١٩٧٣، ص٧٦. وسيشار إليه تالياً :ابن سعيد، المرقصات المطربات؛ وهناك دراسات حديثة اختصت بشعر الحاجب المصحفي، انظر : محمد محمود يونس، ما تبقى من شعر الحاجب المصحفي، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب ، عدد١١٢، ١٩٨٥، وأيضاً يونس، الحاجب المصحفي، عدد١٠ .

(٥) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، المكتبة الوطنية، باريس، طبع بالتصوير عن مخطوطة رقم٢٣٢٧، سفر ١٧، م٤٦، ص٥. وسيشار إليه تالياً: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار؛ المراكشي، المعجب، ص٦٣-٦٥ .

اتصف بالجودة[1]، وبالإضافة إلى اتساع شعره وأدبه، اشتهر الحاجب المصحفي بأنه كان كاتباً بليغاً ، مفضلاً على طبقته بالبلاغة[2]. ويلاحظ شعر الاستعطاف في قصائده التي بعث بها إلى الحاجب المنصور من سجنه أملاً في العفو عنه واطلاق سراحه، يقول :

عفا الله عنك إلا رحمـــــة تجود بعفوك إن أبعــدا

لئن جلّ من ذنب ولم اعتمده فأنت أجل وأعلى يــــدا[3]

ثم لما يئس من عفو المنصور عنه، وصفحه عن ذنبه، قال شعراً وهو في طريقه للمحاكمة أمام مجلس الوزراء، منه هذه الأبيات :

لا تأمنن من الزمـان تقلبـا إن الزمـان بأهلـه يتقلـب

ولقد أراني والليوث تخافني فأخافني من بعد ذلك الثعلبُ[4]

وأشارت بعض المصادر إلى المطارحات الشعرية التي كانت تتم بين الحاجب جعفر المصحفي، وصاحب شرطته الزبيدي[5]، وكذلك الشاعر أبو بكر المغيلي[6].

وعدت مكانة الحاجب المصحفي في الشعر والكتابة مفخرة للأندلسيين الذين وصفوه مع عدد من شعراء الأندلس البارزين بازاء بشار بن بردٌ، وأبي تمام، وأبي الطيب المتنبي[7]، ولكن لا يوجد ديوان مجموع لشعر المصحفي، بل تناثرت أشعاره في المصادر المتنوعة وتعرض الكثير منها للضياع[8].

---

(1) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٥٩-٢٦٠؛ أبوعبد الله محمد بن الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ٢ج، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٨١، ص٢٨٦-٢٨٧. وسيشار إليه تالياً : الكتاني، التشبيهات .

(2) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٥٩؛ الكتاني، التشبيهات، جـ٢، ص٢٦٨-٢٦٩.

(3) ابن خاقان، مطمح، ص١٥٩ .

(4) المصدر نفسه، ص١٦٤؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٦٧.

(5) المراكشي، المعجب، ص٦٣-٦٤ .

(6) الحميدي، جذوة المقتبس، ق٢، ص٦٢٢؛ انظر أيضاً: يونس، الحاجب المصحفي، ص١٨١ .

(7) الحميدي، جذوة المقتبس، ق٢، ص٦٢٢.

(8) يونس، ما تبقى من شعر الحاجب المصحفي، ص١٧٦ .

أما الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر (٣٦٧-٣٩٢هـ/٩٧٧-١٠٠٢م) فقد طلب الحديث في حداثته[١]، وقرأ الأدب واللغة على أبي علي القالي، وأبي بكر بن القوطية، وقرأ الحديث على أبي بكر بن معاوية القرشي[٢].

وكان المنصور محباً للعلم، مؤثراً للأدب، مفرطاً في إكرام العلماء والشعراء كل حسب مكانته العلمية[٣]، كما كان أديباً، وعالماً متفنناً[٤]، محباً للعلماء يكثر مجالستهم ويناظرهم، جيد الشعر[٥]، ومن شعره :

منع العين أن تذوق المناما	حبها أن ترى الصفا والمقاما
لي ديون بالشرق عند أناس	قد أحلّوا بالمشعرين الحراما[٦]

وقوله أيضاً :

رميت بنفسي هول كل عظيمة	وخاطرت والحر الكريم يخاطر
وأني لزجاء الجيوش إلى الوغى	أسود تلاقيها أسود خواطر
وما شدت بنيانا ولكن زيادة	على ما بنى عبد المليك وعامر
رفعنا العلى بالعوالي سياسة	وأورثنا في القديم معافر[٧]

وعمل الحاجب المنصور طيلة حقبة حجابته على الاهتمام بالحركة العلمية، ومن مظاهر هذا الاهتمام تشجيع العلماء بالقدوم إلى الأندلس إسوة بالخليفة عبد الرحمن الناصر الذي وفد عليه من المشرق بعض العلماء مثل أبي علي القالي صاحب "النوادر" واختص بالحكم المستنصر واستفاد الأخير من

---

(١) ابن سعيد، المغرب، ص١٩٩؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥٧.

(٢) ابن عذاري، المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٥٧.

(٣) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص١٣١؛ المراكشي، المعجب، ص٧٥ .

(٤) ابن خاقان، مطمح، ص٣٩٠ .

(٥) ابن الأثير، الكامل، م٨، ص٢٥ .

(٦) ابن خاقان، مطمح، ص٣٩٠ .

(٧) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص١٠٥، المقري، نفح،م١، ص٤٠٠ .

علمه، وحثه على التأليف[1].

ومن أشهر هؤلاء الوافدين على بلاط الحاجب المنصور أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادي اللغوي، الذي وصل للأندلس سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م[2]، فعظمت منزلته عند الحاجب المنصور، ونال أموالاً كثيرة، وكان صاعد عالماً باللغة، والأدب، والأخبار، سريع الجواب، حسن الشعر، طيب المعاشرة، فأكرمه المنصور، وأفرط في الإحسان إليه، والأفضال عليه [3].

وذهب المقري إلى القول : أن الهدف من قدوم صاعد البغدادي إلى الأندلس، هو أن الحاجب المنصور أراد أن يعفو به آثار أبي علي القالي، الذي ذكر آنفاً [4].

وحث الحاجب المنصور على تأليف الكتب وتقديم العطايا والأموال لمن يقوم بذلك، ومن هذه المؤلفات كتاب "الفصوص" الذي ألفه صاعد البغدادي للمنصور، وكافأه عليه المنصور بخمسة آلاف دينار، وذلك سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م[5]، وفي باب تشجيع الحاجب المنصور لحركة التأليف، كلف كلاً من أبي مروان القرشي المعيطي، والفقيه أبي عمر أحمد بن عبد الملك المعروف بابن المكوى بجمع أقوال الإمام مالك بن أنس، وذلك على غرار كتاب "الباهر" الذي جمعه أبو بكر بن الحداد المصري لأقوال الإمام محمد بن إدريس الشافعي[6].

---

(١) المراكشي، المعجب، ص٥٩؛ انظر: خليل إبراهيم الكبيسي، أبو علي القالي البغدادي وأثره بالفكر الأندلسي، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٥، ١٩٨٤ .

(٢) المراكشي، المعجب، ص٧٦ .

(٣) المصدر نفسه، ص٧٦ .

(٤) نفح، م١، ص٩؛ انظر : علي دياب، انتقال العلوم العربية من الشرق إلى الغرب وتأثيرها في أوروبا، مجلة دراسات تاريخية، ع٥٣، ٥٤، ١٩٩٥، ص٨٤، ٨٦. وسيشار إليه تالياً : دياب، انتقال العلوم .

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي،ص١٧؛ المراكشي، المعجب، ص٧٦؛ انظر : عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٨٠ .

(٦) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٢٠٨ .

وكان المنصور شغوفاً بقراءة كتاب لأبي السري سهل بن أبي غالب الخزرجي، وهو قصة غرامية، ألفه للخليفة هارون الرشيد، فألف على غراره الوزير حسان بن مالك كتاباً للحاجب المنصور بعنوان "ربيعة وعقيل" وأنجزه حسان خلال أسبوع تاليفاً ونسخاً وتصويراً، وكان المنصور دائم القراءة له[1].

واهتم الحاجب المنصور بحركة الترجمة ، فقد أمر بترجمة كتاب "كنز الفلاحة" من اللغة اللاتينية إلى العربية، ويتناول الكتاب جميع المسائل الضرورية للفلاحة كالفصول، وطريقة الزراعة، والأغراس، وتلقيح الأشجار[2].

كما حرص المنصور على الالتقاء بالعلماء والأدباء وحضور مجالسهم ومناظراتهم الأدبية والشعرية، واتخذ له مجلساً علمياً خاصاً معروفاً يترأس جلساته اسبوعيا يجتمع فيه بأهل العلم والمناظرة أثناء تفرغه من الغزو[3].

ووصف الحاجب المنصور بأنه أحسن الناس مجلساً، باراً ومكرماً لمن يحضر مجلسه سواء عالماً أو شاعراً أو منادماً أو مؤانساً[4]، فقد أعطى المنصور الشعراء عناية خاصة منه، فأنشأ لهم ديواناً خاصاً سماه «ديوان الندماء»[5]، جعل الهدف منه ترتيب الشعراء طبقات في الديوان حسب مكانة كل منهم العلمية، وبذل لهم عطاءاً على أقدارهم في الشعر[6].

---

(١) ابن خاقان، مطمح، ص٢١٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٧٠-٢٧١ .

(٢) الوزان، وصف إفريقيا، جـ١، ص٨٠.

(٣) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص١٣١؛ ابن سعيد، المغرب ، ق١، ص١٩٩؛ المراكشي، المعجب، ص٨٢؛ محمد بن محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، ١٣٥٠هـ ص١٢٧. وسيشار إليه تالياً : ابن مخلوف، شجرة النور؛ انظر : حازم عبد الله، ابن شهيد، حياته وأدبه، بغداد، ١٩٨٤، ص١٥. وسيشار إليه تالياً : حازم، ابن شهيد؛ عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت، ص٨٨. وسيشار إليه تالياً : عتيق، الأدب العربي؛ هلال، قرطبة، ص١٤٠-١٤١.

(٤) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٧٥ .

(٥) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص١٩ .

(٦) الضبي، بغية الملتمس، ص١٥٩؛ بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥، ص٦٥. وسيشار إليه تالياً: بالنثيا، الفكر الأندلسي .

وكان هناك ديوان آخر اسمه ديوان "زمام الشعر" [1]، جعل رئاسته لعبد الله بن محمد بن مسلمة الذي كان هو الآخر من أهل العلم والأدب وناقد من نقاد الشعر[2].

ويتضح أن ديوان الندماء، كان يدون فيه اسماء الشعراء المختصين ببلاط قصر الحاجب المنصور، وتجري لهم الرواتب المنتظمة من الدولة، ويمتاز هؤلاء الشعراء المسجلون بالرسوخ في العلم، والأدب، وسرعة البديهة والبلاغة، والجزالة في القول، وتتفاوت عادة رواتبهم حسب مكانتهم العلمية وملكاتهم الشعرية، فمثلاً ألحق الحاجب المنصور صاعد البغدادي بديوان الندماء، وأجرى له راتباً قدر بثلاثين ديناراً، مع زيادة الله بن مضر الطبني، والحسين بن وليد القرطبي المعروف بابن العريف، وغيرهم[3].

وكان للصقالبة في عهد الحاجب المنصور نصيب في الشعر والأدب، مثل عمارة الصقلبي الفتى، وميسور الصقلبي، ونجم الوصيف، كما ألف حبيب الصقلبي كتاب "الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة"[4].

وقد اتخذ المنصور لأبنائه المؤدبين من جلّة العلماء [5]، مثل أبي عمر أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب مؤدب عبد الملك المظفر[6]، وسعيد بن الناكوري[7]، وابن العريف مؤدبين لكل من ولديه عبد الملك وعبد الرحمن[8].

---

(١) ابن دراج، ديوان، ص٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٣؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٢٢٩.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص١٩.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٢٤.

(٥) عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، تحقيق عبد المجيد ذياب، ط١، الرياض، ١٩٨٦، ص١٠٥. وسيشار إليه تالياً: اليماني، إشارة التعيين.

(٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص١٧، ١٨؛ القفطي، إنباه الرواة، جـ١، ص٧٢-٧٣.

(٧) المراكشي، الذيل والتكملة، تحقيق إحسان عباس، ص٤٦.

(٨) أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية، القاهرة، ١٩٦٦، ص١١٤. وسيشار إليه تالياً: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس؛ اليماني، إشارة التعيين، ص١٠٥-١٠٦.

وعين الحاجب المنصور لمكتبته محمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوي قيماً للتدقيق والضبط [1].

ولكن تعرضت هذه المكتبات إلى البيع من قبل الحاجب واضح العامري حاجب الخليفة هشام المؤيد في خلافته الثانية، وما بقي منها تعرض للنهب أثناء الفتنة البربرية[2]، وكان الحاجب المنصور قد أحرق كتب الفلسفة والفلك أمام جمهرة من العلماء إرضاءً للناس[3]، وأشارت الدراسات الحديثة إلى اختفاء الشعر العلمي والفلسفي الذي كان قد ظهر في عصر الخلافة، خاصة عصر الخليفة المستنصر، ويعود اختفاؤه في عصر الحاجب المنصور إلى تقييد الأخير لحركة الفلسفة، ومطاردة أصحابها، فنشطت أغراض أخرى للشعر ، مثل الوصف، والمدح، والاستعطاف، واللهو، والمجون، والخمريات[4].

وقد سبق أن نالت الكتابة العليا جلّ اهتمام حكام بني أمية فوصلت طائفة من العلماء والأدباء إلى مرتبة الحجابة والوزارة، مثل الحاجب المصحفي، والمنصور، والوزراء، مثل : ابن فطيس، وابن جهور .

ولقيت الكتابة عناية فائقة من الحاجب المنصور، فظهر في عهده شخصيات تولت ديوان الإنشاء في الدولة العامرية، وهم عبد الملك بن إدريس الجزيري، وابن دراج القسطلي، وأحمد بن برد[5]، وكتب الأخير مرسوم ولاية العهد للحاجب شنجول[6].

---

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، ق٢، ص٢٩٥-٢٩٦ .

(٢) ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٤٦؛ سالم، قرطبة، جـ١، ص١١٢-١١٤؛ عتيق، الأدب العربي، ص٨٤ .

(٣) بالنتثيا، الفكر الأندلسي، ص٣٣٢؛ سالم، قرطبة، جـ٢، ص١٦٢ .

(٤) دويدار، المجتمع الأندلس،، ص٤٢٩؛ أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ط٧، دار المعارف، مصر، ١٩٧٩، ص٢٧٣-٢٧٤. وسيشار إليه تالياً : هيكل، الأدب الأندلسي .

(٥) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٤٦، ٤٧ .

(٦) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٩١؛ انظر : نص ولاية العهد في ملحق الدراسة رقم (٥).

أما الحاجب المنصور فرغم أنه قليل العلم والمعرفة إلا أنه كان يقرب أصحاب والده إليه من العلماء والأدباء والشعراء والمؤرخين والخطباء ويغدق عليهم الأموال[1].

وعن أثر الحجاب في العلوم الدينية فقد عرف عن المنصور أنه نشأ نشأة علمية، ودرس الحديث النبوي وكان لتلقيه العلم في شبابه أثر في متابعة الاهتمام بالعلوم عند توليه منصب الحجابة، فحث الفقهاء، والعلماء المالكيين على تاليف الكتب وجمعها [2].

ومن الفقهاء الذين شاركوا مع الحاجب المنصور في غزواته الفقيه الحسن ابن عبد الله الجذامي والذي استشهد في غزوة جزبيرة سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م، وكان فقيهاً نبيهاً فطناً [3]، وكذلك الفقيه محمد بن طاهر القيسي، وكان عالماً، ناسكاً، زاهداً متبتلاً في طلب العلم واستشهد وهو مرابط في طلبيرة سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م[1].

أما محمد بن حسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي، أبو بكر الاشبيلي (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م) فلم يكن له نظير في الأندلس في علوم كثيرة من فقه وحديث، وقد ألف الزبيدي كتاباً في "الرد على ابن مسرة" [4]، وكان موسى بن محمد بن سعيد بن الحسن اليحصبي (ت٣٩٧هـ/١٠٠٦م) ويعرف بابن الوتد، بصيراً بالشروط ، فقلده الحاجب المنصور عدة مناصب ، مثل الشورى، وكان مسؤولاً عن ديوان المظالم ورفعها للمنصور[6].

ومن الفقهاء المعاصرين للحاجب المنصور أبو بكر محمد بن عبد الرحمن

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٧٩-٨٠؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢١٣ .

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٦٣٥-٦٣٦ .

(٣) النباهي، المرقبة العليا، ص٨٢، ٨٣، ٨٤ .

(٤) دويدار، المجتمع الأندلسي، ص١٩٥-١٩٦ .

(٥) عياض، ترتيب المدارك، جـ٢، ص٥٨٢-٥٨٣ .

(٦) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٥٧ .

ابن وافد اليحصبي[1]، وكان من علماء المالكية، حاذقاً بحفظ المسائل والأجوبة[2]. ووصف الفقيه أحمد بن علي بن أحمد المقري أبو العباس الباغاني بأنه واسع الرواية ، شديد الحفظ ، ومن مؤلفاته كتاب "أحكام القرآن"، وكان من المقربين جداً للأسرة العامرية[3].

أما الفقيه محمد بن الحارث بن أسد الخشني، فكان عالماً بالأخبار وبأسماء الرجال، حافظاً للفقه، متقدماً فيه، نبيهاً ، ذكياً، فقيهاً، فطناً، وعالماً بالفتيا، حسن القياس بالمسائل وقيل عنه أنه شعلة تتوقد في المناظرة[4]، ومن مؤلفاته "قضاة قرطبة" و"أخبار الفقهاء والمحدثين"، و"الاتفاق والاختلاف"، و"الفتيا والنسب"، و"طبقات فقهاء المالكية"، و"المولد والوفاة"، و"تاريخ علماء الأندلس"، و"تاريخ الأفريقيين"[5]، وأشارت بعض المصادر إلى أن حالته في عهد الحاجب المنصور آلت إلى الجلوس في حانوت لبيع الأدهان، بسبب تقصير الحاجب المنصور بأصحاب الخليفة الحكم المستنصر[6]. أما الفقيه أبو العاصي أمية بن أحمد بن حمزة القرشي المرواني فكان مقرباً من الحاجب المنصور ، حافظاً للمسائل[7].

ومن جلة فقهاء قرطبة المقربين للحاجب المنصور العالم الفقيه أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي، تفقه بالأندلس والقيروان[8].

---

(١) سخط الحاجب المنصور على ابن وافد اليحصبي، وأجبره على الإقامة في داره، بسبب رفضه طلب الحاجب المنصور التجميع في مسجد الزاهرة، المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٥٨ .

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٦٨ .

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٦٨؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٥٣ .

(٤) أبو عبد الله محمد بن الحارث الخشني، قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب اللبناني،بيروت، لبنان، ١٩٨٢،ص٩، ١٠. وسيشار إليه تالياً: الخشني، قضاة قرطبة.

(٥) المصدر نفسه، ص١٠ .

(٦) المصدر نفسه، ص١٠؛ انظر : محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ط١، دار الفكر العربي، ١٩٨٢، ص١٤٦. وسيشار إليه تالياً: عيسى، تاريخ التعليم .

(٧) عياض، ترتيب المدارك، جـ٢، ص٦٦٠ .

(٨) أبو اسحاق الشيرازي الشافعي، طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٠، ص١٦٤. وسيشار إليه تالياً : الشافعي، طبقات الفقهاء .

واستمرت رحلته في المشرق ثلاثة عشر عاماً، فسمع به الخليفة الحكم، حيث استدعاه إلى الأندلس، فلما وصل المرية مات الخليفة الحكم ، فنال عناية من الحاجب المنصور «فنوه به وأمر بإجراء الرزق عليه باسم المقابلة»[1]، وكان الحاجب المنصور «على غاية التعظيم له»[2]، ومن مؤلفاته " الدلائل على المسائل"[3]، وقيل "الآثار والدلائل في الخلاف"، وكانت وفاته سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م على أثر وفاة الحاجب المنصور[4].

أما الفقيه محمد بن أحمد بن عبيد الله بن سعيد الأموي المعروف بابن العطار، وكان فريد فقهاء عصره أيام الحاجب المنصور الذي عقد للفقهاء مناظرة في موطأ الإمام مالك بن أنس[5]، وكان ابن العطار حافظاً متيقظاًذكياً، جمع كتاباً حسناً يرجع الناس إليه في عقد الشروط ، وقد اسمعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة، وحدث وكتب عنه جماعة من العلماء[6].

كما تولى ابن العطار الصلاة والخطبة في مسجد الزاهرة، وكذلك الفتيا والتعليم والتفقه فيه[7] وأشار الحميدي إلى أنه "من جلة الفقهاء بقرطبة، ومن

---

(١) المقابلة : أحد المجالس الذي يتبع لديوان الجيش، ويختص بالنظر في سجلات الجند، آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، مجلدان ، ترجمة عبد الهادي أبو ريده، ط٤، بيروت، لبنان،١٩٦٧، م١، ص١٤٨. وسيشار إليه تالياً: متز، الحضارة الإسلامية . عياض، ترتيب المدارك، جـ٢، ص٦٤٣-٦٤٤؛ انظر : مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد ١، ١٩٨٨، ص٦٠ .

(٢) عياض، ترتيب المدارك، جـ٢، ص٦٤٥ .

(٣) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٤٠١ .

(٤) الشافعي، طبقات الفقهاء، ص١٦٤؛ مجلة دراسات، عدد ١، ص٦٠ .

كان الأصيلي من جملة الفقهاء الذين يحضرون مجلس الحاجب المنصور للشورى وقد أفتى له بجواز شراء أرض موقوفة على بعض كنائس أهل الذمة كما أفتى للحاجب المنصور بجواز الصلاة في العمارية التي كان يلزم الركوب فيها في أسفاره، عياض، ترتيب المدارك، جـ٢، ص٦٤٥.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٦٥٠ .

(٦) ابن بشكوال، الصلة، جـ٢، ص٧٠٩؛ حلاوي، الزاهرة، ص٩٠-٩١.

(٧) عياض، ترتيب المدارك، جـ٢، ص٦٥٨.

المقدمين في العلم والأدب "[1].

وعُدَّ عبدالله بن يونس (الأشهب) من أهل العلم والأدب، أسكنه المنصور قرطبة مدة سنتين ، فانصرف إلى علوم القرآن[2]، وكان سعيد بن الناكوري صاحب الصلاة وهو من أهل العلم والمعرفة وكثرة الفهم، وتولى الصلاة في مسجد الزاهرة[3].

ومنهم الفقيه قاسم بن خلف بن فتح بن عبد الله بن جبير الطرطوشي، وكان من ضمن العلماء الذين اتهموا بالقيام مع عبد الله بن عبد الرحمن الناصر على المؤيد هشام والحاجب المنصور فسجن في المطبق وتوفي فيه سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م[4].

وكان الفقيه محمد بن يبقى بن زرب (ت٣٨١هـ/٩٩١م)، كثير الصلاة، والتلاوة، ومع علمه بالمسائل بصيراً بالعربية والحساب ويقول ابن الفرضي أنه شهد جنازته[5]، ووصف بأنه فقيه فاضل وأحفظ أهل زمانه للمسائل على مذهب مالك وأصحابه، وله حظ في علم الاعراب، وسرد تلاوة القرآن[6]، ومن مؤلفاته في الفقه كتاب "الخصال" [7]، وكتاب في "الرد على ابن مسرة" [8]، وأظهر الحاجب المنصور لموته غماً شديداً، وأوصل ابنه بثلاثة آلاف دينار وهدايا، ويقول النباهي معلقاً على ذلك «وليس ذلك من أفعال المنصور ببدع، فقد كان في حسن المعاملة بمنزلة لا يقوم بوصفها كتاب حتى أنه لا يأتي الزمان بمثله في فضله، ولا ظفرت الأيدي بشكله»[9].

---

(١) جذوة المقتبس، ق١، ص١٣٢.

(٢) شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ٢ج، ط١، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٦، جـ١، ص٢٥. وسيشار إليه تالياً : أرسلان، الحلل السندسية .

(٣) المراكشي، الذيل والتكملة، تحقيق إحسان عباس، ص٤٦ .

(٤) عياض، ترتيب المدارك، جـ٢، ص٥٦٣ .

(٥) تاريخ علماء الأندلس، ص٩٤-٩٥ .

(٦) النباهي، المرقبة العليا، ص٧٧-٧٨ .

(٧) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢١٤ .

(٨) النباهي، المرقبة العليا، ص٧٨ .

(٩) المصدر نفسه، ص٨٠ .

أما في الأدب فقد تمت الإشارة في بداية الفصل إلى نتاج الحجاب العلمي والأدبي ودورهم في تنشيط الحركة العلمية، ولابد من الإشارة إلى العلماء والأدباء والشعراء الذين واكبوا هؤلاء الحجاب، وكان لهم اضطلاع في الدولة، وعلاقة مباشرة مع حجاب الأندلس خلال حقبة الدراسة، إما عن طريق المجالس الأدبية أو المشاركة في الغزوات أو المدح والرثاء والوصف، وأغراض الشعر الأخرى .

ومن بين هؤلاء الأدباء الزبيدي الذي سبق أن ذكر أنه عاصر الحاجب المصحفي، وكانت بينهما مطارحات شعرية، أظهرت مكانة كل منهما الأدبية، وشارك إلى جانب الحاجب المنصور في المعارك والغزوات التي قادها الأخير، ومن مؤلفات الزبيدي في علم النحو كتاب "الواضح" واختصر كتاب "العين" اختصاراً حسناً، وكتاب "الأبنية" وكتاب "لحن العامة" و كتاب "طبقات النحويين واللغويين" أو "أخبار النحويين"[1]، إضافة إلى ما أشارت إليه بعض المصادر بأنه كان شاعراً [2].

ووصل إلى الأندلس سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م) من المشرق الأديب اللغوي صاعد ابن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي، وأصله من الموصل[3]، وكان عالماً بالآداب والأخبار، سريع البديهة، حسن الشعر، فكه المجالسة[4] حاذقاً في استخراج الأموال، محسناً للسؤال[5].

---

(١) أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، مصر، القاهرة، ١٩٧٣. وسيشار إليه تالياً : الزبيدي، طبقات النحويين؛ ابن خاقان، مطمح، ص٢٧٦؛ المراكشي، المعجب، ص٦٣، عياض، ترتيب المدارك، جـ٢، ص٥٨٢-٥٨٣.

(٢) ابن خاقان، مطمح، ص٢٧٧؛ المراكشي، المعجب، ص٦٢-٦٥ .

(٣) ابن الأثير، الكامل، م٧، ص٤٧٤؛ اليماني، إشارة التعيين، ص١٤٦-١٤٧.

(٤) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٣٧٣؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٢٣.

(٥) ابن بشكوال، الصلة، جـ١، ص٢٧١؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٢٠ .

وبفضل مكانته الأدبية كان صاعد البغدادي مقرباً من الحاجب المنصور، ومن أشهر ندمائه، فحصل أن دخل عليه صاعد مرة بعد أن خلى مجلسه من الحضور، وهو يرتدي الخرائط التي كانت تصل إليه من عطايا الحاجب المنصور، فتعجب الأخير، وسأله عن ذلك، فرد عليه بأنها صلات مولانا اتخذتها شعاراً، فأعجب به المنصور، وقال له لك عندي المزيد[1].

وقد سبقت الإشارة إلى كتاب "الفصوص"[2] أحد مؤلفات صاعد البغدادي، وقد ألفه للحاجب المنصور على غرار كتاب "النوادر" لأبي علي القالي[3]، وكتاب الفصوص جامعاً للآداب والأشعار والأخبار، وقد ألفه سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م وانتهى العمل به في نفس العام ونال عليه مكافأة حسنة[4]، وأمره الحاجب المنصور أن يسمعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة، وقد احتشد لسماعه جماعة من الأدباء وأشار ابن حيان أنه قرأه عليه في بيته سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م[5]. ثم أتهم صاعد البغدادي بعدم صحة ما احتواه كتابه، فأمر الحاجب المنصور بقذف كتابه "الفصوص" في النهر، فقال في ذلك بعض شعراء العصر :

قد غاص في البحر كتاب الفصوص   وهكذا كل ثقيل يغوص

فرد عليه صاعد البغدادي قائلاً :

عاد إلى معدنه إنما توجد   في قعر البحار الفصوص[6]

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٢٦؛ المراكشي، المعجب، ص٧٦ .

(٢) الضبي، بغية الملتمس، ص٣٢٠ ؛ المراكشي، المعجب، ص٧٦؛ شمس الدين محمد بن علي ابن خلكان، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، ٨م، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٧١، م٢، ص٤٨٩. وسيشار إليه تالياً : ابن خلكان، وفيات الأعيان .

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص١٥؛ الحنبلي، شذرات الذهب، جـ٣، ص٢٠٦-٢٠٧ .

(٤) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٦ج، ترجمة عبد الحليم النجار، ط٣، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٧٤، جـ٣، ص١٤٩-١٥٠. وسيشار إليه تالياً : بروكلمان، تاريخ.

(٥) ابن بشكوال، الصلة، جـ١، ص٣٧١-٣٧٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٢، ص٤٨٩ .

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص١٦ .

ومن مؤلفات صاعد البغدادي الأخرى، والتي ألفها للحاجب المنصور وغلب عليها الطابع الغرامي القصصي كتاب «الهجفجف بن غدقان بن يثربي مع الحنّوث بنت مخرمة بن أنيف»[1]، وكتاب آخر أسمه «الجواس بن قعطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء»، وشغف المنصور بالكتاب الثاني حتى أنه عين له من يقرأه عليه كل ليلة[2].

وشهدت مجالس الحاجب المنصور الأدبية والتي ضمت الشعراء الوافدين والمقيمين المناظرات الأدبية والمطارحات الشعرية واختبارات كانت تكشف عن مقدرتهم وبديهيتهم، وأوردت بعض المصادر هذه المواقف التي وقعت مع صاعد اللغوي في بداية دخوله للأندلس وحضر مجلس المناظرة كبار العلماء والأدباء مثل الزبيدي، والعاصمي وابن العريف، وتم سؤال صاعد في النحو من كتاب سيبويه، كما كان أبو العلاء صاعد يطرح الأسئلة اللغوية على جماعة أهل العلم واللغة في مجلس المنصور[3].

ارتفعت منزلة أبي العلاء صاعد البغدادي (ت٤١٧هـ/١٠٢٦م) عند الحاجب المنصور، فنال بسببها الحسد من بقية ندماءه ، فحصل أن دخل صاعد على المنصور ومعه وردة في غير أوانها، مطبقة، فقدمها للحاجب المنصور، وقال فيها شعراً هو :

أتتك أبا عامر وردة	يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر	فغطت بأكمامها رأسها

فسر المنصور بقوله، فحسده ابن العريف الذي كان حاضراً المجلس وأتهم صاعد بسرقة الأبيات من شاعر بغدادي فخرج من مجلسه وأحضر إثباتاً بصدق كلامه، فغضب الحاجب على صاعد، وأمر بامتحانه في اليوم التالي، فأعد له طبقاً فيه سقائق من مختلف أنواع الأزهار، وأمر صاعد بوصفه، فوصفه الأخير

---

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٢٧٤ .

(٢) المصدر نفسه، ق١، ص٢٧٤ .

(٣) المراكشي، المعجب، ص٧٨-٨٢ .

بأحسن وصف[1]، وكتبها المنصور بخطه ومن قوله :

أبا عامر هل غير جدواك واكف   وهل غير من عاداك في الأرض خائف

يسوق إليك الدهر كل عجيبــة   وأعجب ما يلقاه عنــدك واصــف[2]

وقال صاعد أيضاً :

إذا قلت قولاً أو بدهت بديهــة   فكلنى لها أنــي لجــدك واصــف

فأمر له المنصور بألف دينار، ومائة ثوب، ما بين غلائل وطيقان وعمائم، وأجرى له راتباً، وألحقه بديوان الندماء[3].

ومن شعر صاعد في مدح الحاجب المنصور، وهو معه في حدائق الزاهرة:

كأنما الحاجب المنصور علّمــه   فعل الجميل فطابت منه أخلاق[4]

وصادف أن أرسل أبو العلاء صاعد إلى الحاجب المنصور أيلا مع أبيات من الشعر في اليوم الذي أسر فيه غرسية بن فرذلند (Garci Fernandez) صاحب قشتالة سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م وسار غرسية إلى مدينة سالم ومات فيها[5]، ومن هذه الأبيات :

سميته غرسية وبعثته   في حبله ليتاح فيه تفاؤلي[6]

وقيل أن صاعد البغدادي كان يعتذر عن حضور مجالس الأنس بعد وفاة الحاجب المنصور سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م مبرراً ذلك بألم أصابه في ساقه، إلا أن هذا لم يمنعه من مدحه شعراً كل من الحاجب عبد الملك المظفر، والحاجب شنجول مهنئاً الأخير في ولاية العهد[7].

---

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٣٧٤ .

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص١٧-١٨؛ جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر الأزدي، بدائع البدائة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الأنجلو المصرية، ١٩٧٠، ص٢٩٩-٣٠١. وسيشار إليه تالياً : ابن ظافر، بدائع البدائة .

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص١٩؛ ابن ظافر، بدائع البدائة، ص٣٠١ .

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٢١ .

(٥) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٤٥ .

(٦) ابن الأثير، الكامل، م٧، ص٢٧٤؛ المراكشي، المعجب، ص٨٢-٨٣؛ أبو الفداء، المختصر، جـ٢، ص١١٨ .

(٧) انظر : ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١٤ .

ويبدو أن حالة أبي العلاء صاعد تراجعت بعد سقوط الدولة العامرية، فتعرض إلى مصادرة الأموال، وأغرم في مائة مثقال فاستنجد بالخليفة هشام المؤيد لمساعدته ، فرفض طلبه، كما رفض الخليفة المؤيد السماح له بمغادرة الأندلس، فخرج صاعد منها مستخفياً فوصل شلطيش ثم صقلية التي مدح أميرها، فاكرمه، وتحسنت حاله، ثم عاد إلى الأندلس، فمدح الخليفة سليمان المستعين، إلا أن الأخير لم يسعفه بشيء، فأخذ صاعد أفراد أسرته، وعاد إلى صقلية، ومات فيها[1] سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م[2].

وكان لصاعد البغدادي دور في تنشيط الدراسات اللغوية في الأندلس في عهد الحاجب المنصور لاسيما وأن الأندلسيين يحاولون إظهار تفوقهم على المشارقة الوافدين إليهم، فكانت تجري بينهم المناقشات اللغوية[3]، وقد بلغت درجة من التحدي ، كما حصل بين صاعد وابن العريف[4]، ورغم اتهام صاعد بالكذب والانتحال[5]، إلا أنه يعد عالماً وقد اعترف له الأندلسيون بالتفوق[6]، وكان قد أدخل معه إلى الأندلس طريقة جديدة في دراسة الشعر الجاهلي تتلخص في أن يقرأ الطالب القصيدة ثم يسأله الأستاذ عن معاني الألفاظ، فيقوم بالشرح معتمداً على قائمة من المعاني قد استخرجها من المعاجم العربية[7].

ومن شعراء الأندلس الذين اتصلوا بحجابها ، الشاعر أبو عمر يوسف بن هارون الكندي المعروف بالرمادي، الذي وصفه ابن سعيد بأنه كثير الشعر، سريع القول مشهوراً بين العامة والخاصة، كما أنه من مداحي الحاجب المنصور[8].

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٥٥ .

(٢) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٥٥؛ المراكشي، المعجب، ص٨٣؛ اليماني، إشارة التعيين، ص١٤٦-١٤٧ .

(٣) هيكل، الأدب الأندلسي، ص٢٧١-٢٧٢ .

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٢٣؛ الذهبي، العبر، جـ٢، ص٢٣٢ .

(٥) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٢٣ .

(٦) بالنثيا، الفكر الأندلسي، ص٦٦ .

(٧) المراكشي، المعجب، ص٧٩؛ بالنثيا، الفكر الأندلسي، ص٦٦ .

(٨) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٣٩٢-٣٩٣؛ ابن سعيد، رايات المبرزين وغايات المميزين، =

وكان لشعر الرمادي قيمة، إذ ذكر أن الشعر فتح بكندة، وختم بكندة ويعنون بالأول أمرئ القيس والمتنبي وشاعر الأندلس يوسف بن هارون الرمادي[1]. وذكر أنه كان متقدماً على الشعراء[2]، واكتسب علم الأدب من شيخه أبي بكر يحيى بن هذيل الكفيف[3]، وأوردت له المصادر شعراً في المديح والغزل ووصف الطبيعة[4]، كما شارك إلى جانب الحاجب المنصور في غزواته[5].

كان الشاعر الرمادي مختصاً بالحاجب المصحفي وقد هجا ابن أبي عامر قبل حجابته، فلما تولى المنصور الحجابة قبض عليه ونكبه فشفع له عنده في أن يتركه ببلده ، فأذن له في ذلك، غير أن المنصور أصدر أمراً في ألاّ يكلمه أحد من العامة أو الخاصة، فنودي في قرطبة بذلك، فبقي الرمادي كالميت[6] حتى توفي سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م فقيراً معدماً [7].

ومن فحول الشعراء ابن دراج القسطلي ، أحمد بن محمد بن العاص بن أحمد المعروف بابن دراج القسطلي (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)، كان كاتباً للإنشاء في أيام الحاجب المنصور وابنه عبد الملك المظفر، وصفته النصوص الواردة «بأنه معدود في جملة العلماء والمقدمين من الشعراء، والمذكورين من البلغاء وشعره كثير

= تحقيق محمد رضوان الداية، ط١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧، ص١٢٥. وسيشار إليه تالياً: ابن سعيد، رايات .

(١) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، سفر ١٧، ص٧ ..

(٢) ابن بشكوال، الصلة، جـ٣، ص٩٦٩ .

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، سفر ١٧، ص٧؛ انظر : فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ٥ج، ترجمة عرفة مصطفى، مراجعة محمد حجازي، السعودية، الرياض، جـ٥، م١، ص٦٨ . وسيشار إليه تالياً : سزكين، التراث العربي .

(٤) أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر الحميري الاشبيلي، البديع في وصف الربيع، تحقيق د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان، ط١، ١٩٨٧، ص١٤٥؛ وسيشار إليه تالياً : الاشبيلي، وصف الربيع؛ ابن حزم، طوق الحمامة، ص٤٠-٤١ .

(٥) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١٠٦ .

(٦) المراكشي، المعجب، ص٧٠-٧١ .

(٧) ابن بشكوال، الصلة، جـ٣، ص٩٦٩ .

يدل على علمه، وله طريقة في البلاغة والرسائل ، تدل على إتساعه وقوته[1].

ولمكانة ابن دراج في الشعر الأندلسي، عدّه ابن حزم من فحول الشعراء، وقال: «ولو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا أحمد بن دراج القسطلي، لما تأخر عن شأو بشار بن برد، وحبيب والمتنبي»[2].

وتبدأ صلة ابن دراج بالحاجب المنصور بقصيدته الهائية[3]. ويبدو أن الشاعر ابن دراج، من أوفر الشعراء الأندلسيين اهتماماً بتاريخ الأحداث التي شهدتها الدولة العامرية، لاسيما وأنه من بين الشعراء الأربعين الذين رافقوا الحاجب المنصور في غزواته[4]، ولقد كلّف الحاجب المنصوركل من عبد الملك الجزيري، وابن دراج القسطلي في وصف معركة شنت ياقب سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م، فقال الأول: سمعاً وطاعة وبدأ بالكتابة، بينما قال : ابن دراج: «لا يتم لي الأمر في أقل من يومين أو ثلاثة، وكان معروفاً "بالتنقيح والتجويد والتؤدة» فخرج الأمر إلى الجزيري وقيل لابن دراج أفعل ذلك على اختيارك، ثم جاء بعد ذلك بنسخة الفتح وقد وصف الغزوة وصفاً كاملاً من أولها إلى آخرها، ومشاهد القتال، بأحسن وصف، «واستحسنت ، ووقع الاعجاب بها، ولم تزل منقولة متداولة إلى الآن» (إلى وقت الضبي) أما نسخة الجزيري على كثرتها لم يبق لها أثر[5].

أتهم ابن دراج بسرقة الشعر والانتحال، فأعد له الحاجب المنصور امتحاناً وكان ذلك سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م، لم تذكر المصادر نوعه، فنجح في الامتحان، واسترد ثقة المنصور به، ويقول الحميدي أنه سعى به إلى المنصور

---

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص١٧٧؛ ابن بشكوال، الصلة، جـ١، ص٧٦؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٥٩؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق ايميليو مولينا، مدريد، ١٩٩٠، سفر ٢، ص١٨٦. وسيشار إليه تالياً :ابن الخراط، اقتباس الأنوار .

(٢) ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس، ص١٨٧؛ ابن بشكوال، الصلة، جـ١، ص٧٦؛ الضبي، بغية الملتمس ، ص١٦١؛ الذهبي، سير، جـ١٧، ص٣٦٥.

(٣) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٧٧؛ الضبي، بغية الملتمس ، ص١٥٩ .

(٤) ابن دراج، ديوان، ص٣٨.

(٥) الضبي، بغية الملتمس ، ص١٦٠-١٦١ .

على أنه منتحل سارق لا يستحق أن يثبت في ديوان العطاء، فأخبره المنصور بالأمر، فامتحنه ونجح، فوصله بمائة دينار، وأجرى له رزقاً[1]، وأثبته في جملة الشعراء[2].

ورد ابن دراج في قصيدته البائية على ما أتهم به في حضرة المنصور، ما قاله :

حسبي رضاك من الدهر الذي عتبا	وجود كفيك للحظ الذي انقلبا
من بعد ما أضرم الواشون جامحة	كانت ضلوعي وأحشائي لها حطبا
ودسوا لي في مثنى حبائلهم	شنعاء بت بها حرّان مكتئبا[3]

وقد وصف ابن دراج بأنه لا يوجد في الأندلس، أشعر منه[4]، «ووصفته أحد المصادر «بأنه سباق حلبة الشعراء العامريين، وخاتمة محسنى أهل الأندلس، أجمعين»[5]، فهو قرين المتنبي[6]، وأبي فراس الحمداني، وابن الأحنف، وابن هانيء الأندلسي[7].

وأضاف ابن بسام أن ابن دراج أشعر أهل المغرب إن قرب الزمان أو بعد، ماهراً، عالماً ما يقول[8].

ولابن دراج ديوان مشهور محقق يضم مواضيع متنوعة منها الوصف

---

(1) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص ١٧٧ .

(٢) ابن دراج، ديوان، ص٤٤؛ الضبي، بغية الملتمس ، ص١٥٩ .

(٣) ابن دراج، ديوان ، ص٣٦٣-٣٦٨؛ انظر : منجد مصطفى بهجت، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ، دار الكتب، الموصل، العراق١٩٨٨، ص١٤٥. وسيشار إليه تالياً: بهجت، الأدب الأندلسي .

(٤) الضبي، بغية الملتمس، ص١٦١؛ ابن ماكولا، الإكمال، جـ٢، ص٣١٨-٣١٩ .

(٥) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، سفر ١٧، ص٣٧ .

(٦) الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ٤م، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر، دار الباز، بيروت، لبنان، ١٩٧٩، م٢، ص١٠٣. وسيشار إليه تالياً : الثعالبي، يتيمة الدهر؛ ابن سعيد، رايات المبرزين، ص١٨٦؛ الذهبي، العبر، جـ٢، ص٢٤٤؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١٢٣ .

(٧) بهجت، الأدب الأندلسي، ص١٥٢ .

(٨) الذخيرة، ق٤، م١، ص٢١١ .

والمدح للملوك وللحجاب والوزراء والرؤساء والقضاة، وخاصة الحاجب المنصور وأبناءه، وللوزير عيسى بن سعيد، ووصف للزاهرة ورياضها[1].

ويظهر إلى أن لشعر ابن دراج أهمية خاصة، لما فيه من ملاحظات تاريخية، ترجع إلى الدولةالعامرية والعلاقات بين الممالك الاسبانية والأندلس، وكان يدخل في قصائده الشعرية الكلمات الافرنجية، التي تدل على تأثره بالواقع المحلي مثل قوله :

وبسطت من قشتلة يـد أمـــن ... لرضاك فيها بارق وســـوار

وقوله :

وبيعة شنت قروج أوريت فوقها ... سنا لهب فيه لعميانها شـــرح[2]

وقوله :

«وفرزلند» رددت الملك من يـده ... وما رجا غير ردّ الروح في جسده[3]

ومن شعره في وصف الزاهرة :

دار السرور المعتلى شرفاتهــا ... فوق النجوم الزهر في استعلائها

وكأنما أيدي السعود تضمـــنت ... إبداعهــا فبنت على أهوائهــا

وكأنها لما اعتزت في حميـــر ... نشرت عليها من كريم ثنائهـــا[4]

وقال في مدح الحاجب عبد الملك المظفر :

إن كان وجه الربيـع مبتسمـاً ... فالسوسن المجتلـى ثنايـــاه

يا حاجب مذ يـراه خالقـــه ... توجه بالعلـــى وحـــلاه

إذا رآه الزمـــان مبتهجـــاً ... فقـد رأى كل مـا تمنـــاه[5]

---

(١) انظر : ابن دراج، ديوان (مقدمة المحقق)؛ بهجت، الأدب الأندلسي، ص١٤٧، ١٥٠، هيكل، الأدب العربي، ص٢١١-٢١٤ .

(٢) سزكين، التراث العربي، جـ٥، م٢، ص٧٨ .

(٣) ابن دراج، ديوان، ص١٥٠، ١٦٥، ٢٩١ .

(٤) الكتاني، التشبيهات، جـ١، ص٧٠، ٧١ .

(٥) الحميري، صفة، ص١٦٠ .

وتعد قصائد ابن دراج الشعرية هي أفضل مرجع تاريخي لتقويم أعمال الحاجب المنصور والمظفر العسكرية في الأندلس، لأنه أكثر الشعراء اهتماماً بتاريخ الأحداث، وبذلك يكون ديوانه وثيقة تاريخية يرجع إليها المؤرخون للوقوف عليها[1].

اضطربت حال الشاعر ابن دراج بسبب الفتنة البربرية، فخرج إلى سبتة ومات فيها سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م[2].

وكان للشاعر أبو بكر يحيى بن هذيل (ت٣٨٩هـ/٩٩٩م) علاقة وثيقة بالحاجب المصحفي، إلا أن الحاجب المنصور لم يتعرض له، وقد يعود ذلك إلى صلة القرابة التي جمعتهما معاً مع والدة المنصور، والصداقة التي ربطت الشاعر مع الفقيه ابن زرب الوثيق الصلة بالمنصور، وكذلك عدم وجود توجه سياسي للشاعر ابن هذيل[3].

وقد وصف الشاعر مدينة الزاهرة قائلاً :

قصور إذا قامت ترى كل قائم   على الأرض يستحذى لها ثم يخشع[4]

ومن ندماء الحاجب المنصور الشاعر سعيد بن عثمان بن عمرون المعروف بـ(البلينة)[5]، الذي غضب عليه الحاجب، فسجنه، فكتب إليه الشاعر :

---

(١) عبد الله أنيس الطباع، القطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامي الدانية، ط١، دار ابن زيدون، بيروت، ١٩٨٦، ص١٥٤؛ وسيشار إليه تالياً : الطباع، القطوف اليانعة .

(٢) ابن بشكوال، الصلة، جـ١، ص٣٧١؛ ابن سعيد، رايات المبرزين، ص١٨٦؛ انظر : الرشاطي، اقتباس الأنوار، سفر ٢، ص١٨٦؛ انظر أيضاً كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، جـ٥، ص١٢١؛ وانظر : محمد المنتصر الريسوني، الشعر النسوي في الأندلس، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٧٨، ص١٧. وسيشار إليه تالياً : الريسوني، الشعر النسوي .

(٣) ابن هذيل يحيى بن هذيل القرطبي، ديوان ابن هذيل، جمع وتحقيق محمد شوابكه، ط١، الكرك، مؤتة، ١٩٩٦، ص٢٣١ (مقدمة المحقق) وسيشار إليه تالياً: ابن هذيل، ديوان .

(٤) الكتاني، التشبيهات، جـ١، ص٧٧؛ ابن هذيل، ديوان، ص٢١ (مقدمة المحقق) .

(٥) البلينة : حوت كبير يعرف بدابة البحر، الكتاني، التشبيهات، جـ٣، ص٢٨٩؛ ابن سعيد، المغرب، ص١٩٨؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣١٠ .

مولاي مولاي أمـــا آن أن تريحني بالله من هجركـــا

وكيف بالهجر وأني بـــه ولم أزل أسبح في بحركـــا

فعفا عنه الحاجب المنصور، وأمر له بثلاثمائة دينار[1] .

ومن شعراء بلاط الحاجب المنصور الشاعر طاهر بن محمد بن عبد الله المعروف بالمهند (ت.٣٩٠هـ/٩٩٩م) وهو من مداحي المنصور ، وله عدة كتب ورسائل[2]، والشاعر حبيب بن أحمد الشطجيري (ت.٤٣٠هـ/١٤٠١م)، وهو من أعيان الأدب بقرطبة، من مداحي الحاجب المنصور[3].

ومن ندماء الحاجب المنصور الحسين بن وليد بن نصر القرطبي المعروف بابن العريف كان شاعراً مادحاً للمنصور، متقدماً بشعره[4]، عالماً في العربية أستاذاً في الآداب ، وله عدة مؤلفات لغوية تشتمل على مسائل في النحو وله مسألة في العربية[5].

وكان ابن العريف دائم الحضور لمجالس الحاجب المنصور توفي بطليطلة سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م[6].

وكان الشاعر زيادة الله الطبني من ندماء الحاجب المنصور، ووصف بأنه كان ظريفاً ، ممتع الحديث، رفيع الطبقة في الشعر، حسن البديهة[7]، مدح الحاجب شنجول في ولاية العهد[8].

ومن أسرة بني الطبني الشاعر الأديب محمد بن الحسين أبو عبد الله التميمي الطبني المتوفي سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٤م الذي حظي بمكانة عند الحاجب

---

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٣٦٠؛ الكتاني، التشبيهات ، جـ٣، ص٢٨٩، ٢٩٠؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص١٩٨ .

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٣٨٣؛ سزكين، التراث العربي، م٢، جـ٥، ص٦٤ .

(٣) الثعالبي، يتيمة الدهر، جـ٢، ص٦٧؛ الكتاني، التشبيهات ، جـ٣، ص٢٨٦ .

(٤) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٣٠١؛ سزكين، التراث العربي، م٢، جـ٥، ص٧٠ .

(٥) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٣٠١؛ الضبي، بغية الملتمس، ص ٢٦٧-٢٦٨.

(٦) اليماني، إشارة التعيين، ص١٠٥-١٠٦؛ سزكين، التراث العربي، م٢، جـ٥، ص ٧٠ .

(٧) الكتاني، التشبيهات ، جـ٣، ص٢٨٨-٢٨٩.

(٨) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٩٤-٩٦ .

المنصور والمظفر وهو واسع الأدب والمعرفة، تولى منصب الشرطة في عهد الحاجب المظفر[1].

ووصف الشاعر محمد بن الحسين الطبني بكثرة الشعر، وسعة الأدب، وعلمه خاصة في السير ورواية أخبار العرب وأنسابهم، ومن لقاءاته مع الحاجب المنصور في إحدى المجالس حصل أن غنّت جارية أبياتاً من شعر الطبني، وهي :

صدفت ظبية الرصافـــة وهي أشهى من كل ما يتمنـــى

هجرتنا فما إليها سـبيل غير أنا نقول : كانت وكنـــا

فاستعاد الطبني هذه الأبيات ، فغضب المنصور،وعلم أن هيبته لم تملأ قلبه فأمر المنصور بقتل الجارية فوضعت جثتها في طست بين يدي الطبني، وقال له المنصور: مرها فلتعد، "فسقط في يده"[2].

وكان الشاعر أبو عبد الله محمد بن مطرف بن شخيص القرطبي المتوفي قبل سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م وهو من بيت رفيع النسب شاعراً، ذا نظم بديع، منادماً للحاجب المنصور وابنه المظفر، دائم الحضور لمجالسهم رافق الحاجب المظفر في نزهاته[3].

وعدّه أحد المؤرخين من الشعراء المتقدمين، ومن أهل الأدب المشهورين[4].

ومن ندماء المنصور كذلك جعفر بن أبي القالي[5]، وكان شاعراً أديباً [6]، أما الشاعر وليد بن مسلمة المرادي، أبو العباس، فقد مدح المنصور في زيادة في النهر رآها فقال :[7]

---

(١) ابن بشكوال، الصلة، جـ٢، ص٨٦١؛ سزكين، التراث العربي، م٢، جـ٥، ص٦٥ .

(٢) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠٦-٢٠٧ .

(٣) المصدر نفسه، ق١، ص٢٠٨ .

(٤) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص١٤٩.

(٥) ابن سعيد، المغرب، ق٢، ص٢٠٨-٢٠٩؛ الضبي، بغية الملتمس، ص ٢٥٦ .

(٦) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٥٧٨؛ الضبي، بغية الملتمس، ص ٢٣٩؛ السيوطي، الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ٢م، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٢١٢ وسيشار إليه تالياً: السيوطي، بغية الوعاة .

(٧) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٥٧٨؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٤٨٢ .

أما ترى النهر يا منصور كيف طفا وعمّ من جاور العبرين بالضرر
وأعجب لجودك لم يغن الورى غرقا فيه وقد عمّ أهل البدو والحضر

وذكر الضبي أن أبا عامر بن شهيد شاعر المنصور مدح أبا المطرف عبد الرحمن بن أبي الفهد وقال أنه أشعر ما انبتته الأندلس، وهو غزير المادة، وكانت مرتبته في الشعراء أيام بني أبي عامر دون مرتبة عبادة في الزمام وخرج أيام الحاجب عبد الملك المظفر من الأندلس[1].

ومن ندماء الحاجب المنصور عبادة بن عبد الله بن ماء السماء الأنصاري وهو ينسب إلى سعد بن عبادة الصحابي الجليل، اشتهر بفن الموشحات ووصف بأنه قدوة شعراء الأندلس وأدبائها[2]، وهو «شيخ الصناعة وكانت له صفة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها، وأجرى عليها تعديلاً حسناً حتى وكأنها لم تسمع بالأندلس إلا منه... فأحدث التظفير، وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في المراكز»[3]، ومن مصنفاته «أخبار شعراء الأندلس»[4]، وقد ذاع صيته في الدولة العامرية[5].

ومن الشعراء الأمويين الذين كانت لهم مواقف شعرية مع حجاب الأسرة العامرية عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضي، كان ذا عقل وشهامة وأدب وغزارة علم وإمتاع حديث، وطيب مجالسة[6]، قبض عليه الحاجب المنصور، وطيف به على جمل ثم سجنه سنة ٣٨٩هـ/٩٩٩م، وله :

---

(١) بغية الملتمس، ص٤٣٩-٤٤٠ .

(٢) ابن سعيد، رايات المبرزين، ص١٣٥ .

(٣) سزكين، التراث العربي، م٢، جـ٥، ص٧٧ .

(٤) الحميدي، جذوة المقتبس، ق٢، ص٤٦٣ .

(٥) ابن سناء الملك، ابو القاسم هبة الله بن جعفر، دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق جودة الركابي، ص٢٠٥. وسيشار إليه تالياً :سناء الملك، دار الطراز .

(٦) ابن الأبار، الحلّة، جـ٢، ص٢١٧ .

فررت ولم يغن الفرار، ومن يكن ... مع الله لا يعجزه في الأرض هارب

والله ما كان الفرار لحالة ... سوى حذر الموت الذي أنا راهب

وله أيضاً يستشفع بعبد الملك إلى أبيه المنصور :

ألا أيها الحاجب المرتجى ... وأكرم من كان أو من يكون

دعوتك دعوة مستصرخ ... أحاطت به واثخنته المنون

وبقي مسجوناً إلى أن مات المنصور وتولى عبد الملك المظفر حجابة هشام، فاطلقه ، وتوفي غازياً مع عبد الملك سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م بمدينة لاردة[١].

ومدح الشاعر الأموي المطرف بن عمر الهشيمي من ولد هشيم بن عبد الملك بن المغيرة بن الوليدبن معاوية بن هشام وهو من متميزي المروانيين وشعرائهم الحاجب عبد الملك المظفر، فقال فيه :

إن المظفر لا يزال مظفراً ... حكماً من الرحمن غير مبدل

تلقاه صدراً كلما قابلته ... مثل السنان بمحفل وبجحفل[٢]

طلبه المهدي، فهرب إلى شرق الأندلس، وصحب المرتضى[٣].

أما الشاعر الأموي مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن بن الناصر المكنى بأبي عبد الملك والملقب بالطليق[٤]، فهو من الشعراء المعاصرين للحاجب المنصور، وكان شاعراً مكثراً أكثر شعره في السجن الذي استمر فيه ستة عشر عاماً في أيام الحاجب المنصور، وكان قد دخل السجن بسبب قتله والده، وقيل عنه أبو عبد الملك هذا في بني أمية مثل عبد الله بن المعتز في بني

---

(١) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢١٨-٢٢٠ .

(٢) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص١٩٧ .

(٣) المصدر نفسه، ق١، ص١٩٧ .

(٤) لقب بالطليق لأنه سجن أيام الحاجب المنصور مدة طويلة بسبب قتله والده، ثم أطلق كما لقب بطليق النعامة، انظر : ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص٢٢٠؛ المراكشي، المعجب، ص٢٨٥-٢٨٦ .

العباس، ملاحة شعر، وحسن تشبيه[1]، والتقى في السّجن بعدة شعراء وأدباء، مثل محمد بن مسعود البجاني[2]، وكان المنصور قد أتهم البجاني بالزندقة[3].

وتعرض الحاجب المنصور إلى الهجاء من قبل الحاجب المصحفي الذي نكبه، بعد أن فقد الأمل في عفوه، كما هجاه الشاعر إبراهيم بن إدريس الحسنى، بعد أن أخرجه المنصور من الأندلس عندما قتل الحسن بن قنون كبيرهم، وقال الحسنى مخاطباً للأمويين في قرطبة منتقداً غلبة المنصور على الخليفة هشام المؤيد واستبداده في الأمر دونه :

فيما أرى عجب لـمن يتعجـب	جلت مصيبتنا وضاق المذهـب
إني لأكذب مقلتي فيمـــا أرى	حتى أقول غلطت فيما أحسـب
أيكون حيا من بني أمية واحد	ويسوس هذا الملك هذا الأحدب[4]

كان أبو المطرف بن أبي الحباب من الأدباء والشعراء وندماء الحاجب المنصور ومداحيه[5].

وأهدى الشاعر القائد يعلى بن أحمد بن يعلى المتوفى (٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، وردة إلى المنصور وقال له مادحاً :

بعثت من جنتـي بورد	غض له منظر بديـع
فقال أناس رأوه عندي	أعجله عامة المريـع
قلت : أبو عامر المعلى	أيامه كلها ربيـــع[6]

---

(١) ابن الآبار، الحلّة، جـ٢، ص٢٢١؛ المراكشي، المعجب، ص٢٨٥-٢٨٦؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص١٩١ .

(٢) الكتاني، التشبيهات ، جـ٣، ص٣١٢؛ لمزيد من شعره انظر : ابن الآبار، الحلّة، جـ٢، ص٢٢١-٢٢٥.

(٣) سزكين، التراث العربي، م٢، جـ٥، ص٧٣ .

(٤) ابن الآبار، الحلّة، جـ٢، ص٢٢٦-٢٢٧ .

(٥) الحميدي، جذوة المقتبس، ق٢، ص٦٣٦ .

(٦) المصدر نفسه، ق٢، ص٦١٥؛ ابن الآبار، الحلّة، جـ٢، ص٢٨٤؛ ابن سعيد، المغرب، ق٢، ص٢٠٤.

وتعرض الحاجب المظفر إلى الهجاء من الشاعر أبي حفص عبد الله بن عمر بن عسقلاجة ابن عم المنصور الذي كان أديباً وشاعراً ، ومن الرؤساء في الدولة العامرية، ويبدو أنهما لم يكونا على وفاق، فهجا ابن عسقلاجة الحاجب المظفر في إحدى المناسبات، وقال مستخفاً :

عربـــي تـــزوج   عبده بنت أختـــه

قبح الله مثل ذا   ورمـــاه بمقتـــه[1]

أما الشاعر قاسم بن محمد القرشي المرواني المعروف بالشيشبي فكان شاعراً وأديباً، قبض عليه المنصور وسجنه، لاشتغاله بالفلسفة فكتب للمنصور يستعطفه ويتأكد من صحة خبره، قائلاً :

وتثبت المنصور مولانـــا   وسيدنا الموقف في القضا الملهم

فرّق المنصور لحاله، وأطلق سراحه[2].

ومن الأسرة العامرية كان الشاعر أبو مروان عبد الله بن يحيى بن أبي عامر الوزير، وهو من أهل العلم والأدب والجلالة، وهو ابن أخي الحاجب المنصور ابن أبي عامر[3].

وحظي الشاعر أبو الأصبغ عيسى بن عبد الملك بن قزمان عند الحاجب المنصور بمكانة هامة، وكان قد عينه مؤدباً للخليفة هشام المؤيد[4]، وقبض على الشاعر أبي الأصبغ عيسى بن الحسن وسجنه بسبب تآمر الشاعر ضده مع عبد الله بن المنصور بن أبي عامر[5].

ولم يقتصر لقاء المنصور مع الشعراء والأدباء في المجالس الأدبية والأنس، بل رافق الشعراء الحاجب المنصور في غزواته، وقد وصل عدد هؤلاء إلى أربعين

---

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، ق٢، ص٦٢٧-٦٢٨؛ الضبي، بغية الملتمس، ص ٥٢٢ .

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ق٢، ص٥٢٥-٥٢٦؛ الطرطوشي، سراج الملوك، جـ٢، ص٤٨١ .

(٣) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٤٥٤؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٥٢٢ .

(٤) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢١٠ .

(٥) المصدر نفسه، ق١، ص٢١١-٢١٢ .

شاعراً وأديباً، يصفون وقائع المعارك، ويثيرون الحماس في الجنود[1]. ومن هؤلاء الشعراء : سعيد بن عبد الله الشنتريني، ووليد بن مسلمة المرادي، وأغلب ابن سعد، وأبوالفضل أحمد بن عبد الوهاب، وأحمد بن أبي غالب الرصافي، ومحمد ابن مسعود البلخي، وعبادة بن محمد بن ماء السماء،وعبد الرحمن بن أبي الفهد الألبيري، وأبو الحسن بن الضبي البجلي الكاتب، وعبد الملك بن سهل الوزير، وعبد الملك بن إدريس الجزيري، وقاسم بن محمد الجياني، وأبو عبد الله محمد بن حسين الطبني، وأبو القاسم حسين بن الوليد المعروف بابن العريف، وأبو الوضاح بن شهيد، وعبد الرحمن بن أحمد، أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادي، وأبو بكر زيادة الله بن علي التميمي، عمر بن المنجم البغدادي، وأبو الحسن علي بن محمد القرشي العباسي، عبد العزيز بن الخطيب، وأبو عمر يوسف بن هارون الرمادي، وموسى بن أبي طالب، ومروان بن عبد الحكم بن عبد الرحمن، يحيى بن هذيل عبد الملك بن هذيل المكفوف،وسعد بن محمد القاضي، وابن عمرون القرشي المرواني، وعلي النقاش البغدادي، وأبو بكر يحيى بن أمية بن وهب،ومحمد بن إسماعيل الزبيدي، وأحمد بن دراج القسطلي، وأبو الفرج منيل بن منيل الاشجعي، ومحمد بن عبد البصير، والوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد، ومحمد بن عبد الملك بن جهور، ومحمد بن الحسن القرشي، وأبو عبيدة حسان بن مالك، وطاهر بن محمد المعروف بالمهند، ومحمد بن مطرف بن شخيص[2].

ويظهر دور المرأة في الشعر في الدولة العامرية، فقد أشارت بعض المصادر إلى ظهور شاعرات تفوقن على نساء عصرهن من الناحية العلمية والأدبية .

ومن أشهر شاعرات هذه الحقبة الشاعرة عائشة بنت أحمد القرطبية التي توفيت سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م،وقدوصفت بكثرة العلم والأدب والفهم والشعر،

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص١٠٦-١٠٧؛ هيكل، الأدب الأندلسي، ص٢٨٢ .

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، م٢، ص١٠٦-١٠٧ .

إضافة إلى العفة والجزالة والحصافة[1].

وذكر ابن بشكوال أن الشاعرة عائشة القرطبية كانت تمدح حكام وحجاب عصرها، وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة، فقد دخلت على الحاجب المظفر، وبين يديه ولد له ، فقالت ارتجالاً :

أراك اللـــه فيه ما تريـــد ولا برحت معاليه تزيـــد

فقد دلت مخايله على مـــا تؤمله وطالعه ســـعيد

تشوّقت الجياد وهزّ الحسام هوى وأشرفت البنـــود

وكيف يخيب شبل قد نمتـه إلى العليا ضراغمه أسود[2]

ويضيف ابن بشكوال أنها كانت تبلغ بحسن بيانها ما لم يبلغه كثير من شعراء وأدباء عصرها، فلا ترد شفاعتها أبداً، وقد اعتنت الشاعرة عائشة بجمع الكتب[3]، إذ احتفظت لديها بمكتبة كبيرة، إضافة إلى أنها كانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر، وهي ذات ثروة وغنى تعينها على المروءة[4].

أما الشاعرة حفصة بنت الحاج الركونية من أهل غرناطة، فهي من الشاعرات اللواتي ترددن على مجلس الحاجب المنصور، ووصفتها بعض المصادر بأنها فريدة الزمان في الحسن والظرف والأدب، أديبة محسنة، حسنة البديهة، سريعة الشعر، وكانت تجلس في دار الحاجب المنصور لتعلّم النساء، وقد سألها المنصور يوماً أن تنشده، فقالت ارتجالاً :

يا سيد الناس يا من يؤمل الناس رفـده

أمـــنن على بصـــكّ يكون للدهر عـــده

خطت يمناك فيـــه والحمد لله وحـــده[5]

(1) ابن بشكوال، الصلة، جـ٣، ص٩٩٢-٩٩٣؛ فائزة حمزة، دور المرأة، ص١١٢ .

(2) رضا كحالة، أعلام النساء، جـ٣، ص٦ .

(3) ابن بشكوال، الصلة، جـ٣، ص٩٩٢ .

(4) المصدر نفسه، جـ٣، ص٩٩٢-٩٩٣؛ انظر : فائزة حمزة، دور المرأة، ص١١٣؛ رضا كحالة، أعلام النساء، جـ٣، ص٦ .

(5) ابن الآبار، المقتضب من تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٣. وسيشار إليه تالياً : ابن الآبار، تحفة القادم .

وكان الحاجب المنصور يتردد على مراكز العلم، ويتفقد أحوالها، وسار على النهج نفسه الحاجب المظفر الذي كان يزور أماكن الدرس .

ونال علم التاريخ اهتماماً في عصر الخلافة ، فبعد وفاة أحمد الرازي سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م سار ابنه عيسى بن أحمد الرازي (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م) على نهجه في كتابة تاريخ الأندلس إلى عصره، فأكمل ما بدأ به والده من كتاب "أخبار ملوك الأندلس" [1]، وكان عيسى عالماً بالآداب ، تاريخياً، راوياً للأخبار[2]. فقد ألف في هذا المجال كتاباً في التاريخ للخليفة الحكم المستنصر، كما ألف كتابين آخرين للحاجب المنصور أولهما عن"الوزراء والوزارة في الأندلس"، والثاني عن "الحجاب للخلفاء بالأندلس" [3]. ولكنّ هذين الكتابين فقدا وقد استفاد ابن الآبار من الكتاب الثاني "الحجاب للخلفاء بالأندلس" في ترجمة الحاجب عبد الكريم ابن عبد الواحد بن مغيث، حاجب الحكم الربضي ، وقال ذكر ذلك عيسى بن أحمد الرازي[4]. كما استفاد من كتاب الحجاب في ترجمة الحاجب هشام بن عبد العزيز حاجب الأمير المنذر بن محمد، وقال حكى عيسى بن أحمد الرازي في كتاب

---

(١) لقب أحمد الرازي بالتاريخي كونه متخصصاً بعلم التاريخ،وكان أديباً ، مفوهاً، ألف كتاب "أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم"،ثم أكمله ابنه عيسى فيما بعد ، كما ألف كتاب "أنساب مشاهير أهل الأندلس" في خمسة أجزاء، وكتاب "كبار الموالي الأندلسيين" وكتاب "في صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها"، وجميع هذه الكتب ضاعت، لم يصل منها إلا قطعة في صفة الأندلس، تتألف من ثلاثة أقسام مترجمة إلى الإسبانية بعنوان "كرونيكا"، للمزيد من التفاصيل، انظر : ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس، جـ٢، ص١٨٣؛ بالنثيا، الفكر الأندلسي، ص١٩٧؛ عبدالواحد ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، ط١، بغداد ، العراق، ١٩٨٨، ص٣٧. وسيشار إليه تالياً : ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ؛ انظر : يوسف بني ياسين، الكتابة التاريخية في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، ص١٣٥-١٤٥ .

(٢) المراكشي، الذيل والتكملة، تحقيق بنشريفه، جـ٥، ص٤٩١؛ انظر : بني ياسين، الكتابة التاريخية، ص١٤٥-١٤٧ .

(٣) ابن الأبار ،الحلة، جـ٢، ص١٣٨؛ ذنون طه، نشأة تدوين التاريخ، ص٣٧ .

(٤) ابن الأبار ،الحلة، جـ٢، ص١٣٦؛ انظر : بني ياسين، الكتابة التاريخية، ص١٤٧ .

"الحجاب للخلفاء بالأندلس" من تأليفه[1]. كما أورد ابن الآبار ترجمة أخرى نقلاً عنه للحاجب جعفر بن عثمان المصحفي متضمنة بيعة هشام المؤيد للخلافة ونكبته[2].

ومن مؤرخي الأندلس، أبو مروان الحسين بن عاصم المعروف بابن عاصم الأندلسي المتوفي سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م، له كتاب "المآثر العامرية في سيرة المنصور بن أبي عامر وغزواته وأوقاتها"[3]، ولكن الكتاب تعرض للضياع.

كما صنف عبد الرحمن بن محمد بن معمر أبو الوليد المؤرخ اللغوي الأندلسي الذي توفي في الجزائر الشرقية سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م "تاريخ الدولة العامرية" وقدمه للحاجب المنصور[4].

أما الزبيدي (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م)، فقد عينه الحاجب المنصور مؤدباً للخليفة هشام المؤيد في صباه، كما تولى وظيفة صاحب الشرطة في عهد الخليفة المستنصر وكان على اتصال وثيق بالحاجب المصحفي، ثم أصبح من ندماء الحاجب المنصور[5].

ومن أعظم مؤرخي الأندلس أبو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت٤٦٩هـ/١٠٧٠م) فكان أبوه من كتاب الحاجب المنصور، ومن المقربين إليه ونال حظوة كبيرة عنده، وقد تتلمذ حيان على أبيه الذي يعتبر أهم مورد له في تسجيل أخبار العامريين، بالإضافة إلى استقائه المعلومات من والده وزملائه، مثل أبي القاسم محمد بن مرشد. كما تتلمذ ابن حيان على أبي عمر أحمد بن عبد العزيز المعروف بابن أبي الحباب البربري الأصل المتوفى سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، وكان أبي الحباب مؤدباً للحاجب المظفر في صباه، ومن شيوخ ابن حيان أيضاً صاعد

(١) ابن الآبار، الحلة، جـ٢، ص١٢٨ .

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٥٨-٢٥٩ .

(٣) ابن حزم، رسائل، جـ٢، ص١٨٤ .

(٤) الحميدي، جذوة المقتبس، ق٢، ص٣٩٥-٣٩٦ .

(٥) أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، جـ٣،ص١٠١. وسيشار إليه تالياً : الحنبلي، شذرات الذهب؛ انظر : حلاوي، الزاهرة، ص٨٧ .

البغدادي، وقرأ عليه كتابه " الفصوص في الآداب والأشعار والأخبار" منفرداً وذلك سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م، ويبدو أن الحاجب المنصور أراد أن يتفوق من الناحية العلمية على الخليفة المستنصر، فكان ابنه عبد الله يهتم أثناء رحلته للمشرق بتصحيح ومقابلة نصوص الكتب التي يدرسها أو يحصل عليها[1].

أما في مجال الفلسفة، فقد ظهرت في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، حركة ابن مسرة القرطبي الباطني (ت٣١٩هـ/٩٣١م) الذي اتهم بالزندقة، ولسوء معتقده أمر الخليفة الناصر باحراق كتبه، وأشارت بعض المصادر إلى أن موسى بن حدير حاجب الخليفة الناصر كان هو وابنيه عبد الرحمن وأحمد من المعتزلة[2].

وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر أخذ الاهتمام بالفلسفة بالظهور قليلاً نظراً لاهتمام الخليفة بالعلوم العقلية، ومنها الفلسفة إلا أن الخمول أصاب الدراسات الفلسفية في عهد الخليفة هشام المؤيد، ويعلل ذلك لقيام الحاجب المنصور باحراق كتب الفلسفة والمنطق والفلك الموجودة في مكتبة الخليفة الحكم المستنصر بحضور بعض علماء المالكية منهم الأصيلي وابن ذكوان والزبيدي. وأشار ابن عذاري إلى أن المنصور أشد الناس في التغير على من علم عنده شيء من الفلسفة والجدل في الاعتقاد، والتكلم في شيء من قضايا النجوم وأدلتها، والاستخفاف بشيء من أمور الشريعة، وأحرق ما كان في خزائن الخليفة المستنصر من كتب الدهرية والفلاسفة بمحضر كبار العلماء، وتولى حرق جميعها بيده[3]. باستثناء كتب الطب والحساب واللغة والنحو والشعر والأخبار والفقه والحديث، وغيرها من العلوم المباحة، والتهمت النيران الكتب الأخرى الفلسفية والفلكية، وألقى بعضها في آبار القصر وهيّل عليها التراب

---

(١) خوليان ريبيرا، المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٥٩، م٦، ص٧٣. وسيشار إليه تالياً : ريبيرا، المكتبات .

(٢) ابن حزم، نقط العروس، جـ٢، ص١١٥ .

(٣) البيان، جـ٢، ص٢٩٣ .

والحجارة[1].

ويبدو أن هناك ثمة أسباباً وراء قيام الحاجب المنصور بتجميد الدراسات الفلسفية وملاحقة أصحابها، وقد أشارت لها بعض المصادر إلى أن المنصور فعل ذلك تحبباً إلى عوام الأندلس، وكذلك «تقبيحاً لمذهب الخليفة المستنصر عندهم، إذ كانت تلك العلوم مهجورة عندهم مذمومة بألسنة رؤسائهم، وكل من قرأها متهم بها»[2].

وذكر أن الكتب التي أفلتت من الحرق والطمر، فقد نقلت فيما بعد إلى ابن هود بسرقسطة[3].

وكان أشد العلماء معارضة للمشتغلين بالفلسفة الزبيدي الذي اعتبرهم هراطقة[4]، فاستمال المنصور العلماء المعارضين، وأغدق عليهم الأموال والعطايا، وأشارت دراسة أخرى إلى أن المنصور كسب هؤلاء بحجة أنهم غير محبذين للكتب القديمة، فأخذوا يوجهون اللوم إلى المنصور لمحافظته عليها، ويضمرون الشك في إيمانه الصحيح[5].

وإضافة إلى ما قام به الحاجب المنصور، أصدر توصياته إلى أهل الأندلس بترك الجدل والتنجيم، وكلّف الفقيه محمد بن يبقى بن زرب سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م بمتابعتهم وإحراق كتبهم، وألّف الفقيه المذكور كتاباً (للرد على ابن مسرة القرطبي)، وبذلك نجح الحاجب المنصور في تضييق الخناق على الفلسفة، كما

---

(١) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص١٦٣-١٦٤؛ الصفدي، الوافي، جـ٣، ص٣١٢.

(٢) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص١٦٤.

(٣) لطفي عبد البديع، الإسلام، ص٤٧. انظر أيضاً عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٨٠؛ الطاهر مكي، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ط٣، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٨٧، ص١٢١. وسيشار إليه تالياً: مكي، دراسات. انظر أيضاً علي راضي، الأندلس والناصر، دار الكتاب العربي، ص٦٤. وسيشار إليه تالياً: راضي، الأندلس.

(٤) بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥، ص٩٢. وسيشار إليه تالياً: بروفنسال، الحضارة العربية؛ دويدار، المجتمع، ص٣٩٣.

(٥) حلاوي، الزاهرة، ص٩٥.

قمع أهل البدع بالسجن والنفي، والقتل والصلب[1].

وكان الحاجب المنصور يأمر بالقبض على من يتنبأ بنهاية الأسرة العامرية، وانقراض دولته، فقد قبض على محمد بن أبي جمعة لما بلغه عنه «قول من الأرجاف في القطع على انقراض دولته» فقطعَ لسانه ثم قتله وصلبه. فخرست ألسنة جميع من يقول بذلك[2]، كما قبض على الشاعر عبد العزيز بن الخطيب الذي كان مقدماً عند الحاجب المنصور بسبب أبيات قالها هي:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

فكأنما أنت النبي محمد وكأنما أنصارك الأنصار[3]

فأمر بضربه خمسمائة سوط، ونودي عليه باستخفافه، ثم حبسه ونفاه بعيداً عن الأندلس[4]، كما تعرض الفقيه محمد بن موهب التجيبي إلى المحنة من قبل الحاجب المنصور، بسبب كلامه في نبوة النساء، ونحو هذه المسائل التي لا يعرفها العامة، فعاقبه، ثم مات في محنة ثالثة تعرض لها من قبل المنصور[5].

ومن الأساليب الأخرى التي اتبعها الحاجب المنصور في ملاحقة أمثال هؤلاء بث العيون له لموافاته بما يجري في الدواوين، فعين له سراً كاتباً يدور في الدواوين ويترصد ما يجري من قصة أو يحدث بين ولاتها من مناظرة، فيسجل ذلك، ويزود المنصور به، وكان من شأنه في الأخذ على المكهنين والمنجمين، ومن ينذر بذكر قاطع على الدولة أو اقتراب من انتهاء مدتها أن يغضب لذلك، ويعاقب هؤلاء بقطع الأعناق والألسنة بعد العقاب والتعذيب[6].

وكان المنصور يشرف بنفسه على جلسات المحاكمة لمن يتهم بالزندقة، ويحضر

---

(١) دويدار، المجتمع الأندلسي، ص١٨٥؛ الطاهر، دراسات، ص١١٩-١٢٠.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٩٣.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٩٣.

(٤) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٩٣؛ الكتاني، التشبيهات، جـ٣، ص٢٨٨؛ انظر: ابن عتيق، الأدب العربي، ص٨٩.

(٥) ابن بشكوال، الصلة، جـ٢، ص٧٢٩.

(٦) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٧٧.

الجلسات عدد من الفقهاء[1].

واستمر الحاجب المنصور طيلة عهده بملاحقة العلماء الفلاسفة من أتباع ابن مسرة[2] «عندما تظاهر بالحمية للدين» فقد آل مصير عبد الملك بن المنذر بن سعيد البلوطي إلى القتل لاتهامه بهذا المذهب[3]. وتعرض الوزير سعيد بن فتحون إلى السجن ثم النفي في عهد المنصور بسبب اهتمامه بعلم الفلسفة والمنطق[4]، كما سجن القاسم بن محمد الشيشبي الذي شهد عليه بالزندقة[5]، وهرب إلى المشرق العالم عبدالرحمن بن إسماعيل بن بدر المعروف بالإقليدسي، وكان متقدماً في علم الهندسة، ومهتماً بعلم المنطق، وله كتاب «اختصار الكتب الثمانية المنطقية»[6].

أدى قيام الفتنة البربرية إلى تعرض مكتبات قصر الخليفة إلى البيع ثم النهب، فانتشرت هذه الكتب التي تتناول الفلسفة في الأقاليم والكور الأندلسية، كما بدأ العمل علناً بالاشتغال بالفلسفة في دول الطوائف[7].

وازدهر الطب في الأندلس بشكل كبير، ويبدو لنا ذلك من الإشارات الواردة في كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» والذي أسعفنا بأسماء أطباء كثيرين، وفي عصر الخلافة نال الطب مثل هذا الاهتمام، لا سيما وأن بعض السفارات بين بيزنطة وبلاط قرطبة حملت في طياتها كتاب ديوسقوريدس في الطب الذي أرسله الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع

---

(١) الطرطوشي، سراج الملوك، جـ٢، ص٤٨٢.

(٢) كان لأتباع ابن مسرة ٣١٩هـ/٩٣١م علامات خاصة مثل «التشريق» أي أنهم لا يولون وجوههم في الصلاة شطر مكة، وإنما نحو الشرق الفلكي. انظر: بالنثيا، الفكر الأندلسي، ص٣٣٠.

(٣) ابن حزم، طوق الحمامة، ص٧٢.

(٤) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص١٦٨.

(٥) الطرطوشي، سراج الملوك، جـ١، ص٤٨١.

(٦) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص١٦٧.

(٧) المصدر نفسه، ص١٦٤-١٦٥.

إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٧هـ/٩٤٨م[١].

ومن أطباء هذه الحقبة، الذين كان لهم اتصال مع حجاب عصر الخلافة، الطبيب أحمد بن حكم بن حفصون، فقد كان مختصاً بالحاجب جعفر بن عبد الرحمن الصقلبي، وحاشيته، وقد قربه الحاجب الصقلبي من الخليفة المستنصر، وسجل اسمه في ديوان المتطببين[٢]، ولكن بعد وفاة الحاجب الصقلبي قبل سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م، أسقط اسم الطبيب من الديوان، وبقي خاملاً [٣].

وكان الطبيب ابن حفصون بارعاً في معرفة أسباب المرض، ومعرفة علاجه، ووصف الدواء[٤].

أما الطبيب عبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم فكان من أعيان أطباء الأندلس، وكان طبيباً خاصاً بالحاجب المنصور. وقد ألّف الطبيب ابن الهيثم عدة مؤلفات في هذا المجال مثل كتاب «الكمال والتمام في الأدوية المسهلة المقيئة» وكتاب «الاقتصار والإيجاد في خطا ابن الجزار في الاعتماد» و «الاكتفاء بالدواء من خواص الأشياء» وصنف الكتاب الأخير للحاجب المنصور[٥]، كذلك ألّف في الطب كتاب «الخواص والسموم والعقاقير»[٦]، وقيل «السمائم»[٧].

وأشار بالنثيا إلى أن كتاب ديوسقوريدس كان له أثر في تقدم الدراسات الطبية في الأندلس، ومنها تاليف ابن الهيثم للكتب السالفة الذكر[٨].

---

(١) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص٤٩٤.

(٢) أبو داود بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٥، ص١١٠. وسيشار إليه تالياً: ابن جلجل، طبقات الأطباء.

(٣) أشار صاعد إلى أن ابن حفصون كان مهتماً بالفلسفة ومشرفاً على علومها، طبقات الأمم، ص١٨٩.

(٤) وفاء المزروع، الخليفة الحكم المستنصر ٣٥٠-٣٦٦هـ، الدار السعودية، ص١٦٣-١٦٤، وسيشار إليه تالياً: مزروع، الخليفة الحكم.

(٥) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص٤٩٣.

(٦) الحميدي، جذوة المقتبس، جـ٢، ص٦٤٤.

(٧) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص٤٩٣.

(٨) بالنثيا، الفكر الأندلسي، ص٤٦٣.

وكان الطبيب ابن جلجل (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م) أبو داود سليمان بن حسان، قد اختص بطبه الخليفة هشام المؤيد، والحاجب المنصور. ولابن جلجل عدة مؤلفات في الطب منها «طبقات الأطباء والحكماء»، و«تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس»، و«رسالة»، و«مقالة في أدوية الترياق»، و «مقالة في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه»، و «رسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين»[1].

واشتهر الطبيب أحمد بن يونس الحراني زمن الخليفة هشام المؤيد، ثم أصبح من ألمع أطباء الحاجب المنصور وتولى في عهده خطة الشرطة وخطة السوق، وكان متخصصاً في مداواة العين، وكان له في قرطبة آثار عجيبة[2].

ويذكر صاعد الأندلسي أن الطبيب محمد بن عبدون الجيلي كان من أشهر أطباء الحاجب المنصور، كما كان الجيلي مختصاً في الحساب والهندسة، وخدم الحاجب المنصور وابنه المظفر كل من الأطباء محمد بن الحسين المعروف بابن الكتاني، وعبد الله بن اسحاق المعروف بابن الشناعة[3].

وبعد هذا الاستعراض لعدد كبير من الفقهاء والعلماء والشعراء والأدباء والمؤرخين والأطباء الذين كانوا على اتصال مع حجاب هذه الحقبة، لابد من الإشارة إلى أن جذور الحركة العلمية والثقافية بدأت في النمو منذ عصر الإمارة ثم أخذت تزدهر في عصر الخلافة خاصة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ثم الحكم المستنصر الذي كان شغوفاً بالعلم والعلماء، وكان بعض حجاب

(١) ابن جلجل، طبقات الأطباء، مقدمة المحقق؛ هيكل نعمة الله وإلياس مليحة، موسوعة علماء الطب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩١، ص٤٤. وسيشار إليه تالياً: نعمة الله هيكل وإلياس مليحة، موسوعة؛ سامي خلف حمارنة، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، المطبعة الوطنية، عمان، الأردن،١٩٨٦، ٣٢٩. وسيشار إليه تالياً: حمارنة، تاريخ تراث العلوم الطبية؛ باقر الورد، معجم العلماء العرب، ٢ج، مراجعة كوركيس عواد، جـ١، ص٤٦. وسيشار إليه تالياً: الورد، معجم العلماء.

(٢) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص١١٣.

(٣) طبقات الأمم، ص١٩١، ١٩٢؛ الكتاني، التشبيهات، ص١٣، (مقدمة المحقق).

هذه الحقبة على درجة من العلم والمعرفة، ساهموا في تنشيط ودعم الحركة العلمية في الأندلس من خلال نشاطاتهم الأدبية والعلمية ونتاجهم العلمي والمعرفي، مثل الحاجب المصحفي والحاجب المنصور، والأخير يعتبر عهده استمراراً لعهد الخليفة الحكم المستنصر من الناحية العلمية والثقافية، فقد استكثر من الكتب بأنواعها المختلفة في الأدب والطب والحساب والأخبار والعلوم الدينية باستثناء العلوم الفلسفية، كما شجع على تأليف الكتب، ونال الأدباء والشعراء والعلماء مكانة مرموقة في عهده وعهد ابنه الحاجب المظفر، إلا ما ذكر عنهم بقيامهم بالعمل ضد الدولة أو هجاء حجاب الدولة العامرية بما يضر، وقد أفاضت المصادر بذكر ما ورد عن هؤلاء العلماء من نتاج فكري، فالحركة الفكرية والثقافية التي شهدتها الأندلس خلال القرن الرابع الهجري يرجع الفضل فيها إلى تشجيع الخليفة الحكم المستنصر والمنصور بن أبي عامر لها [1].

---

(١) انظر ص ١٧٦-١٨٠ من هذه الدراسة .

الباب الثاني

الـــــوزارة

الفصل الأول

نشأة الوزارة في الأندلس وتطورها

- نشأة الوزارة في الأندلس وتطوّرها:

بعد سقوط الدولة الأموية بالمشرق سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م(١)، تمكن عبدالرحمن بن معاوية من اجتياز إفريقية والمغرب، ثم دخل الأندلس في سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م(٢)، فتمت مبايعته أميراً على الأندلس، فجدَّد ما طمس من معالم الخلافة الأموية، والتفت القبائل اليمنية والمضرية حوله، وقطع الدعوة للعباسيين سنة ١٣٩هـ/٧٥٦م(٣)، وقبض على معارضيه وهما: يوسف بن عبدالرحمن الفهري ووزيره الصميل بن حاتم، واللذان قتلا سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م(٤).

ورغم أن بعض المصادر أشارت إلى ما يفيد بأن الصميل كان وزيراً ليوسف الفهري في عصر الولاة وهو المتغلب على أمره، إلا أنّها لم تشرْ إلى أنه كان وزيراً فعلياً وربما كان الصميل معاوناً ومساعداً ومستشاراً له، وإذا وجد هذا اللفظ أي الوزارة(٥) فعلاً فربما يكون ذلك لتأثيرات الدولة العباسية في الأندلس(٦).

وبدخول عبدالرحمن الداخل الأندلس ومبايعته للحكم، بدأت نواة النظام السياسي في الظهور، إذ أحاط الداخل نفسه بمجموعة من الأعوان الذين ساندوه في دخول الأندلس، وكان لهم دورٌ كبيرٌ في دعم استقرار الحكم الأموي في الأندلس.

---

(١) المقري، نفح، م٢، ص٣٢٧ .

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٤٤؛ المقري، نفح، م٢، ص٣٢٨ .

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٤٨؛ المقري، نفح، م٢، ص٣٢٩ .

(٤) ابن الأبار، الحلّة، جـ١، ص٦٨؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٤٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م٣، ص٣٤٥، ٣٤٨؛ المقري، نفح، م٢، ص٣٢٨ .

(٥) الوزارة : كلمة مشتقة إما من الوزر، وهو الثقل، لأن الوزير يحمل أعباء الدولة، أو من الوزر وهو الملجى والمعتصم، وهو الذي يعتمد الخليفة على رأيه في أمور الدولة، ويلتجى إليه، أو أنها مأخوذة من المؤازرة وهي المعاونة، قال تعالى «واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي، أشدد به أزري، واشركه في أمري» سورة طه، آية : ٢٩-٣٢.
الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص٢٨؛ ابن منظور، لسان العرب، م٥، ص٢٨٣؛ ابن الطقطقى، الفخري، ص١٥٢، ابن الخطيب، أدب الوزارة، ص٣٧، ٤٣ ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، م١، ص٢٩٤ .

(٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص٨٤ .

وعن تحديد ماهية هؤلاء الأعوان، أشارت بعض المصادر إلى أن الأمير عبدالرحمن الداخل، أقرّ بعضهم في منصب الحجابة[1]. كما تبين النصوص أن منصب الوزارة كان موجوداً منذُ قيام الدولة الأموية بالأندلس، فقد عين الأمير عبدالرحمن عبد الغافر بن حسان بن مالك من أسرة بني عبده وزيراً له، يقول ابن الأبار: «وتصرف عبد الغفار في الوزارة للإمام عبدالرحمن، وبرئ إليه بخاتمه إلى أن مات»[2] كما تولى الوزارة في عهده عبدالملك بن عمر، تقديراً لجهوده في محاربة الخارجين عن الطاعة في اشبيلية «فوصله بالصهر وولاه الوزارة»[3].

كما وزر له عدد من الوزراء منهم عبدالله بن عثمان، وعبدالله بن خالد، ويوسف بن بخت، وحسان بن مالك[4]، وعبدالسلام بن بسيل الرومي[5].

وكان الوزراء يقدمون الرأي والاستشارة للداخل في تعيين كبار رجال الدولة، فقد ذكر تصويب الوزراء للأمير عبدالرحمن الداخل للرأي القائل بتعيين شيخ من الشاميين هو مصعب بن عمران الحمداني في منصب القضاء، كما أوكل لوزيره شهيد بن عيسى بن شهيد نظارة القصر كنائب عن الأمير أثناء غيابه عن قرطبة في الغزو[6]، بينما أشارت بعض المصادر إلى أنَّ الداخل كان منفرداً برأيه لا يشاور أحداً[7].

وتناقلت بعض المصادر والمراجع ما أورده ابن سعيد بأن الوزارة بالأندلس

---

(1) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٤٨؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٣٥٢.

(2) الحلة، جـ١، ص٢٤٧ .

(3) ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٢٢ .

(4) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٤٨؛ انظر : منى محمود، المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٦، ص٧٩. وسيشار إليه تالياً: منى محمود، المسلمون في الأندلس .

(5) منى محمود، المرجع نفسه، ص٧٩؛ نجدة خماش، عبد الرحمن الداخل، مجلة دراسات تاريخية، عدد ٢٥، آذار، ١٩٨٧، ص٧٠. وسيشار إليه تالياً : خماش، عبد الرحمن الداخل.

(6) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص٩٠ .

(7) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١٠ .

كانت في عصر بني أمية مشتركة في جماعة من الوزراء يعينهم الأمير أو الخليفة للإعانة والمشاورة، ويخصهم بالمجالسة. ويختار منهم شخصاً لمكان النائب المعروف بالوزير فيسميه بالحاجب وكانت هذه المراتب الحجابة ولوزارة لعلو شأنها متوارثة في أسر معينة بالأندلس، وصار الوزير الملقب بذي الوزارتين ينوب عن الخليفة، وغالباً ما يتميز بالعلم والأدب أو الكفاءة في العمل والمقدرة الكاملة في إدارة شؤون الدولة[1].

ويتبين مما سبق أن الأمير الداخل أوجد منصب الوزارة في الأندلس بشكل فعلي، وسار من جاء بعده على هذا النهج.

أما حال الوزارة في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن(١٧٢-١٨٠هـ/ ٧٨٨-٧٩٦م) فقد اتخذ له حجاباً ووزراءً من أسرة بني مغيث وهم عبد الواحد بن مغيث ثم ابنه عبدالملك بن عبدالواحد بعد وفاة والده[2]، وقد جمعت لعبدالملك عدة خطط هي الحجابة والوزارة والكتابة معاً [3]، وقد بلغ عدد وزرائه ثمانية منهم[4]: أبو عثمان صاحب الأرض، ويوسف بن بخت، وشهيد بن عيسى[5].

وجمع بعض الوزراء في عهد الأمير الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢١م) بين الوزارة والكتابة، فقد تولّى الوزير أبو البسام الكتابة والوزارة للأمير الحكم[6].

وتشير بعض الروايات إلى أن وزراء الأمير الحكم تعرض بعضهم للعزل بسبب السعايات ضدهم، فقد عزل وزيره ابن فطيس بسبب الشكاوى الواقعة ضده[7]، كما عزل وزيره الآخر أبو البسام[8] في سعاية الفقيه المالكي طالوت ضده

---

(١) المقري، نفح، م١، ص٢١٦-٢١٧؛ انظر: أرسلان، الحلل السندسية، جـ١، ص٢١٦، ٢٥٠-٢٥١ .

(٢) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٢، ص٣٥٩.

(٣) المصدر نفسه، جـ٢٢، ص٣٥٩ .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٦١ .

(٥) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٢، ص٣٥٩.

(٦) المصدر نفسه، جـ٢٢، ص٣٧٥ .

(٧) الضبي، بغية الملتمس، ص٦٣ .

(٨) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٤٦ .

وكتب الأمير عهداً يمنعْ توليته المناصب أبداً، حتى شوهد الوزير في حالة يُرْثى لها من الفقر والذل[1].

وتضاربت الروايات حول سياسة الأمير الحكم بن هشام، فمن قائل إلى أنه باشر أمور الدولة بنفسه[2]، ومن قائل أن وزيره وحاجبه عبد الكريم بن مغيث هو المسيطر على زمام الأمور في عهده[3]، خاصة وأن الأمير عانى من المرض الذي أقعده عن العمل مدة سبعة أعوام بعد وقعه الربض[4]، وهناك من ذكر أن الأمير أوكل أمور الدولة إلى ابنه عبدالرحمن[5]. كما أشارت مصادر أخرى إلى أن الأمير الحكم كان يشاور وزراءه في بعض المهام، فقد استشارهم في أمر تولية بعض القضاة والفقهاء، ومنهم الفقيه محمد بن بشير المعافري، وقد أجمع الوزراء على توليته[6]، كما كان يوجه وزراءه بالعساكر إلى طليطلة[7]، وعقد هؤلاء نيابة عنه اجتماعات مع عمرو بن حاكم طليطلة[8]. وذكر ابن الأبار أن وزيره فطيس بن سليمان الكاتب دون اسمه في الديوان، وورد في أول الأسماء[9].

وخلال عصر الإمارة طرأت تغييرات جديدة على رسوم الدولة الأموية، بإعادة ترتيبها من قبل الأمير عبدالرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) فنالت الوزارة النصيب الأكبر من اهتمامه[10]، فخلال الفترة السابقة من عصر الإمارة (١٣٨-٢٠٦هـ/٧٥٥-٨٢١م) كان الوزراء والمستشارون يترددون على قصر الأمير بين الحين والآخر، وعندها يجلسون بمجلس الأمير إذ لم يكن لهم مجلس

(١) المراكشي، المعجب، ص٤٥-٤٦ .
(٢) ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٢٥ .
(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص٩٨ .
(٤) المصدر نفسه، ص١٠٥ .
(٥) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٤٦ .
(٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص٩٨ .
(٧) ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٢٦ .
(٨) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٠٠ .
(٩) الحلة، جـ٢، ص٣٦٥ .
(١٠) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٠٨؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٤٦ .

خاص، أما الأمير عبدالرحمن الأوسط فقد كان مدركاً لدور الوزراء في إدارة الدولة، إذ تقتضي الضرورة مباشرة أعمالهم بشكل يومي، أو حسب الحاجة لذلك، مما دفعه إلى تطوير رسوم الوزارة، فبدأ بإنشاء مجلسٍ خاصٍ للوزراء داخل قصره وبذلك منحهم استقلالاً مكانياً يسمح لهم بحرية التردّد ومباشرة العمل والبحث والمشاورة[1]، كما خصصت لهم مقاعد داخل مجلسهم مصنوعة من الكتان، يعلو هذه المقاعد جميعاً، مقعدٌ واحدٌ يقع في صدر المجلس، خصص لرئيس الوزراء (الحاجب) الذي يشرف على أعمال الوزراء، ويجتمع معهم، وبذلك انتظمت معه الوزارة واتخذ له الوزراء الأكفاء[2]. وأضاف ابن القوطية إلى أن الأمير عبدالرحمن «أول من رتب اختلاف الوزراء إلى القصر، والتكلم في الرأي على ما هو جارٍ إلى اليوم ...»[3]. وذكر مصدر آخر أن الأمير عبدالرحمن هو الذي استكمل فخامة الملك بالأندلس وأحاطها بهالة الأبهة والجلالة، وظهر في أيامه الوزراء[4]، واحتجب عن الناس[5].

ويبدو أن هناك تطوراً جديداً طرأ على الوزارة، وهي مخاطبة الوزير خطياً للحاجب أو الأمير، في حالة عدم الاجتماع معهم أو مع أحدهم، فكان للأمير عبدالرحمن الأوسط السبق في هذا المجال كما ويخاطبهم هو برقاع فيما يراه من أمور الدولة[6].

ويبدو أن كثرة الأعمال المناطة بالوزراء دفعت بالأمير عبد الرحمن الأوسط إلى تعيين كاتبٍ للوزراء بختص بكتابتهم، ومنهم محمد بن سعيد الزجالي (ت ٣٠١هـ/٩١٣م) الذي كتب للوزراء فقط. ومنذ ذلك الوقت اتخذ

---

(١) ابن سعيد، المصدر نفسه، ق١، ص٤٦ .
(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٠٨.
(٣) المصدر نفسه، ص١٠٨ .
(٤) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١١٣-١١٤ .
(٥) ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٣٠ .
(٦) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٤٦ .

الوزراء لهم كاتباً خاصاً بكتابتهم، حتى أنهم يرافقونهم في الغزوات[1].

وأشارت بعض المصادر إلى أن وزراء الأمير عبدالرحمن الأوسط كانوا يمتازون بالكفاءة العالية، بل لم يكن لبقية الأمراء والخلفاء مثلهم[2]، ويبلغ عددهم تسعة وزراء إضافة إلى الحاجب[3]. ومن هؤلاء الوزراء الذين ترددت أسماؤهم في المصادر، عيسى بن شهيد، ويوسف بن بخت، وعبدالله بن أمية بن يزيد كاتب الأمير، وعبدالله بن رستم. كما رفع الأمير خزان الأموال إلى رتبة الوزارة بعد أن عرف استقامتهم وصدقهم وهم: موسى بن حدير وعبدالحميد بن بسيل الملقب بالغماز، وطاهر بن أبي هارون، ويعود أمر تقليدهم الوزارة إلى أنَّ هؤلاء الخزان رفضوا طلب الأمير بصرف مبلغ ثلاثين ألف دينار إلى المطرب زرياب لصوت غناه بحضرة الأمير، فاستحسن الأمير رأيهم وولاهم الوزارة وصرف الأمير لزرياب المكافأة من ماله الخاص[4]. وفي موقف مماثل غضب الوزراء من قيام الأمير عبدالرحمن -الذي كان مولعاً بالطرب والموسيقى- بصرف مبلغ عشرة آلاف دينار قيمة عقد جوهر إلى جاريته المغنية طروب، وقالوا أن هذه الأموال للدولة ومدخرة لنوائب الدهر وليست للهو والبذخ[5]. كما عين محمد بن السلم صاحب المدينة، الذي نجح في استتباب الأمن وقضى على الجرائم والفساد، في منصب الوزارة إضافة إلى احتفاظه بخطة صاحب المدينة[6].

وفي عصر الأمير عبدالرحمن اشتد التنافس بين الوزراء للاستئثار بمنصب الحجابة، مما دفع الأمير مرة إلى استثنائهم جميعاً من هذا المنصب[7]، أما

---

(1) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١١٦، ١١٧، ١٢٠-١٢٢؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص١٧٣.

(2) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٠٨ .

(3) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٨٠ .

(4) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١١٢-١١٣.

(5) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص ١١٦ .

(6) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١١٣-١١٤.

(7) المصدر نفسه، ص١٠٨-١٠٩ .

الأمير محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) فكان يفضل بعض وزرائه على غيرهم، ومن أشهر وزرائه هاشم بن عبدالعزيز، الذي كان يؤثر بالوزارة [١] فهو كثير الولاء والطاعة لبني أمية[٢]، خاصة وأن هاشم كان فارساً ومحارباً وكاتباً وشاعراً، ذا نسب عريق[٣] وهذه الصفات مكنته عند الأمير محمد، إذ أشير إلى أنه فوض أمور دولته إليه لأنه «أعظم وزرائه»[٤].

ومن الخطط التي أضيفت إلى الوزير هاشم بن عبد العزيز مع الوزارة خطتا الخيل والقيادة[٥]، وكان الأمير يرشحه إمّا منفرداً، أو مع أبناء الأمير على القيادة والإمارة، فقاتل ابن حفصون، واقتحم سرقسطة، ونزل الجميع على حكمه سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م[٦].

وبلغ بالوزير هاشم بن عبد العزيز مكانة أن كانت له اليد العليا في إيصال عبد الواحد الإسكندراني إلى منصب الوزارة وولاية المدينة، وتوليه كاتبه الخاص محمد بن موسى خطة الوكالة للأمير محمد، ثم الوزارة له[٧]، وعرف عن هذا الأمير هاشم عدم قبوله الرشوة والهدية، ويعتبر ما يقدمه لهؤلاء الناس شرفاً له[٨]. وكان هاشم من النفوذ بمكان حتى أنه طلب من الأمير محمد عزل كاتبه النصراني، الذي تولى الكتابة مؤقتاً بدلاً من الكاتب عبد الله بن أمية بن يزيد الذي كان مريضاً، وخاطب هاشم الأمير في رقعة بهذا الشأن قال فيها «إن أعجب العجب، أن يبلغ خلائف بني العباس بالمشرق أن خلائف بني أمية بالمغرب، اضطروا في كتاباتهم العظمى وقلمهم الأعلى أن يولوا قومساً النصراني ابن أنثنيان بن يليانة النصرانية» فأخذ الأمير برأيه وعزل القومس

(١) ابن الآبار، الحلّة، جـ١، ص١٣٧.
(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١١٦.
(٣) ابن الآبار، الحلّة، جـ١، ص١٣٧.
(٤) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٥٢-٥٣.
(٥) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٩.
(٦) ابن الآبار، الحلّة، جـ١، ص١٣٧.
(٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١١٦، ١١٧، ١٢٠.
(٨) المصدر نفسه، ص١١٦.

عن الكتابة وولاها محمد بن سعيد الزجالي الكاتب، وبعد أن امتحن الزجالي في الكتابة وأجاد فيها، أمر له الأمير بفراش الوزارة، وبذلك قلده خطتي الوزارة والكتابة معاً [1].

وذهبت بعض المصادر إلى القول: أن الوزير هاشم هو الناهض بأعباء الحكم والمستولي على أسباب التدبير، لا تنفذ الأمور إلا به، ولا يحكم الأمير إلا على يده، ولا يعارض الوزير أحداً [2]. وكان يعين العمال وأصحاب الولايات والموظفين من صغار السن، بدلاً من الكهول والشيوخ وشكلت هذه السياسة خطراً على الأمير[3]، ربّما لعدم توفر خبرة عند هؤلاء الشباب ويبدو أن الأمير محمد كان يغض الطرف من سوء تصرفات وزيره هاشم الذي وصف بأنه معجبٌ، حقودٌ، لجوجٌ [4]، فعندما وقع الوزير بالأسر أجرى الأمير محمد مفاوضات مع المتمرد عبد الرحمن بن مروان الجليقي الذي أسر الوزير عنده، وتنازل الأمير للجليقي عن بطليوس، مقابل اطلاق سراح هذا الوزير، وبعد إطلاق سراحه بقي هاشم محتفظاً بمكانته، عند الأمير محمد[5].

ويظهر أن الأمير محمد قد حظي بعدد من وزرائه الأكفاء مثل عبدالله بن أمية، ووليد بن غانم (ت ٢٧٢هـ/٨٨٥م) ويرتبط الأخير مع الوزير هاشم بصداقة وثيقة[6]، وتولى ابن غانم خطة المدينة مع الوزراء وكذلك الوزير أمية بن عيسى ابن شهيد، الذي تولى خطة المدينة أيضاً، وكان يأمر المخالفين بمراجعة الوزير وصاحب المدينة في مقر عمله الواقع في قصر الخليفة[7]، كما وزر للأمير محمد

(١) المصدر نفسه، ص١٢٠-١٢١.

(٢) الخشني، قضاة قرطبة، ص١٥٩ .

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٤؛ انظر : العميان، الخراج، ص٩٨ .

(٤) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٥٢ .

(٥) المصدر نفسه، ق١، ص٥٢؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٢١؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٣١؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٤٠ حاشية (١).

(٦) ابن سعيد، المقتطف من أزاهر الطرف، تحقيق سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣، ص٨٥. وسيشار إليه تالياً : ابن سعيد، المقتطف؛ ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص٣٧٤.

(٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٢٢-١٢٨ .

تمام بن عامر بن علقمة (ت٢٨٣هـ/٨٩٦م)[1] ومحمد بن عبد الملك بن جهور ووليد بن غانم وعبد الرؤوف بن عبد السلام بن إبراهيم[2].

ومما طرأ على منصب الوزارة في الأندلس في عصر الإمارة تقليدها لأطفال صغار السن، فعلى أثر أسر الوزير هاشم بن عبد العزيز، أمر الأمير عبد الرحمن بتعيين ابن الوزير هاشم الصغير السن في وزارة والده، وأمر الوزير وليد بن غانم بالإشراف على نقل خطة الخيل والقيادة إلى هذا الوزير الطفل مع متابعته وخدمته وتفقده، ويعود أمر تقليد هذا الطفل الوزارة إلى الوزير وليد بن غانم الذي كان صديق والده هاشم. إذ أشار ابن غانم على الأمير بتعيينه، واستمرت وزارة هذا الطفل مع احتفاظه بالجاه والنعم حتى أطلق سراح والده بعد مدة قليلة[3].

وبلغ عدد وزراء الأمير المنذر بن محمد (٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م) أحد عشر وزيراً[4]. ترأسهم الحاجب هاشم بن عبد العزيز (ت٢٧٣هـ) ومن أشهر وزرائه محمد بن عبد الملك بن جهور[5]، وتمام بن عامر بن علقمة (ت٢٨٣هـ)، وهما من وزراء أبيه[6].

وعندما تولى الحكم الأمير عبدالله (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) شكل وزارة جديدة استبعد منها وزراء أخيه المنذر، بما فيها رئيسهم الحاجب عبدالرحمن بن أمية بن شهيد، وعين مكانه وزيراً وحاجباً سعيد بن محمد بن السلم (ت٣٠٢هـ/٩١٤م)[7]، وقد بلغ عدد وزرائه ثلاثة عشر وزيراً[8]، تناقصت أعدادهم

---

(١) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٤٤ .

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٣٧٥، جـ٢، ص ١٤١، جـ١، ص١٤١ .

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٩؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٢١ .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١١٣.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٣٢؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٤٠؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٥٢ .

(٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٣٢؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٤٤.

(٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٣٣ .

(٨) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٤٦ حاشية (١) .

حتى أصبحوا أربعة وزراء عند وفاة الأمير سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م[١]. وقد اجتمع في وزارة الأمير عبدالله عدة وزراء من أسرة بني عبده: وهم: أبو عثمان عبيدالله بن محمد بن أبي عبدة (ت٢٩٦هـ/٩٠٨م)، وأبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى، وعبدالرحمن بن حمدون ابن أبي عبدة المعروف بدحيم[٢].

ومن التقاليد التي وجدت في وزارة عصر الإمارة أن أمر الأمير محمد بتفضيل الوزراء من الأصل الشامي على الوزراء من الأصل الأندلسي البلدي. وسار على هذا النهج ابنه الأمير عبدالله، وقد حاول الوزراء البلدون تجاوز هذا التقليد في عهد الأمير عبدالله وذلك عندما تنافس موسى بن حُدير من الأصل الشامي مع عيسى بن أحمد بن أبي عبدة من البلديين، وحاول الأخير التقدم على ابن حُدير، فرفض الأمير عبدالله، واعتبر مثل ذلك خرقاً لرسوم والده محمد[٢].

وقد تولى الوزارة خلال هذه الحقبة من عصر الإمارة وزراء من الأُسر الأندلسية كبني أبي عبدة، وبني شهيد وهم موالي الأمويين المشرقيين، إضافة إلى أسر أخرى غير عربية من البربر ومنهم: الوزير سليمان بن وانسوس الذي عزله الأمير عبدالله ثم أعاده ثانية للوزارة[٣].

ويبدو أن استفحال حركات التمرد والعصيان في عهد الأمير عبدالله دعاه إلى زيادة عدد المناصب الوزارية حيث تقلد عدد منهم خطة الوزارة إلى جانب مهمات عسكرية انيطت بهم، ومن هؤلاء الوزراء الذين تولوا الوزارة وخطة القيادة عبدالملك بن عبدالله بن أمية بن يزيد، وكان وزيره وكاتبه[٤]، وقد قتل هذا الوزير في اشبيلية على يد مطرف ابن الأمير عبدالله فثار له الأمير وقتل ابنه المطرف به . وتولى الوزارة والقيادة مكانه الوزير صاحب المدينة أحمد بن محمد بن أبي عبده، فحقق هذا الوزير انتصارات على ابن حفصون «وقوى أمر

---

(١) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٤٦ .

(٢) المصدر نفسه، جـ١، ص١٤٦ .

(٢) المصدر نفسه، جـ١، ص١٢١ .

(٣) المصدر نفسه، جـ١، ص١٢٢ .

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٣٣ .

الأمير عبدالله به ...»[1].

وتولى الوزارة وخطة الخيل الوزير عبيدالله بن محمد بن أبي عبده، والوزير مسلمة بن علي بن أبي عبده، والوزير عبدالرحمن بن حمدون بن أبي عبده والوزير حفص بن محمد بن بسيل، والوزير جعفر بن عبدالغافر والوزير العاصي بن عبدالله بن ثعلبة، والوزير تمام بن عمرو بن تمام علقمة. وكان وزيراً سابقاً لكل من الأمير محمد والأمير المنذر[2]، ثم عزله الأمير عبدالله[3] وتولى خطتي الوزارة والخيل أيضاً الوزير عبدالله بن حارث بن بزيغ، والوزير إبراهيم بن خمير، والوزير محمد بن أمية بن شهيد[4].

كما يلاحظ أنه انيطت بالوزراء إلى جانب خطة الوزارة، خطة إدارية أخرى وهي ولاية المدينة ومن الذين تولوا الوزارة مع المدينة: الوزير محمد بن وليد بن غانم، والوزير أصبغ بن عيسى بن فطيس، والوزير عبدالله بن محمد الزجالي، وكان الأخير كاتباً ووزيراً [5]، فجمعت له مع الوزارة وخطة الكتابة خطة المدينة أيضاً [6]. وتولى المدينة الوزير النضر بن سلمة[7]، وعزل وزيره البراء بن مالك الذي أساء في حديثه أمام الوزراء إلى الأمير[8]. وبما أن الحاجب يقوم بدوره الوساطة بين الوزراء والحاكم، فقد أبلغ أكابر المسلمين والوزراء والعلماء الحاجب ابن السليم أمر تهديد المطرف ابن الأمير عبدالله لهم بالقتل، ورغبته في خلع أبيه والبيعة له، فاتهموه بالزندقة وأمروا بقتله. فنقل الحاجب ابن السليم أمره إلى والده -الأمير عبدالله- فأرسل له وزراء صاحب الخيل

(1) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٣٣، ١٣٥.
(2) يتولى متقلد خطة صاحب الخيل الإشراف على شؤون الخيل اللازمة للجيش، وما يتصل بها من سرج وقرابيس، وهي وظيفة إدارية تسند أيضاً إلى القائد، ويقود الصوائف، ابن عذاري، البيان، صادر، جـ٢، ص١٥٢؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٣٢، حاشية (٢) .
(3) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٣٢ .
(4) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٥٢.
(5) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٣٣؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٥٢.
(6) المصدر نفسه، جـ٢، ص١٥٢.
(7) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٣٣؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٥٢.
(8) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٣٥.

عبدالله بن محمد وغيره فقبضوا على المطرف، وأدخلوه دار الوزراء -المقر- فأمر الأمير عبدالله بقتله[1].

ومن المناصب التي جمعت أحياناً للوزير إضافة للوزارة خطة الشورى، فأصبح يتولى هذا المنصب في عهد الأمير عبدالله بدر الوصيف بعد أن استحسن الأمير عبدالله رأيه في مصالحة ابراهيم من الحجاج المتمرد في اشبيلية، وفصم عُرى التحالف بينه وبين ابن حفصون، وإعفاء ابنه المرتهن في قبضة الأمير عبدالله من القتل، على أن يقتل ابن أخ حفصون -فاجتمع الأمير بوزرائه لمناقشة رأي- بدر الوصيف ومشاورتهم، فضوبوا رأيه، فسلم المرتهن إلى أبيه، فأعلن ابن حجاج طاعته للأمير عبدالله وكان أثر ذلك على قرطبة إيجابياً، فكافأ الأمير عبدالله بدر الوصيف وقلده خطة الوزارة والشورى[2]، ومما يذكر أن عبدالرحمن الثالث استوزر من بني الحجاج -وهم متمردون سابقون في اشبيلية- محمد بن حجاج ثم عزله بسبب السعاية ضده ومات الوزير سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م، وكان الهدف من تولية ابن حجاج الوزارة هو مهادنتهم واستمالتهم، ومحاولة ترضيتهم بالمناصب واشراكهم في القرارات[3].

وكان الأمير عبدالله يحضر مجالس وزرائه، يفاوضهم في الرأي والتدبير، خاصة أن حركات التمرد والعصيان في عهده كانت مستفحلة، كما كان لا يتردد في استشارة الوزراء وأخذ آرائهم الصائبة مثل أخذه بمشورة فتاه بدر، وكذلك إعادة وزيره البربري سليمان بن وانسوس إلى الوزارة، تجنباً لمزيد من الثورات، ومحاولة لكسب الأطراف ومدارتهم في ظل الظروف السياسية الصعبة التي تشهدها البلاد من فتن وثورات[4].

كما قلد الأمير عبدالله الوزارة إلى هاشم بن عبدالملك بن أمية بعد أن قتل المطرف بن عبدالله والده عبد الملك بن أمية وترفع الوزير هاشم عن

---

(١) المصدر نفسه، ص١٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٨.

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٦٤، ١٦٦؛ ابن الخطيب، أعمال،ق٢، ص٣٥ .

(٤) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٢٣، حاشية (٤) .

الوزراء، فسعوا به عند الأمير، واتهم بمبايعته هشام بن محمد ولفقت ضده الشهادات، فقبض عليه والده الأمير عبد الله وقتله سنة ٢٨٤هـ ويتضح أن المنصب تنتقل وراثته إلى الأبناء في حالة قتل الوزير وهو على طاعة وولاء للدولة[١].

ومنذ عهد عبد الرحمن الثالث نلمس مزيداً من التغييرات على منصب الوزارة، ويتمثل ذلك في كثرة التعيين والعزل للوزراء الذي كان يجريه الأمير عبد الرحمن الثالث في المناصب الوزارية سنوياً، إذ يتم عزل بعض الوزراء من الوزارة تماماً، أو يتم ترقية أحدهم إلى خطة أخرى غير الوزارة كالحجابة مثلاً، أو إبقاؤه في منصبه مع إضافة خطط أخرى إلى خطته الرئيسية وهي الوزارة، وتجري هذه التعديلات من قبل الأمير فقط.

ولانشغال الأمير في إخماد حركات التمرد والعصيان في أوائل حكمه وخاصة حركة ابن حفصون، كثيراً ما كان يعهد إلى بعض وزرائه بتولي قيادة الجيوش إلى الثغور الشمالية ومناطق العصيان الأخرى، وقد يعود كثرة تكليف الوزراء بمهام عسكرية إلى الولايات والكور إلى خشية الأمير من اتساع نفوذ هؤلاء الوزراء، إضافة إلى أن سلطة الأمير كانت مركزية. كما كان يسند نظارة القصر في حالة غيابه عن قرطبة وانشغاله بالغزو إلى أحد أفراد أسرته وإلى أحد وزرائه، كما حصل في سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م، إذ عهد بالإشراف على شؤون القصر والدولة والرد على المكاتبات التي ترد للقصر من الكور والأقاليم إلى ولي العهد الحكم المستنصر، وإلى وزيره موسى بن حدير، وكان الأمير عبد الرحمن متوجهاً لغزو كورة رية[٢]، وأوكلت المهمة ثانية لهذا الوزير سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م، والأمير في غزوة لمويش[٣]، وفي سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م و ٣١٣هـ/٩٢٥م، أوكلت مهمة نظارة القصر إلى ولي العهد الحكم المستنصر

---

(١) ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٣٧ .

(٢) ابن عذاري، البيان، صادر، جـ٢، ص٢٦٣ .

(٣) المصدر نفسه، صادر، جـ٢، ص٢٥٩-٢٦٠ .

والوزير أحمد بن محمد بن حدير[1]. وفي سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م و ٣١٦هـ/٩٢٨م أوكلت إلى الوزير أحمد بن محمد بن حدير وعبد العزيز شقيق ولي العهد[2].

كما تقلد الوزراء في عهد عبد الرحمن الثالث خطة المدينة وهي خطة منفصلة قد يتولاها الوزير إلى جانب خطة الوزارة فيصبح الوزير وصاحب المدينة، أو تنفصل عنه ويعين عليها موظف آخر يسمى صاحب المدينة فقط. وغالباً ما كانت تسند خطتها إلى أحد الوزراء، وبذلك يحمل الوزير خطتين هما الوزارة والمدينة، ومن الذين تولّوها موسى بن حدير وعيسى بن أحمد بن أبي عبده[3]. كما ظهر في عهد عبد الرحمن الثالث وزراء من البربر مثل محمد بن سليمان بن وانسوس سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م[4]. وتولاها من أسرة الزجالي وهم من البربر أيضاً محمد بن عبد الله الزجالي (ت ٣١٦هـ/٩٢٨م)[5].

وفي هذا المجال لا بد من استعراض أسماء الوزراء الذين تقلدوا خطة الوزارة في عهد عبد الرحمن الثالث ٣٠٠هـ/٩١٢م وحتى إعلان قيام الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م، وذلك في سنوات متباينة وهم:

الوزير أحمد بن محمد بن حدير الذي تولى الوزارة والقيادة. وتولاها أيضاً جهور بن عبد الملك ، وعبد الله بن مضر، ومحمد بن وليد بن غانم، وأحمد بن أبي عبده[6]. بينما تولى موسى بن حدير[7] الوزارة والمدينة، والوزير محمد بن عبد الله بن أبي أمية (ت ٣٠٩هـ/٩٢١م)[8]، والوزير أبو سعيد عبد الملك بن محمد الشذوني سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م[9] ، ويحيى بن إسحاق

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص١٨٩-٢٠١؛ ابن عذاري، البيان، صادر، جـ٢، ص٢٦٣ .
(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شماليتا. جـ٥، ص٢٠٩؛ ابن عذاري، البيان، صادر، جـ٢، ص٢٩١ .
(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٢١٠ .
(٤) ابن عذاري، البيان، صادر، جـ٢، ص٢٦٢ .
(٥) المصدر نفسه، صادر، جـ٢، ص٢٩٣ .
(٦) المصدر نفسه، صادر، جـ٢، ص٢٣٩-٢٤٠ .
(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص١٨١-١٨٢؛ ابن عذاري، البيان، صادر، جـ٢، ص٢٣٧ .
(٨) ابن عذاري، البيان، صادر، جـ٢، ص٢٩٣ .
(٩) المصدر نفسه، صادر، جـ٢، ص٢٧٢-٢٧٤ .

الطبيب[1]، والوزير محمد بن عبد الله الزجالي (ت ٣١٦هـ/٩٢٨م)، وسعيد بن المنذر[2]، ومحمد بن حجاج، وإسحاق بن محمد، وعبدالحميد بن بسيل[3]، ومحمد ابن سليمان بن وانسوس (ت٣٠٧هـ/٩١٩م)[4]، وعيسى بن أحمد بن أبي عبده، وتولى الأخير الوزارة والمدينة، وتولى فطيس بن أصبغ الوزارة[5].

ويتضح مما سبق أن الوزارة في الأندلس كان يتولاها عدة وزراء، اختلفت مهامهم فيما بينهم يترأسهم الحاجب الذي يمثل بعد الخليفة رأس السلطة في الدولة ثم يلي الحاجب في الترتيب الوزير. كما تبين لنا أن منصب الوزارة في الأندلس قام بعدة أدوار متداخلة عبر المسيرة الزمنية للحكم الأموي في الأندلس، منها:

الدور الاستشاري: الذي يقوم على تقديم الوزراء وهم بمثابة كبار المستشارين، الرأي والمشورة للأمير أو الخليفة في المواقف التي تتطلب منهم ذلك، وظهر هذا الاتجاه في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، إذ كان لوزرائه، الدور الأكبر في ترسيخ قواعد الحكم الأموي في الأندلس، ونستدل على ذلك من قول ابن سعيد: «وأما قاعدة الوزارة في الأندلس، فكانت للمعاونة والمشاورة». وقد وُجد في الأندلس إضافة إلى مجلس الوزراء الذي يترأسه الحاجب الأندلسي، مجلسٌ آخر يسمى مجلس الشورى، يشارك الوزراء وكبار رجال الدولة، وبعض الأمراء في جلساته، كما وُجد في الأندلس منصبٌ وزاريٌ حمل اسم الوزارة والشورى، وهما خطتان منفصلتان عن بعضهما البعض، إلا أنهما جُمعتا معاً للوزير بدر. ثم ورد للمنصب ذكر آخر في عصر الخلافة، إذ شارك جميع الوزراء في مجلس الشورى الذي يضم بعضويته قضاةً وعلماءَ، وترأسه الحاجب واضح

---

(١) المصدر نفسه، صادر، جـ٢، ص٢٧٢-٢٧٤ .

(٢) المصدر نفسه، صادر، جـ٢، ص٢٩٣ .

(٣) المصدر نفسه، صادر، جـ٢، ص١٩٨، ٢٥٦، ٢٨٤-٢٨٦ .

(٤) المصدر نفسه، صادر، جـ٢، ص٢٦٢ .

(٥) المصدر نفسه، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٢١٤-٢٤٢ .

العامري[1].

واضطلع الوزراء بأدوار أخرى عسكرية وإدارية مختلفة[2]. أما الوزارة بشكل عام في الأندلس، فرغم أنها خطة منفصلة، إلا أنها ترتبط ارتباطاً كبيراً ومباشراً بالحجابة، لا سيما وأن الحاجب كان في الأصل وزيراً، أما بقية الوزراء فهم موظفون إداريون يخضعون للإشراف والمتابعة من قبل هذا الرئيس الذي هو حلقة الوصل بين الأمير أو الخليفة وبين الوزراء، يستعين بهم لإدارة شؤون الدولة خاصة وأن الوزراء هم الذين يرأسون دوائر الدولة ويقدمون خدماتهم ومشورتهم للدولة وينفذون ما يكلفون به[3].

ويتضح مما أسلفنا، أن التخصصية في المناصب الوزارية لم تظهر في عصر الإمارة، وذلك لغموض صلاحيات الوزير وعدم تحديدها، بل كان الوزير ينفرد في خطة الوزارة أو تضاف إليه خططاً أخرى مهمة، إما أن تكون خطة واحدة أو يكلف بعدة خطط، لما تقتضيه مصلحة الدولة.

أما في عصر الخلافة فقد تنوعت الوزارات في اختصاصاتها، فأصبح هناك وزيرٌ لكل اختصاص، وإلى ذلك يشير ابن خلدون بقوله: «إن بني أمية قسموا خطة الوزارة أصنافاً، وأفردوا لكل صنف وزيراً، فجعلوا لحسبان المال وزيراً، وللترسيل وزيراً، وللمظالم وزيراً، وأحوال أهل الثغور وزيراً، واستمر مثل هذا التنظيم حتى سقوط الدولة الأموية سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م[4].

ويبدو أن التخصص في المناصب الوزارية ظهر أكثر في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، الذي أعاد النظر في الوظائف العليا بالدولة، حيث أجرى تغييرات إدارية منها استحداث مناصب جديدة، لتخفيف العبء الإداري على بعض الخطط الهامة في الدولة، وخاصة الكتابة.

---

(١) المصدر نفسه، ص١٢٩؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٠٥ .

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٤، ٢٧٧ .

(٣) شحادة الناطور وآخرون، الخلافة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري، ص٣٤. وسيشار إليه لاحقاً : الناطور، الخلافة الإسلامية .

(٤) ابن خلدون، تاريخ، جـ١، ص٢٣٩ .

وبدأ العمل حسب المناصب الوزارية، والمستحدثة سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م، واختص بها الوزراء دون غيرهم، مثل وزارة النظر في كتب جميع أهل الخدمة، والنظر في كتب أهل الثغور والسواحل والأطراف، والتوقيعات والعهود، وللوزراء حق تنفيذ رأيهم في ذلك، والنظر في مطالب الناس وحوائجهم وتنجيز التوقيعات لهم وهي بمثابة خطة المظالم[١].

ونتج عن هذه الترتيبات الجديدة، أن التزم بها جميع الوزراء والموظفين، فتحسّن العمل وأنجزت مطالب الرعية[٢].

ولا بد من التساؤل عن طبيعة وظيفة هؤلاء الوزراء حيث تباينت الآراء في تحديدها. وكانت الإجابة عند ابن خلدون الذي ألقى ضوءاً على طبيعة نظام الوزارة في الأندلس وقال إن الحاجب في الأندلس هو قرين الوزير في الدولة العباسية. أما الوزراء في الأندلس فهم أقران أصحاب الدواوين، إذ يطلق على كل صاحب ديوان لقب وزير، وبذلك تكون المناصب الوزارية في الأندلس تماثل الدواوين في الدولة العباسية[٣].

كما كان لكل وزير في الأندلس كاتب[٤]، وحمل الوزير ألقاباً أخرى إضافة إلى لقب الوزير مثل الوزير الكاتب. وقد ارتفعت مكانة الوزير في عهد الأسرة العامرية المتمثلة بالحاجب المنصور وأبنائه المظفر وشنجول.

وكانت الدواوين تخضع للرقابة السرية عن طريق جهاز المخابرات السري الذي بثه الحاجب المنصور، فكان أعضاء هذا الجهاز يرصدون تحركات جميع الموظفين في الدواوين والمحلات، ويرفعون أمرها إلى الحاجب المنصور[٥]. كما أن

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٢٠؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ١، ص٢٣٩ .

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٢٠ .

(٣) المقدمة، بيروت، ١٨٨٦، ص٢٠٨؛ انظر أيضاً : حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، جـ٣، ص٢٣٦ .

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٢٣ .

(٥) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٧٧ .

المنصور كان سياسياً ماهراً وعسكرياً محترفاً، وإدارياً بارعاً [١]، يشرف بنفسه على أداء بعض الخطط، ويحضر جلسات خطة المظالم في بعض الأوقات، وينظر في الرقاع التي ترفع للمظالم من قبل العامة ويضع رأيه وتوقيعه عليها[٢].

وضمّت وزارة الحاجب المنصور كبار الشخصيات من كتاب وعلماء ووزراء مثل أبي مروان عبد الملك بن شهيد، وأحمد بن محمد بن حدير، ومحمد ابن حفص بن جابر، وعيسى بن فطيس، وأحمد بن سعيد بن حزم، وكان الأخير من أقدر وزرائه، وأكثرهم حظوةً عند المنصور.

وفي عهد الحاجب المظفر، حافظ على وزراء أبيه، ونالوا مكانة عالية، كمافوض أمور دولته إلى وزيره عيسى بن سعيد بن القطاع[٣].

وبعد مقتل الحاجب واضح العامري، دبر الوزراء أمر الدولة في عهد الخليفة هشام المؤيد، واتخذ بعضهم ألقاباً جديدة[٤].

إلا أن دورهم كان ضعيفاً أثناء الفتنة البربرية، واقتصر نشاطهم على القيام بدور المبعوثين بين البربر والخليفة هشام المؤيد وأنصاره، وكانت نتائج مفاوضات الصلح التي قاموا بها فاشلة اصطدمت بتشدد الخليفة المستعين وأنصاره البربر[٥].

وفي عهد الخليفة سليمان المستعين للمرة الثانية استوزر من الزعماء البربر، وغلبوه على أمره[٦].

ووصف ابن عذاري وزارة العلويين الأدارسة خلال الفتنة البربرية بالقول: «فقديماً استعاذوا بالله من وزارة السفلة»، وكان من الوزراء العلويين محمد بن الفرضي الذي كان كاتباً ووزيراً ليحيى المعتلي (٤١٢-٤١٣هـ/

(١) العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٤٥١ .

(٢) الضبي، بغية الملتمس، ص١٨٢-١٨٣؛ ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص١٩٢؛ المقري، نفح، م١، ص٣٥٢ .

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص١٢٤؛ ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٢٧-٣٢ .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١٠٥.

(٥) المصدر نفسه، جـ٣، ص١٠٦، ١٠٧، ١٠٨ .

(٦) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١١٩ .

١٠٢١-١٠٢٢م) ولكنه كان أضر شيء على دولته[1].

وفي سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م، استحدث الخليفة المستظهر مناصب وزارية جديدة في الدولة قلدها لبعض قدماء وزراء بني أمية وجماعة من الشباب الطامحين مثل أبي عامر بن شهيد[2]، ومحمد بن حزم[3]، وحسان بن مالك وعبد الوهاب بن حزم[4].

أما المناصب الجديدة التي ظهرت في الحقبة الأخيرة من عصر الخلافة فهي وزارة خدمة المدينتين الزاهرة والزهراء، ووزارة كتابة التعقب والمحاسبة، ووزارة الحشم، ووزارة القطع والطعوام، وزارة الأسلحة والخزانة، ومواريث الخاصة والطراز، والوثائق وخزانة الطب والحكمة، والانزال، وأحكام السوق، وكانت جميع هذه الوزارات شكلية[5]. بسبب عدم استقرار الأوضاع السياسية في قرطبة واستمرار الصراع على السلطة وتعرض الخلفاء للعزل والقتل منذ سنة (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٨-١٠٣٠م)، وهذه الوزارات وصفت «بأنها عبث وزخرف من التسطير وضع على غير حاصل، ومراتب نصبت لغير طائل[6]»

وعندما تولى المستكفي الخلافة، قبض على وزراء المستظهر واعتقلهم[7] وغلب عليه وزيره أحمد بن خالد الحائك[8].

وفي عهد الخليفة المعتد بالله، الذي تولى الخلافة بناءً على قرار الوزراء سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م، ولّى وزارته لوزراء من ذوي النسب الرديء، ومن لم يكن لهم سابقة في الوزارة والدولة، مثل أحمد بن سعيد القزاز وخالد الحائك، وقد انتهت خلافة المعتد بالله بقتل وزيره القزاز، وسقوط الخلافة الأموية[9].

---

(١) البيان، جـ٣، ص١٣٢ .

(٢) ابن خاقان، مطمح، ص١٨٩؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٨٥ .

(٣) المراكشي، المعجب، ص٩٣؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٣٥ .

(٤) ابن خاقان، مطمح، ص٢١٣ .

(٥) إسماعيل العربي، دولة الأدارسة وملوك تلمسان وفاس وقرطبة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٣، ص٢٥٣. وسيشار إليه تالياً : العربي، دولة الأدارسة .

(٦) عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٦٨٦.

(٧) الحميدي، جذوة المقتبس، ق٢، ص٤٦١؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٧٠-٢٧١ .

(٨) المركشي، المعجب، ص١٠٧ .

(٩) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٥٢٤ .

الفصل الثاني

تعيين الوزراء وعزلهم

يلاحظ من الذين تولو منصب الوزارة في الأندلس أنهم تدرجوا في عدد من الخطط قبل اشغالهم لهذا المنصب، مثل: الشرطة بأنواعها، والمواريث والسكة والخزانة، والكتابة والمدينة، وولاية الأقاليم والكور[١]، فقد نقل يحيى بن اسحاق (ت٣٢٥هـ/٩٣٦م) من خطة الشرطة الصغرى إلى الوزارة، وكذلك عبيد الله ابن يحيى بن إدريس[٢]، وتولى محمد بن أحمد بن حدير المظالم والمواريث للناصر ثم الوزارة، وتولى جهور بن عبيد الله كورة شذونة واشبيلية سنة ٣٢٣هـ/٩٣٣م ثم ولاية المدينة والوزارة سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م ، وتولى السكة سعيد ابن إجساس، ثم تقلد الوزارة والسكة معاً في عهد الخليفة الناصر[٣]، وتقلد محمد ابن قاسم بن طملس (ت٣٦٢هـ/٩٧٢م) النظر في الحشم، ثم تولى الوزارة والحشم معاً في عهد الحكم المستنصر[٤]، وكذلك عبد الوهاب بن محمد تولى الولايات وكثير من الوظائف للخليفة الناصر ثم الوزارة[٥].

وفي عهد الاستبداد العامري بالدولة الأموية، كان تعيين الوزراء يتم من قبل الحاجب الذي كان هو رأس الدولة، فقد ولي الوزارة حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي، وكان السلمي سابقاً والياً على المغرب[٧]، وكذلك ولي الوزارة أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م) وكان ابن حزم كاتباً

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، دار النهضة، جـ٢، ص٦٨٨ .

(٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، جـ١، ص٢٩٤ .

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص٤٨٦؛ ابن عذاري، البيان، صادر، جـ٢، ص .

(٤) ابن عذاري، البيان، صادر، جـ٢، ص٣٦٤-٣٦٥ .

(٥) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٤٦-٢٤٧ .

(٧) الناصري، الاستقصا، جـ١، ص٢٠٨.

له[1]، ونقل إلى الوزارة القاضي أبو عبد الله محمد بن يحيى بن زكريا بن يحيى التميمي المعروف بابن برطال، وكان شيخاً كبير السن (٢٩٩-٣٩٥هـ/ ٩١١-١٠٠٤م) وهو بمثابة منصب تكريمي لابن البرطال[2].

ويبدو أن منصب الوزارة انحصر في بيوتات أندلسية معينة، مثل: بني أبي عبده[3]، وبني حُدير[4]، وبني حزم[5]،

---

(١) علي بن هبة الله أبي نصر بن ماكولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ٧ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، جـ٢، ص٤٥. وسيشار إليه تالياً: ابن ماكولا، الإكمال.

(٢) الذهبي، سير، جـ١٧، ص٥٧.

(٣) بنو أبي عبده: من أهل بيت وجلالة ووزارة، ساهموا في مساعدة عبد الرحمن الداخل ومبايعته للإمارة حتى كثر أنصاره، ومن أشهر وزراء هذه الأسرة الوزير عبد الغافر بن أبي عبده وزير الداخل، وحسان بن مالك بن أبي عبده وزير الخليفة المستظهر، ابن خاقان، مطمح، ص٢١١-٢١٢؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٤٠٤-٤٠٥؛ ابن بشكوال، الصلة، جـ١، ص٢٥٠؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٢٠ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت، جـ١، ص٩٣، جـ٢، ص٨٥٦.وسيشار إليه تالياً: الحموي، معجم الأدباء.

(٤) بنو حدير: هي أسرة قحطانية ذات سيادة في العصر الأموي بالأندلس تقاسمت المناصب فمنهم الحاجب والوزير وصاحب المظالم والمواريث، والشرطة، وكان حُدير جدهم الأعلى موظفاً كبيراً في عهد الأمير الحكم بن هشام، وقد رفض طلب الأمير ضرب أعناق الفقهاء في قرطبة، فازداد ابن حدير حظوة ومكانة في قرطبة، وارتفع شأن هذه الأسرة في الأندلس، ومن أشهر شخصيات هذه الأسرة أحمد بن حدير الحاجب (ت ٣٢٠ هـ/٩٣٢م) ومحمد بن حدير (ت ٣١٥هـ/٩٢٧م) وأخوه موسى بن أحمد بن حدير، وسعيد بن سعيد بن حدير من الخزان أيام الناصر، وصاحب المظالم عبد الرحمن بن موسى بن حدير، انظر عن هذه الأسرة: ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٠٥؛ ابن حزم، طوق الحمامة، ص٧٠؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٩؛ الكتاني، التشبيهات، جـ٢، ص٢٩٨-٢٩٩.

(٥) بنو حزم: تنتمي هذه الأسرة إلى الفرس، وذلك أن جدهم يزيد كان فارسياً ومولى ليزيد بن أبي سفيان، وابن حزم قرشيٌ بالولاء، وفارسيٌ بالأصل، وبسبب هذا الولاء كان بنو حزم يتعصبون لبني أمية يوالون من والاهم ويعادون من عاداهم، وهذه الأسرة بيت علم وأدب وحسب، ومن أشهر شخصياتها أحمد بن سعيد بن حزم وزير الحاجب المنصور والوزير عبد الوهاب بن المغيرة (ت ٤٣٨هـ/١٠٤٦م) ووزير المستظهر وأبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م). انظر: ابن خاقان، مطمح، ص٢٠٢؛ فاروق عبد المعطي، ابن حزم الظاهري علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأموي الأندلسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، ص٨-٩.وسيشار إليه تالياً: عبدالمعطي، ابن حزم.

وبني فطيس[1]، وبني شُهيد[2]، وبني جهور[3]. ومن القبائل العريقة من أهل «الشرف والأنافة وأصحاب الردافة»[4]، وقد استمر ذلك سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م.

---

(١) بنو فطيس: وينسبون إلى فطيس بن سليمان بن عبد الملك بن زيان بن عبد الملك الذي دخل الأندلس أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية، وقد ولاه هشام بن عبد الرحمن السوق، ثم اتخذه الحكم بن هشام كاتباً له، وتولى أبناء هذه الأسرة مناصب رفيعة في الدولة كمنصب الوزارة والحشم والكتابة وقيادة الجيوش. انظر: ابن خاقان، مطمح، ص١٦٢، حاشية (١١).

(٢) بنو شُهيد: جدهم وضاح مولى معاوية بن مروان بن الحكم، كان مع الضحاك في معركة مرج راهط، وشهيد هو الذي دخل الأندلس أيام عبد الرحمن الداخل، وقد تولى ابن شهيد وأبناؤه الخطط كالحجابة والوزارة والكتابة إلى نهاية الدولة الأموية سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م، وقد نبغ من هذه الأسرة شخصيات كثيرة كان لها باعٌ في الشعر والأدب، منهم الوزير عبد الملك بن عمر بن شهيد وعبد الملك بن أحمد بن شهيد (ت٣٩٣هـ/١٠٠٣م) وزير الخليفة هشام المؤيد وحاجبه المنصور، والوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد (ت٤٢٦هـ/١٠٣٤م) وزير المستظهر وهو عالم بالبلاغة وله عدة مؤلفات يرد ذكرها في أثر الوزراء في الحركة العلمية من هذه الدراسة، للمزيد عن هذه الأسرة انظر: ابن شهيد، التوابع والزوابع، تحقيق بطرس البستاني، بيروت، لبنان، ١٩٦٧. وسيشار إليه تالياً: ابن شهيد، التوابع والزوابع؛ ديوان ابن شهيد، ص١٨٩-٢٠٢؛ الإشبيلي، وصف الربيع، ص١٨؛ ابن خاقان، مطمح، ص١٦٦، ١٦٧، ١٨٩؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣١٧؛ ابن الآبار، الحلة، جـ١، ص٢٢٨.

(٣) بنو جهور: ينسبون إلى جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغافر بن حسان بن مالك (أبو عبده) بن عبد الله بن جابر، كان الأخير مملوكاً لمروان، وقد أبلى يوم وقعة مرج راهط بلاءً حسناً، أما حسان، فقد اتخذه عبد الرحمن الداخل قائداً، ثم ولاه على إشبيلية إلى أن توفي، فولي الوزارة عبد الغافر للأمير عبد الرحمن، وتولى عبيد الله ابن محمد بن الغمر (ت٢٩٦هـ/٩٠٨م) الكور والكتابة الخاصة والوزارة للأمير عبد الله. أما ابنه جهور فقد تولى الوزارة للناصر، وكذلك ابنه أبو الوليد محمد قُلِّد الخزانة في عهد الناصر سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م، واستمر الجهاورة يتعاقبون على تولّي مختلف الخطط في قرطبة من الحجابة والوزارة والقيادة، إلى أن وقعت الفتنة، فبرز اسم جهور بن محمد، وتولى الحكم في قرطبة بعد سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢هـ ويذكر أن بني جهور وبني عبده من أصل واحد وجدهم حسان بن مالك، وقيل في بني جهور «بنو جهور أهل وزارة، اشتهروا كاشتهار ابن هبيرة في فزارة». انظر: ابن خاقان، مطمح، ص١٨١؛ ابن الآبار، الحلة، جـ١، ص١٤٦، ٢٤٥-٢٤٧؛ ابن الأزرق، بدائع، جـ١، ص١٧٦.

(٤) أصحاب الردافة: هم بمنزلة الوزراء في الإسلام، والردف: أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه، ابن خاقان، مطمح، ص١٦٢، حاشية (١٢).

ويبدو أنّ الدولة حرصت على أن يكون من يتقلد الوزارة مؤهلاً لحمل أعباء هذا المنصب، مثل: الوزير أحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد[1]، الذي قال عنه ابن خاقان: «حامل الوزارتين على سموها، استقل بالوزارة على ثقلها، وتصرف فيها كيف شاء... فظهر على أولئك الوزراء واشتهر مع كثرة النظراء»[2]، وأثبت عبد الوهاب بن محمد وزير عبد الرحمن الناصر كفاءة إدارية في الولايات والأمانات والوزارة[3]، وعرف عن الوزير أحمد بن سعيد بن حزم وزير الخليفة هشام المؤيد، وحاجبه المنصور الكفاءة والقدرة على التصرف حتى جعل الحاجب المنصور يثق به ويستخلفه أوقات مغيب الأخير عن قرطبة[4]، واضطلع عيسى بن سعيد القطاع بدور هام في الدولة فتمسك به الحاجب المظفر لمعرفته ورجاحة عقله[5]، فكان القطاع «قيم دولة ابن أبي عامر وحامل لوائها والمستقل بأعمالها[6]، ومالك زمامها»، وكان القطاع ماهراً بالحساب[7]، حتى فوض إليه الحاجب المظفر أمره[8]، وامتاز الوزير جهور بن محمد بحسن السياسة والتدبير حتى أثبت كفاءة عالية في إدارة الدولة بعد سقوط الخلافة الأموية[9].

وكانت بيوتات الأندلس العريقة على ولاء تام للدولة الأموية، فقد قدم الوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد هدية كبيرة للخليفة الناصر زادت مكانة

---

(١) الكتاني، التشبيهات، ص٢٩٩ .
(٢) المقري، نفح، م١، ص٣٨٠ .
(٣) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٤١-٢٤٢ .
(٤) ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص١٩١ .
(٥) ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٢٩-٣٠ .
(٦) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص١٠٧ .
(٧) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٤٩ .
(٨) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٥٠ .
(٩) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٥٦ .

الوزير عند الخليفة، فتولى المناصب العليا ولقبه بذي الوزارتين وكان من أثر الناس وأقربهم إليه[1]، وقيل في الوزير عبد الرحمن بن محمد بن فطيس أنه كان «مشهوراً .. بإعزاز الحكومة»[2]. وظل الوزير أبو مروان عبد الملك بن أحمد ابن شهيد أثيراً عند الحاجب المنصور[3] وقريباً منه، بينما كان الوزير قاضي القضاة ابن ذكوان من المقربين للحاجب المظفر[4]، وعد الوزير أبو عبد الله الحسن ابن جني بن عبد الملك التجيبي (ت٤٠١هـ) من أكثر الوزراء ولاء للخليفة المهدي، وقد تولى له المظالم والوزارة[5]، وفي عهد الخليفة المستعين بقي الوزير ابن صاعد والي جيان على طاعة وولاء له، وكان الخليفة المستعين يبره في ضيعة له قبل استخلافه ولا يكلفه عليها عشور ولا حشد[6].

وعرف عن وزراء المستظهر ولاءهم له ومنهم الوزير أحمد بن برد، وأبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، وعبد الوهاب بن حزم، وأبو عامر بن شهيد[7]، وكان الأخير من المنادمين للخليفة هشام المعتد بالله، وعندما شغر منصب الحجابة قبل سقوط الخلافة كانوا بعض الوزراء للخليفة، بمكانة سمعه وبصره ولسانه[8]، مثل الوزير أحمد بن خالد الحائك وزير الخليفة المستكفي، والقزاز وزير الخليفة هشام المؤيد .

---

(١) الكتاني، التشبيهات، ص٢٩٩ .

(٢) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٦٦.

(٣) الضبي، بغية الملتمس، ص٣٧٤؛ ابن بشكوال، الصلة، جـ١، ص٢٥٥ .

(٤) النباهي، المرقبة العليا، ص٨٥ .

(٥) عياض، ترتيب المدارك، حـ٢، ص٦٨١ .

(٦) الحشد : ضريبة نقدية تفرض على أهل القرى والمدن لمعونة الخليفة في شؤون الحرب، ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص١٠ حاشية (٢) .

(٧) ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٥٠-٥١؛ المقري، نفح، م١، ص٤٨٩ .

(٨) ابن الأزرق، بدائع، جـ١، ص١٨٨ .

وهناك الكثير من الوزراء الذين عرف عنهم حسن الرأي والمشورة[1]. فقد ولى الخليفة عبد الرحمن الناصر اسحاق بن محمد القرشي الوزارة لحسن رأيه[2]، وكان الوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد وزير الخليفة عبد الرحمن الناصر سديد الرأي «ينتج الآراء ويلقحها ... وينفذ تلك الانحاء وينقحها»[3]، وكان الحاجب شنجول لا ينفذ أمراً إلا بمشورة ورأي وزيره ابن ذكوان[4]، وحظي الوزير أحمد بن سعيد بن حزم بهذه الصفة وكان مقرباً للحاجب المنصور لحسن رأيه ومشورته[5]، ويكاد يقتصر دور الوزراء بعد سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م على تقديم المشورة للخلفاء وأهل الحل والعقد .

ومن خلال دراسة هذه الحقبة يتبين أن الوزراء أنيطت لهم واجبات عسكرية، وقد أثبت هؤلاء الوزراء كفاءة ومهارة وحسن قيادة للغزوات والصوائف والشواتي التي قاموا بها ومنهم الوزير غالب الناصري الذي قام سنة (٣٥٧هـ) بالتعاون مع الوزير سعيد بن الحكم في بناء حزام حول حصن قلهرة وزاد في ارتفاع البرج الثامن فيه[6]، وشارك الوزير غالب الناصري في حروب العدوة المغربية سنة ٣٦١هـ/٩٧١م و٣٦٢هـ/٩٧٢م و٣٦٣هـ/٩٧٣م، حتى لقب بشيخ الحروب وفارس الخطوب[7]، وكذلك الوزير يحيى التجيبي الذي وجهه الحكم المستنصر إلى العدوة المغربية حاملاً الكسيّ والهبات والأموال

---

(١) الماوردي، نصيحة الملوك، تحقيق فؤاد عبد المنعم، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د.ت، ص٤٩. وسيشار إليه تالياً : الماوردي، نصيحة الملوك .

(٢) النباهي، المرقبة العليا، ص٨٥ .

(٣) المقري، نفح، م١، ص٣٨٠ .

(٤) وداد القاضي، الفكر السياسي لدى أبي مروان ابن حيان، مجلة الأبحاث، الجامعة الأميركية، بيروت، لبنان، ع٢٩، ١٩٨١، ص٦٠.

(٥) ابن الأبار، أعتاب الكتاب، ص١٩١.

(٦) ابن عذاري، البيان، صادر، ج٢، ص٢٥٩ .

(٧) ابن دمية، المغرب، ص١٥٨-١٥٩ .

والسيوف ليتم توزيعها على أكابر البربر هناك[1]، وأرسل المستنصر وزيره محمد بن طملس على رأس حملة بحرية إلى سبتة سنة ٣٦١هـ/٩٧١م[2]، واشتهر الوزير جعفر بن علي بن حمدون بالفروسية، حتى أن الحاجب المنصور استدعاه للأندلس لينافس به الوزير والقائد غالب الناصري[3]، ومن القادة الوزراء الوزير عبد الحميد بن بسيل والوزير عمر بن عسقلاجة، وحسن بن عبد الودود[4]، وكان الحاجب المنصور قد عقد للأخير على المغرب سنة ٣٧٦هـ/٩٨٦م، وولى المنصور الوزير قند مدينة سالم، وحقق قند نصراً عسكرياً على غرسية بن فرذلند (Garci Fernandez) صاحب قشتالة الذي جرح في المعركة وأسره الوزير قند ثم مات غرسية في مدينة سالم سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م[5].

ومن الملاحظ على وزراء الخليفة هشام المؤيد وحاجبه المنصور أن الوزراء كانوا يرافقون الحاجب دائماً في غزواته[6]، بينما لم تتوافر القيادة العسكرية في الوزراء الذين تقلدوا المناصب الوزارية منذ قيام الفتنة البربرية وحتى سقوط الخلافة، بل شكل وزراء هذه الحقبة عبئاً على الدولة مثل الوزير أحمد بن خالد الحائك[7]، والحكم بن سعيد القزاز وزيري كل من الخليفة المستكفي والمعتد بالله[8].

ومن خلال دراسة تراجم وزراء هذه الحقبة ، يتبين أنهم كانوا من العلماء والأدباء والشعراء والكتاب، مما يدل على أن العلم والمعرفة والبلاغة والكتابة يحسن توافرها في الوزراء، ويقول الأزرق عن ابن حزم وكان الخليفة «يتخذ من وجوه الكتاب والعلماء... قوماً ذوي أراء سديدة وكتمان للسر فيجعلهم وزراء»

---

(١) المصدر نفسه، صادر، جـ٢، ص٣٦٥-٣٦٧ .

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٢، ٢٥؛ ابن عذاري، البيان، صادر، جـ٢، ص٣٦٥-٣٦٦ .

(٣) ابن الابار، الحلة، جـ١، ص٢١٦ .

(٤) ابن عذاري، البيان، صادر، جـ٢، ص٢٤١-٢٤٦؛ الناصري، الاستقصاء، جـ١، ص٢٠٨ .

(٥) الناصري، المرجع السابق، جـ١، ص٢٠٨ .

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٤٥ .

(٧) المراكشي، المعجب، ص١٠٧.

(٨) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١٤٩ .

الذين يحضرون مجلسه، يلازمونه في التدبير بجميع ما قلده الله تعالى من أمور عباده»[1]، ومن جملة هؤلاء الوزراء عبد الملك بن جهور الوزير الكاتب للخليفة الناصر[2]، والوزير الكاتب عيسى بن فطيس[3]، والوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن شهيد[4]، والوزير أحمد بن سعيد بن حزم[5]، والوزير عيسى بن سعيد القطاع[6]، وعبد الملك بن إدريس الجزيري[7]، والوزير الكاتب أحمد بن برد الأكبر[8]، وكان للوزير أحمد بن برد الأصغر السبق في ادخال أسلوب السجع في الرسائل[9]، وكان أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد[10]، وحسان بن مالك وزراء وكتاباً[11]، والوزير الكاتب يوسف بن أحمد الباجي[12].

وكان الوزراء أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن شهيد[13]، وأحمد بن سعيد ابن حزم[14]، وأبو عامر بن شهيد، وعبد الملك بن إدريس الجزيري[15]، وأحمد بن محمد بن برد[16]، وحسان بن مالك[17]، وعبد الملك بن جهور ممن عرفوا بالبلاغة[18].

---

(١) البدائع، جـ١، ص٣٥١ .

(٢) الكتاني، التشبيهات، ص٢٩٩؛ ابن خاقان، مطمح، ص١٦٨.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شماليتا، ص٤٧١ .

(٤) ابن بشكوال، الصلة، جـ١، ص٣٥٥

(٥) الضبي، بغية الملتمس، ص١٨٢ .

(٦) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٦٧؛ ابن ماكولا، الاكمال، جـ٦، ص٢١٣ .

(٧) الضبي، بغية الملتمس، ص٣٧٤؛ ارسلان، الحلل السندسية، جـ٢، ص١٥٧ .

(٨) الضبي، بغية الملتمس، ص١٦٤-١٦٥ .

(٩) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٧١ حاشية (٢)؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢١٤ .

(١٠) الضبي، بغية الملتمس، ص١٩١-١٩٢؛ ابن الأبار، أعتاب الكتاب، ص٢٠٣، ٢٠٥ حاشية (١) .

(١١) ابن خاقان، مطمح، ص٢١٢؛ ابن بشكوال، الصلة، جـ١، ص٢٥٠ .

(١٢) ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص١١ .

(١٣) الذهبي، سير، جـ١٧، ص٥٠٢ .

(١٤) الضبي، بغية الملتمس، ص١٨٢ .

(١٥) ابن خاقان، مطمح، ص١٩١؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٧٤ .

(١٦) ابن خاقان، مطمح، ص٢٠٧؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٧٢ .

(١٧) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جـ٢، ص٨٠٦ .

(١٨) ابن خاقان، مطمح، ص١٦٨ .

ولقد وصفت بعض المصادر عدداً من الوزراء بحسن التعامل مع الناس، وبمعرفة مقاديرهم، واتصف الكثير من الوزراء بالصدق، والعدل، والنزاهة، والهمة العالية، والتواضع، فقد ذكر أن الوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد ذا الوزراتين حسن السيرة، فكانت الدولة «مشتملة بغنائه، متجملة بسنائه وكرمه»[1]. وعرف وزير المستنصر عبد الله بن عبد الرحمن الزجالي أنه كان كثير الخير والمعروف، خيراً، فاضلاً[2]، ووصف كل من أحمد بن سعيد بن حزم[3]، وعبد الملك بن إدريس الجزيري بحسن السيرة فقيل عن الثاني أنه «أشعر بدولته الأفراح»[4]، وكذلك الوزير أبو عامر بن شهيد[5]، وقيل في الوزير عبيد الله بن يحيى بن إدريس أنه كان متواضعاً شريفاً بنفسه وسلفه وكان يؤذن في مسجده وهو وزير[6]، ومثله الوزير جهور بن محمد الذي كان يؤم جيرانه في مسجده وهو وزير[7]، واتصف كل من عبد الوهاب بن محمد عبد الوهاب أبو وهب[8]، وأبو المطرف عبد الرحمن بن فطيس[9]، وعبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأموي[10]، وأبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم[11]، وجهور بن محمد بالهمة العالية[12].

---

(١) المقري، نفح، م١، ص٢٨٠ .
(٢) عياض، ترتيب المدارك، جـ٤، ص٥٥٣ .
(٣) الضبي، بغية الملتمس، ص١٨٢-١٨٣.
(٤) ابن خاقان، مطمح، ص١٧٧ .
(٥) ابن دحية، المطرب، ص١٥٨-١٥٩ .
(٦) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، جـ١، ص٢٩٤ .
(٧) ابن حزم، نقط العروس، جـ٢، ص١٠٧ .
(٨) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٠٧ .
(٩) عياض، ترتيب المدارك، جـ٢، ص٦٧٢ .
(١٠) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢١٧، ٢٢٠ .
(١١) ابن حزم، المحلى، جـ١، ص٩ .
(١٢) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٥٦ .

وأدى قيام الفتنة البربرية سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م إلى تراجع مكانة المناصب الوزارية، فقتل في الفتنة جلة من الوزراء، ونصب مكانهم وزراء ممن «تقتحمهم العين هجنة وقماءة»[1]، وكان هؤلاء الوزراء الجدد ممن تنقصهم الخبرة والدراية والجهل بمنازل الناس، حتى وصفهم ابن عذاري «أنهم من أراذل الناس، وأصحاب المهن الهابطة»، بعد أن كانت المناصب الوزارية متداولة في أسر معينة قبل سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م [2].

ويبدو أن تولي مثل هؤلاء المناصب الوزارية أدى إلى «اخفاق جهاز الدولة الإداري اخفاقاً كبيراً إلا حيث يتوفر فيها كبار الموظفين من الأصل الرفيع»[3]. وأشار ابن عذاري إلى هذا المستوى الهابط بقوله «دولة كفاها ذماً أن أنشاها شنجة ووزرها دبُّ»[4]، وقال أخراً مستخفاً «فقل في دولة يديرها حائك»، فهذا الوزير رجل لا خصلة فيه متنقل من الحياكة إلى الوزارة، وتعرض الوزير القزاز إلى الهجاء من أحد الشعراء قال فيه :

هبك وزيراً كما تدعي وزيراً	وزير من أنت يا وزير
والله ما للأمير معنى	فكيف من وزر الأمير [5]

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٧٤ .

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص١١٨ .

(٣) وداد القاضي، الفكر السياسي، ص٥٨ .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١١٨ .

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص١٤٧؛ انظر : فوزي عيسى، الهجاء في الأدب الأندلسي، دار المعارف، الاسكندرية، د.ت، ص١٢٢. وسيشار إليه تالياً: عيسى، الهجاء .

وقد ساهمت سياسة الخليفة المستظهر في تولية وزرائه إلى جماعة من الوزراء المنهمكين في البطالة على حساب «مشيخة الوزراء» على حد تعبير ابن بسام[1].

ووصف وزراء الخليفة المعتد بأنهم صبية أغمار منشغلون بمجالس الشرب والرقص والطرب والفكاهة، قال عنهم ابن عذاري: «إنهم صبية... ممن ديدنه أحث الكاس والتفكة بأعراض الناس»[2]. وكان بعض وزراءه ممن تنقصهم سلامة الحواس، ومنهم الوزير أبو عامر بن شهيد الذي كان أصماً[3]، والحكم بن سعيد القزاز الذي كان أطرشاً [4].

- تعيين الوزراء :

يتم تعيين الوزير من قبل الخليفة، وفق الشروط الآنفة الذكر، واستمر هذا التقليد المعروف حتى سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م، وهي بداية استبداد الأسرة العامرية بالخليفة .

ولم تشر المصادر إلى كيفية التعيين لمنصب الوزارة، ولكل يبدو من بعض النصوص المقتضبة أن الخليفة يرسل شخصاً رفيع المستوى كصاحب

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٥٠-٥١ .

(٢) البيان، جـ٣، ص١٤٩ .

(٣) المصدر نفسه، ق١، ص١٢٢؛ انظر : احسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٦٨، ص٢٩٠. وسيشار إليه تالياً: احسان عباس، عصر سيادة قرطبة .

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١٤٦؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٣٧.

الرسائل مثلاً إلى الوزير المرشح للوزارة ، فيستدعيه للخليفة، فيعنيه، ويجلسه في بيت الوزارة[1]، فقد أرسل الأمير عبد الله وزيره وليد بن غانم إلى سليمان بن وانسوس وأعاده إلى منصب الوزارة[2]، وأرسل الناصر إلى عيسى ابن فطيس سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م وأعاده إلى الوزارة[3].

ويبدو أن لبعض الشخصيات المقربة من الخليفة دوراً لابأس به في تقليد بعض المقربين لهم منصب الوزارة، فمثلاً كان للوزير هاشم بن عبد العزيز دور في تولي عبد الواحد الاسكندراني الوزارة والمدينة للخليفة، وعدت هذه الصفة شرفاً له[4].

وكان تأثير السيدة صبح أم المؤيد ومحمد بن أبي عامر واضحاً في التأثير على الخليفة هشام المؤيد وتقليد غالب الناصري خطة ذي الوزارتين[5].

أما الفتيان الصقالبة ، فتبين دورهم من خلال تأثير طرفة الفتى على مولاه الحاجب عبد الملك المظفر في تقليد عبد الملك الجزيري الوزارة[6].

وفور إصدار مرسوم التعيين الموشح بتوقيع الخليفة، ثم توقيع الوزراء عليه[7]، يسجل اسم الوزير في سجل الارتزاق[8]، ويدخل بيت الوزراء -المقر-، ويحدد له مقعد «دسته» للجلوس عليه في دار الوزراء حسب ترتيبه[9].

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص٤٨٧ .
(٢) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٢٣-١٢٤ .
(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص٤٨٧ .
(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١١٦ .
(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٥ .
(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٥٠ .
(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢١٩.
(٨) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٧ .
(٩) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢١٩؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٢٤ .

ومما يلفت النظر في عصر الخلافة وخاصة عبد الناصر الناصر، كثرة تشكيل الوزارات الجديدة، وإجراء التغييرات المستمرة في هذه الوزارت، كما ينقل بعض الأشخاص من أصحاب الخطط الادارية الأخرى إلى خطة الوزارة، وأحياناً يكون النقل للوزارة جماعياً، أو فرادى، حسب حاجة الدولة[1]، كما لوحظ على الوزارة في عهد الناصر كثرة العزل للوزراء من الخطة تماماً[2]، وإعادة تعيينهم في الوزارة للمرة الثانية مع تقلد خطة الوزارة ووظيفة أخرى غير التي كان قد تقلدها سابقاً، فقد أعاد للوزارة سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م كل من الوزير جهور بن عبيدالله، وعبدالرحمن بن عبيدالله الزجالي إلى الوزارة بعد عزلهما بعدة أيام[3]، وتقلد الوزير عيسى بن فطيس الوزارة والكتابة للناصر، ثم عزل عنهما معاً سنة٣٢٩هـ/٩٤٠م[4]، وفي عهد حجاب الأسرة العامرية أصبح الحاجب هو الذي يقلد منصب الوزارة لمن يرتئيهم من الشخصيات .

- عزل الوزراء :

تولى الوزارة في عصر الخلافة وخاصة الحقبة الممتدة من (٣١٦-٣٩٩هـ/ ٩٢٨-١٠٠٩م) من يستحقها من الوزراء ، فوضع الشخص المناسب في مكانه المناسب .

ومن خلال ما أوردته بعض المصادر عن الوزارة والوزراء ، يتضح أن هناك حالات يتم عزل أحد الوزراء أو بعض منهم من أجل ترقية أحدهم إلى خطة الحجابة مثلاً أو يعزل من منصبه في حالة غضب الخليفة عليه، فقد عزل الناصر

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٥٩، ١٦٠، ١٨٣.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص٢٤٢، ٢٥٤، ٣١٤، ٣٢٠، ٤٧١.

(٣) المصدر نفسه، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص٤٧١ .

(٤) المصدر نفسه، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص٤٧١؛ ابن الآبار، إعتاب الكتاب، ص١٩٠.

الوزير أحمد بن اسحاق من منصبه سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م[١]، أو يعزل في حالة عدم كفاءته ، وتراجع أدائه الوظيفي ففي سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م عزل الخليفة الناصر وزيره صاحب السكة سعيد بن اجساس وسجنه بسبب غش الوزير للسكة واختلال النقد في عهده[٢].

ولم يقتصر العزل على الوزارة والسكة، بل عزل البعض الآخر من جميع الخطط التي كان يتولاها، فقد حمل الخليفة الناصر مسؤولية العبث بالسكة وزيره ذي الوزارتين أحمد بن شهيد المسؤول والمشرف على الأمور المالية في الدولة وعقاباً له قام بعزله من الوزارة، ومن جميع الخطط الأخرى التي كان مسؤولاً عنها، وهي الشرطة العليا والمظالم[٣].

وتتضح قبضة الخليفة الناصر على زمام الأمور السياسية والإدارية والعسكرية في الأندلس، ومتابعته للأمور صغيرها وكبيرها، فقد قام الناصر سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م بعزل جميع أعضاء وزارته بسبب أنكره عليهم باستثناء اثنين فقط، هما أحمد بن شهيد، وأحمد بن إلياس، أما الوزراء المعزولين فهم الوزير عبد الحميد بن بسيل، والوزير عبد الملك بن جهور، وجهور بن عبيد الله، وأحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف، وخالد بن أمية بن شهيد، وعبد الرحمن ابن عبد الله الزجالي، ويحيى بن اسحاق، وفطيس بن أصبغ[٤].

وعندما تقلد الحكم المستنصر الخلافة سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م، قام بعزل وزراء أبيه، وصادر جزء من أملاكهم بما يقدر بعشرين ألف ألف دينار[٥].

وفعل مثل ذلك الحاجب المنصور، إذ استبدل وزراء وحاشية الخليفة الحكم المستنصر والحاجب المصحفي بوزراء وحاشية اختارها بنفسه، إذ قدم أنصاره

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص٣٩٠ .

(٢) المصدر نفسه، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٤٨٦ .

(٣) المصدر نفسه، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٤٨٦ .

(٤) المصدر نفسه، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٤٧٠ .

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٢ .

لمراتب الوزارة[1].

وفي حالة كراهية الوزير لمنصبه ورغبته في العزل، يتم عزله مثلما عزل المنصور زيري بن عطية من منصب الوزارة[2]، كما اعتزل أبو محمد علي ابن أحمد بن سعيد من الوزارة والعمل السياسي رغبة بالتفرغ للعلم والتأليف[3].

وتعرض كثير من الوزراء للقتل لأسباب ، أما سياسية كمحاولة الخروج على الدولة، أو بسبب كثرة السعايات ضدهم، فقد قتل الخليفةالناصر الوزير موسى بن زياد الذي كان يجاهر بكراهيته للناصر ، فسجنه الأخير يوم بيعته للخلافة، وقتله سنة ٣٠٧هـ/٩١٩م[4]، كما قتل الوزير أحمد بن اسحق[5].

وفي عهد الحاجب المنصور تخلص من عدة شخصيات خشي بأسهم ومنافستهم له، ومن هؤلاء الوزراء الذين كانوا من ضحاياه الوزير جعفر بن علي بن حمدون الذي قتله سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م، والوزير معن بن عبد العزيز التجيبي أبو الأحوص، فارس العرب[6]، كما قبض على الوزير عبد الله بن عبد العزيز صاحب طليطلة، وفرض عليه عدم الخروج من منزله، لاشتراكه في مؤامرة مع عبد الله بن المنصور سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م[7].

أما حقبة الفتنة البربرية فقد قتل فيها "خلق من الوزراء"[8]، ومنهم الوزير صاحب المدينة في عهد الحاجب شنجول عبد الله بن عمر المعروف بابن عسقلاجة[9]، وقتل من وزراء المهدي خالد بن طريف، ومحمد بن ذرى، وحز أتباع

---

(١) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٦١ .

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٠٥؛ انظر : عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٧٥٥ .

(٣) ابن حزم، قلائد الذهب، جـ١، ص٧-٨ (مقدمة المحقق) .

(٤) ابن عذاري، البيان، صادر، جـ٢، ص٢٦٢ .

(٥) الحميري، صفة، ص٩٨ .

(٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٩-٢٨٠؛ انظر: أبو ضيف، القبائل العربية، ص٣٧٢.

(٧) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٨٣ .

(٨) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٢، ص٤١٧ .

(٩) المصدر نفسه، جـ٢٢، ص٤١٧ .

سليمان المستعين رأسيهما[1]، وقُتل الوزير أحمد بن يوسف الدب وزير المستعين من قبل الأدارسة العلويين[2]، وكذلك قُتل وزير المستكفي أحمد بن خالد الحائك من قبل الجند[3]، وتعرضت أملاك بعض الوزراء إلى المصادرة والحرق، فقد أحرقت ممتلكات، وفنادق ، ومتنزهات الوزير ابن أبي الأصبغ[4]، ودمرت دور الوزراء في الفتنة البربرية[5].

ومن الوزراء الذين نكبوا في عصر الخلافة، عبد الملك بن إدريس الجزيري، الذي تعرض للسجن في مدينة طرطوشة[6] في عهد الحاجب المنصور، حين كان الجزيري كاتباً له، إلا أن الحاجب أطلق سراحه بعد قصيدة استعطاف بعث بها الجزيري إليه، وأعاد إليه أمواله المصادرة، وحظى عند الحاجب المظفر وقلده الوزارة، إلا أن الجزيري عاد ثانية لتدبير مؤامرة مع طرفة الفتى ضد الوزير عيسى بن سعيد القطاع، فقبض الحاجب المظفر على الجزيري بتهمة خيانة وغش الدولة، فسجن ثم قتل خنقاً ودقت رقبته، بعد أن أدخل عليه من قام بذلك، وأخرج ميتاً بعد أيام من سجنه سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٤م[7]، أما طرفة فقد نفاه الحاجب المظفر إلى الجزائر الشرقية[8].

ثم دارت الدائرة على الوزير الأخص للحاجب المظفر الذي فوض إليه النظر في شؤون الدولة، وانصرف الحاجب المظفر إلى اللهو والدعة، وقد عرف وزيره عيسى بن سعيد بالكفاءة والدقة في العمل وخاصة الشؤون المالية، وأخذ هذا الوزير في ترسيخ نفوذه عن طريق الارتباط بمصاهرات مع البيوتات

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٧٩ .
(٢) المصدر نفسه، جـ٣، ص١١٧-١١٨ .
(٣) المراكشي، المعجب، ص١٠٧ .
(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٨٨ .
(٥) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤١٢.
(٦) تقع طرطوشة قرب بلنسية، ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص١٩٤-١٩٥؛ الحميري؛ صفة، ص١٢٥.
(٧) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٥١-٥٢؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص١٤ (المقدمة).
(٨) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٥٢ .

الأندلسية، كبيت بني حدير، كما صاهر الحاجب المظفر، ثم ساءت معاملته للناس وأهمل النظر في الرقاع المتضمنة شكاويهم، وأغلظ حجابه مع الناس، فأصبح أمر مشاهدته والدخول عليه صعباً، هذا في الوقت الذي نال غضب بعض نساء الأسرة العامرية، وخاصة السيدة الذلفاء أم الحاجب المظفر بسبب تشجيع الوزير للحاجب الزواج من فتاه من العامة، إضافة إلى خيانة الوزير للحاجب بتدبير مؤامرة تطيح بالخليفة هشام المؤيد والحاجب المظفر، عن طريق قيامه بمبايعة الأموي هشام بن عبد الجبار للخلافة بدلاً من الخليفة هشام المؤيد[1].

وصلت أنباء هذه المؤامرة سراً إلى قصر الحاجب المظفر، وبعد أن تأكد من صحتها أقام الحاجب مجلساً للشراب في الليلة نفسها المراد تنفيذ المؤامرة فيها، دعا إليه الوزير عيسى بن سعيد الذي شرب حتى ثمل، ثم كشف المظفر له عن المؤامرة فأنكرها الوزير، ثم قام الحاجب بضربه بالسيف، وانهال عليه فتيانه الصقالبة فقتلوه في ذات المجلس أمام جميع الحضور، وألقى الحاجب خطاباً في المجلس تحدث فيه عن الوزير وخيانته، وهدد كل من يحاول مس أمن الدولة[2]، وأغرقت جثة الوزير ومن معه من المتآمرين في النهر، وتجنب الحاجب شرب الخمر من هذا اليوم، وتشدد في سياسته، وأشرف على أمور الدولة بنفسه[3]. وأمر ابن الوزير عيسى بطلاق أخت المظفر فطلقها، وسجن أولاد عيسى الأكابر في سجن الزاهرة، وصادر أموالهم[4].

وكان الحكم بن سعيد القزاز الوزير الأول للخليفة هشام المعتد بالله (٤١٨-٤٢٢هـ/١٠٢٧-١٠٣٠م)[5]، وهو بمثابة الحاجب للخليفة إلا إنه لم يتسم بالحجابة، ونال حظوة ومكانه عند المعتد بالله، إذا آثره الخليفة على غيره من

---

(١) المصدر نفسه، ق١، م١، ص١٢٤-١٢٦؛ ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٣٠-٣٢ .

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص١٢٧؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢٠٤-٢٠٥ ؛ انظر: نص كلمة الحاجب المظفر في ملحق الدراسة رقم (٦).

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص١٢٧-١٢٨؛ ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٣٢-٣٤.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص١٢٨.

(٥) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٣٦.

الوزراء، ووضعه في المكان الذي لايستحقه[1].

وكان الخليفة كبير السن، فجعل اعتماده عليه حيث «فوض إليه وعول عليه، ثم قعد ينظر بعينيه وينطق بلسانه»[2]، وقيل في الوزير القزاز أنه كان إضافة إلى رداءة نسبه، سيء السياسة ظالماً، جائراً [3]، وقد عمل على معاداة الوزراء السابقين، وحط من شأنهم واستبدل بهم وزراء آخرين من نمطه، من التوابع والحاكة. وجعلهم وزراءه وأنصاره، فنالوا معه المنازل النبيلة وهم وزراء صغار السن همهم اللهو والشرب[4]، ثم اتبع سياسة تمثلت بفرض الضرائب على الوزراء السابقين وكبار التجار وقطع رواتب الجند من صنائع الوزراء السابقين، وخشية على نفسه وتوقعه الثورة عليه وقتله، أقام لنفسه علية بناها فوق القصر ليتحصن فيها في حالة مداهمته بأي خطر، كما قام بنقل أفراد أسرته وحاشيته إلى قصر الخليفة المعتد بالله، فاختلطوا وعاشوا معاً فاستبد بالخليفة، وشتت الناس عنه، وحجبه عنهم بحيث لا يراه أحد[5].

ومع هذا لقيت سياسة القزاز تجاوباً من الخليفة الذي كان "راضياً عن سياسة وزيره بإقامة وظائفه ليومه، وشهره" [6]، ولكن الناس ضاقوا ذرعاً من الوزير ، مما أدى إلى تحركهم السريع للقضاء عليه، إذ إلتقت إرادتهم مع إرادة الجند الذين قطعت أرزاقهم، فدبروا انقلاباً على الوزير القزاز، اشترك فيها انقلاباً أيضاً كبار الوزراء الذين تم استقصاؤهم، وخططوا معاً لقتل الوزير القزاز[7]، المنفرد بالخليفة رأياً ومشورة[8].

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٥٢٤.

(٢) المصدر نفسه،ق٣، م١، ص٥٢٤ .

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٥٢٤ .

(٤) المصدر نفسه، ق٣، م١، ص٥٢٤-٥٢٥ .

(٥) المصدر نفسه، ق٣، م١، ص٥٢٤-٥٢٥؛ ابن الأثير، الكامل جـ٨، ص١٠٦-١٠٧؛ ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١٤٦ .

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٥٢٤ .

(٧) المصدر نفسه، ق٣، م١، ص٥٢٤؛ ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١٤٦ .

(٨) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٥٢٥ .

وتزعم هذه الثورة التي ضمت عناصر من الجند وأهل قرطبة الأمير الأموي أمية بن عبد العزيز العراقي[1]، إذ ترقب الجند خروج الوزير من قصره، فقبضوا عليه وقتلوه وحزوا رأسه[2]، وذكر أن الناس دسوا عليه في الطرقات من قال له نصيحة، وكان الوزير أطرشاً، فصغى إليه ليقولها في أذنه، فجره عن دابته، فقتل[3]، فقيل قتله الجند[4].

أما الخليفة المعتد بالله، الذي وصلته أنباء الثورة اعتصم بالعلّية التي بناها وزيره القزاز، وحمل مسؤولية ما وقع في الدولة من أخطاء إلى هذا الوزير، واعداً الناس بتغيير سياسته ونهجه، لكنه فوجيء برأس وزيره يتدحرج أمامه، وقالوا له الثوار «هذا رأس وزيرك الذي أبليت به الأمة» وشتموا الخليفة وشدوا عليه القول، ونهبوا قصره[5]. ويئس الخليفة منهم، خاصة عندما سمع الهتف باسم الوزراء، الذين أعلنوا إسقاط الخلافة الأموية جملة وتفصيلاً، وحكم البلاد الوزير أبي الحزم جهور ابن محمد، ونفي الخليفة إلى ماردة، ومات فيها سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م[6].

وكان عميد الجماعة أبا الحزم بن جهور، قد أبدى زهداً في تولي المنصب، ووصف بالدهاء، والعقل، والعفاف، والتواضع فلم يقبل الوزارة إلا بشرط أن يؤازره في الحكم من مجلس الجماعة محمد بن عباس وعبد العزيز بن حسن من آل بيته[7]، وكان ابن جهور يقول «أنا ممسك الناس إلى أن يتهيأ لهم من يصلح

---

(١) المصدر نفسه، ق٣، م١، ص٥٢٥ .

(٢) المصدر نفسه، ق٣، م١، ص٥٢٥.

(٣) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٣٧.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٥٢٥-٥٢٦ .

(٥) ومن محتويات القصر التي نهبت قيود حديثة كان الوزير قد وضعها ليقيد بها الأعيان والوزراء. ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٥٢٦-٥٢٧ .

(٦) ابن شهيد، ديوان، ص٤٨؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٥٢٧. ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١٣٩؛ ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٨٢ .

(٧) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٣٩؛ الذهبي، سير، جـ١٧، ص١٣٩-١٤٠؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص١٤٨؛ انظر : سالم، قرطبة، جـ١، ص١٠٨ .

للخلافة»[1]، وقيل عنه أنه «لم ينتقل عن رتبة الوزارة إلى الإمارة ظاهراً،بل دبر تدبيراً حسناً لم يسبق إليه»[2]. وبذلك انقطع حكم بني أمية في الأندلس الذي استمر (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٦-١٠٣٠م) مائتي سنة وأربع وثمانين، حكم فيها خمسة عشر حاكماً .

---

(١) الذهبي، سير، جـ١٧، ص١٣٩-١٤٠.

(٢) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٣٩.

الفصل الثالث

رسوم الوزارة ومجالس الوزراء

وألقابهم وصلاحياتهم

رسوم الوزارة :

أشارت المصادر بصورة مقتضبة إلى الترتيبات المتعلقة بالوزراء، ويبدو منها أن رتبة الوزير في الأندلس، تقتضي عند مقابلة وزير لأحد، ألاّ يقوم الوزير إلا لوزير مثله، ويوسع له في مجلسه[1]. وأشار ابن الآبار إلى ذلك فقال عندما عزل الأمير عبد الله وزيره سليمان بن وانسوس، فافتقده فأرسل له الوزير محمد بن الوليد بن غانم لاسترضائه، وإعادته إلى منصبه، فقابله ابن وانسوس بفتور، فتعجب ابن غانم من هذه المقابلة وقال له: «عهدي بك وأنت وزير السلطان في أبهة رضاه، وتتلقاني على قدم وتتزحزح لي عن صدر مجلسك..»[2].

وكان يعين للوزير حاجبٌ على بابه، يقوم هذا الحاجب بمهمة إدخال الناس عليه، فلما قام الوزير أحمد بن شهيد بزيارة مفاجئة إلى الوزير ابن جهور في عمله الذي كان به محجوباً، فتأخر ابن شهيد في الاستئذان للدخول عليه، فكتب له أبياتاً من الشعر، منها:

أتيناك لا عن حاجة عرضت لنا ... إليك ولا قلب إليك مشوق

ولكننا زرنا بضعف عقولنا ... حماراً تولى برّنا بعقوق

فرد عليه ابن جهور بما كان يشيع منه، بأن جده أبا هشام كان بيطاراً بالشام:

حجبناك بما زرتنا غير تائق ... بقلب عدوٍّ في ثياب صديق

وما كان بيطار الشام لموضع ... يباشر فيه برّنا بخليق[3]

ومن بين الترتيبات السائدة في هذه الحقبة، أن الوزير يكتب أراءه على رقاع، وترفع هذه الرقاع إلى الخليفة لينظر في محتواها، ويرد الخليفة عليها

---

(١) ابن الآبار، الحلة، جـ١، ص١٢٣-١٢٤؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٠١-٣٠٢.

(٢) ابن الآبار، الحلة، جـ١، ص١٢٣-١٢٤.

(٣) ابن خاقان، مطمح، ص١٦٨-١٦٩؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٩٠؛ الكتاني، التشبيهات، ص٣٠٠.

خطياً أيضاً، يقول ابن سعيد: «ويخاطبهم برقاع فيما يراه من أمور الدولة»[1]، ويقول آخرون: «كان الوزراء يطالعون بآرائهم الخليفة في بطاقة»[2]. فقد كتب الوزير النضر بن سلمة للأمير عبد الله رأيه في أمر ما بورقة، فلما قرأها الأمير لم يعجبه ذلك الرأي، فكتب على الرقعة:

أنت يا نضر آبده   ليس ترجى لفائدة

إنما أنت عـــدة   لكنيف ومائـــدة[3]

كما كانت تصل قصر الخليفة الرقاع المرسلة من الوزراء في مناطق الثغور وأرض العدوة، وتتناول الرقاع مجريات الأحداث وسير المعارك[4]. وكان الخليفة يرد على هذه الرقاع[5].

ويتضح تنظيم ترتيب الوزراء في استقبال الرسل والوفود ومناسبات الأعياد، والبيعة للخلافة وولاية العهد، إذ يجلس الوزراء في مقاعدهم المخصصة لهم حسب مراتبهم[6].

بيد أن رسوم جلوس الوزراء عند استقبال الرسل والوفود لها ترتيبات خاصة على هذا النحو: يجلس الخليفة على سريره المخصص في صدر المجلس، وعلى يمينه ابنه الأكبر وعلى يساره بقية أبنائه، ويحيط به الوزراء في مقاعدهم المخصصة. فقد استقبل الخليفة الناصر وفد الروم الذي حمل كتاباً للخليفة من الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع صاحب القسطنطنية مصبوغاً بلون سماوي، ومكتوباً بالذهب[7].

وعندما استقبل الناصر سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م، رسل صاحب القسطنطينية، «زين القصر الخلافي بأنواع الزينة ... ورتب الوزراء ....» وفي

(١) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٤٦.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٢٠-١٢١؛ المقري، نفح، م١، ص٣٥٣.

(٣) ابن الآبار، الحلة، جـ١، ص١٢٢؛ المقري، نفح، م١، ص٣٥٣.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٩٠، ١٠٨، ١٣٠، ١٧٤.

(٥) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص١٢٩-١٣١.

(٦) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٢١-٢٢.

(٧) ابن عذاري، البيان، صادر، جـ٢، ص٢١٩؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٣٧.

سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م[1] وصل إلى بلاط المستنصر وفد بون فلي (Bon Fill) الإسباني قومس برشلونة، فكان الترتيب للوزراء كما جاء في نص ابن حيان: «فجلس لهم الخليفة على السرير، في محراب المجلس الشرقي ... وتوصل الوزراء فقعدوا على مراتبهم، وحجبه منهم عن ذات اليمين الوزير القائد غالب ابن عبد الرحمن وتحته الوزير صاحب الحشم قاسم بن محمد بن طملس، ومن ذات اليسار الوزير صاحب المدينة جعفر بن عثمان المصحفي، وتحته صاحب مدينة الزهراء ..»[2].

واستمر مثل هذا الترتيب في استقبال الخليفة الحكم المستنصر زعماء الأدارسة سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م[3]، ووفود رسل هوتو (Otto) ملك الفرنج وغيتار (Guitardo) صاحب برشلونة وقشتالة في العام نفسه[4]، وفي سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م وصل القائد غالب الناصري إلى قرطبة ومعه الحسن بن قنون وأجرى له الترتيبَ ذاته، وتوصل الوزراء فسلموا وقعدوا، على منازلهم، وقام منهم للحجاب الوزير القائد الأعلى غالب الناصري، وعن يساره صاحب المدينة الوزير الكاتب، وتحته محمد بن أفلح صاحب مدينة الزهراء، ثم أصحاب الشرطة العليا والوسطى، وأصحاب المخزول[5] والعراض وأصحاب الحشم والكتاب والأهرائيين[6]،

---

(١) ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٤٢؛ المقري، نفح، م١، ص٣٦٤.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢١-٢٢؛ انظر: تعليق المحقق، ص٢٠، حاشية (١).

(٣) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص١٤٦.

(٤) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص١٨٢؛ انظر: تعليق المحقق، ص٢٠، حاشية (١).

(٥) صاحب المخزول: هو المسؤول عن الأموال المخصصة للنفقة والأعطية ونقل الأموال من قرطبة إلى الجهة المرسل إليها وتسليمها للخازن في تلك المنطقة الذي يقوم بدوره بتوزيعها على المستحقين. المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص١٣٩، ١٩٨؛ انظر أيضاً: التهامي، نظم وإدارة بني أمية، ص٤١١؛ العميان، الخراج، ص٤٧.

(٦) الأهرائيون: يسمى متوليها أمين الأهراء، وهي مرتبة رفيعة، استحدثت في عهد الأمير الحكم بن هشام، وتكمن وظيفته في الإشراف على حفظ مخازن الحبوب جميعها لحفظها وصيانتها لوقت الحاجة، كما يقوم أمين الأهراء بتسجيل كميات الحبوب التي تدخل أو تخرج من المخازن، لترصد الدولة الكميات المتبقية في مخازنها. انظر: العميان، الخراج، ص٦٢.

وأولاد الوزراء الأحياء وإخوتهم والوصفاء[1]، وحصل مثل هذا الترتيب في عهد المستنصر عندما استقبل جعفر بن علي ويحيى بن علي وبني خزر إذ توصل الوزراء وقعدوا على مراتبهم[2].

ولا يختلف كذلك الترتيب في عيدي الفطر والأضحى، إذ يصل الوزراء قصر الخليفة للسلام عليه، ويكون الترتيب، بحيث يجلس الخليفة جلوساً فخماً في صدر المجلس، يحيط به الإخوة وجنباته الوزراء ووسطه أهل المراتب، ويجلس الوزراء بإثر الإخوة، بعد فرجتين كما كان سائد في سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م و٣٦١هـ/٩٧١م و٣٦٣هـ/٩٧٣م و٣٦٤هـ/٩٧٤م [3].

ويبدو من هذه الترتيبات مكانة الوزير في الترتيب إذ يجلس الأخوة حسب السن، ثم الوزراء حسب الخطط التي يتقلدونها، وبقى هذا الترتيب سائداً في عصر الخلافة، مع اختلاف مكان العمل بهذه الرسوم من قصر لآخر واختلاف الأشخاص[4]. ويكون ترتيب الجلوس أثناء البيعة للخلافة أو ولاية العهد أو توجه الخليفة بغزوة أو استقبال قادة الجيس بعد عودتهم من الصوائف والحروب وفق ما هو جار ومعمول به، واستمرت مثل هذه الرسوم حتى سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م[5].

فعندما أراد الخليفة الناصر التوجه بغزوة إلى جليقية أمر باحضار أهل قرطبة فلما احتفلوا اقعد لهم ولي العهد الحكم في مجلس فخم حجبه فيه الحجاب وقعد الوزراء بين يديه على منازلهم[6]. وأعد للوزير القائد غالب الناصري استقبال حافل، بعد عودته منتصراً من أرض العدوة المغربية ويرافقه الحسن بن قنون وشيعته، فبعد أن اكتملت التعبئة، جلس الخليفة المستنصر في المجلس

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٩٨.

(٢) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٣٢، ٥٠ .

(٣) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٢٨، ٢٩-٣٠، ٨١، ٩٢، ١١٩، ١٥٥، ٢٢٩ .

(٤) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٢٢٩-٢٣٠ .

(٥) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٤٨-٥٧ .

(٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شماليتا، ص٤٥ .

الشرعي ثم توصل الوزراء فسلموا وقعدوا على منازلهم وقام للحجاب عن اليمين الوزير القائد غالب الناصري وعن اليسار الوزير جعفر بن عثمان المصحفي[1].

وطرأ اختلاف على رسوم الخلافة ورسوم الوزارة في عهد الاستبداد العامري إذ أحاط الحاجب المنصور وأبناءه أنفسهم بهالة الملك ، فكانت الزاهرة هي محط استقبال الملوك والرسل والوفود، فقد استقبل الحاجب المنصور فيها صهره شانجة (Sancho) سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م، وكان جلوسه له مشابه تماماً لجلوس الخليفة، وقد قعد لهم أفخم قعود، وأعلى مرتبة، مكتنفاً سريره بالوزراء وأعاظم رجال الدولة، وامتد الوصفاء والصقالبة صفين من باب المجلس إلى باب القصر...»، وقد قبّل شانجة ٣٦٠هـ/٩٧٠م الأرض بين يديه، وحتى رجليه ويديه[2]. ثم استجد ترتيب جديد على الوزراء في عهد الحاجب المنصور بأن كان الوزراء يقبلون يد الحاجب[3].

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٩٤-١٩٩ .

(٢) المصدر نفسه، ق٢، ص٧٤ .

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٩.

مجالس الوزراء :

أشارت بعض المصادر إلى وجود مقر خاص للوزراء أقيم في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، إذ كان هو الذي اتخذ في قصره بيت الوزارة[1].

يقع بيت الوزراء بالجهة الشرقية من قصر الخلافة إذ يعتبر من ملحقاته الرئيسة باعتباره مقراً ثابتاً[2].

وقد أطلق على مقر الوزراء عدة أسماء منها بيت الوزراء[3]، ودار الوزارة[4]، وفراش الوزارة[5]، ودار الملك[6].

ويبدو أن دار الوزراء تضم قاعات واسعة، اتخذ بعضها مقراً للاجتماعات التي يعقدها الحاجب مع أعضاء وزارته، كما كان يستقبل في هذه القاعات الواسعة الوفود والرسل، بل تكون أحياناً مكاناً لتجمع الوفود وطبقات الخدمة أثناء المناسبات للإنطلاق منها إلى قصر الخلافة[7].

ويذكر في هذا الصدد، أن الخليفة الحكم عهد سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م إلى جميع وزرائه بالجلوس في بيتهم لاستقبال رؤساء البربر القادمين من المغرب، لمشاهدة توزيع الصلات والهدايا عليهم، فاستجابوا وقعدوا لهم، وقام الوزير جعفر بن عثمان المصحفي بتوزيعها على زعماء البربر أمام الحضور، وكذلك ورد حضور الوزراء مجلس الوزراء عندما أمر الخليفة بتوزيع الصلات، مكافأة للتاجر محمد بن سليمان، وكانت المكافأة ألف مثقال جعفرية، وخلع سنية[8].

---

(١) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٤٦؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٨ .

(٢) دويدار، المجتمع، ص٢٥٩ .

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٥ .

(٤) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٢٥؛ شاك، الفن العربي، ص٢١٢ .

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص٢٢، ١٢٧؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢١٩.

(٦) نجلة إسماعيل العربي، قصر الزهراء في الأندلس، بغداد ، ١٩٧٧، ص٧٠. وسيشار إليه تالياً : نجلة العربي، قصر الزهراء؛ شاك، الفن العربي، ص٢١٢ .

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٥٠-٥١ .

(٨) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٨٧، ١١١ .

كما جلس في دار الوزارة أو بيت الوزارة القرشيون الذين سماهم ابن حيان قريش الصلب وسائر بني أمية مع بني محمد الحسنيين، وفيهم زعماؤهم يحيى وحسن ابنا قنون، وذلك لتهنئة الخليفة الحكم المستنصر بعيد الفطر سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م[1].

أما التنظيم الداخلي لبيت الوزراء، فيظهر أنه يتكون من غرف متعددة، إذ تخصص غرفة لكل وزير وما يتبعه من موظفين مثل الوزير الكاتب، ويسمى مكانه بيت الكتابة[2]، ويطلق على مكان الوزير صاحب المدينة فراش المدينة[3] أو غرفة المدينة[4].

ويطلق على مقاعد الوزراء، الأرائك أو الدستة[5] أو الفراش[6]، وتصنع من الكتان، ويرتفع عنها مقعد الحاجب الذي يتميز عنهم في المركز والراتب[7]، كما يتميز عنهم الوزير الذي يمنح ألقاباً إضافية، فيرتفع مجلسه عن سائر الوزراء، فعندما مُنح الوزيرُ القائد الأعلى غالب الناصري لقبَ ذي السيفين، صدر الأمر بتصدير فراشه في بيت الوزارة فوق فراش الوزراء المرتبة حسب طبقاتهم، وتعليته فوق جميعهم، تشريفاً له[8].

وكذلك ارتفعت مجالس الوزراء الذين مُنحوا لقبَ ذي الوزارتين، تكريماً لهم عن أقرانهم الآخرين مثل ابن شهيد وغالب الناصري ومحمد بن أبي عامر[9].

وفي بداية عصر الخليفة هشام المؤيد سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، أدخل الحاجب المصحفي ترتيباً جديداً على فراش الوزراء، إذ ساوى مقعده المصنوع من الخزّ

---

(١) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٢٣٠-٢٣١.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٢١-١٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص١٢٧.

(٤) المصدر نفسه، ص١٢٨.

(٥) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٢٤.

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٥٩.

(٧) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٢٤؛ انظر أيضاً: أبو فارس، النظام السياسي، ص٢٢٣.

(٨) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢١٩.

(٩) انظر: ص ٢٧١-٢٧٢ من هذه الدراسة.

بمقاعد الوزراء، وبذلك أُلغيت مقاعد الكتان، وأخذت تصنع منذ ذلك الحين من الخزّ فقط[1].

ثم طرأ تطور آخر على مجالس الوزراء في عهد الحاجب المنصور الذي أنشأ مجالس للوزراء في مدينته الزاهرة، وكان يترأس الاجتماعات التي يعقدها معهم رغم أنها شكلية في بعض الأحيان[2]. وكذلك أنشأ الحاجبُ واضحُ العامري مجلس للوزراء، تعقد فيه الاجتماعات مع الوزراء والفقهاء[3].

وإلى جانب مجلس الوزراء، وُجدت مجالسُ أخرى تقدم المشورة للخليفة أطلق على أحدها مجلسُ الشورى، ويضم بعضويته وزراءَ وفقهاءَ، يناقشون في جلساته أموراً سياسية[4] كما هوالحال بالفتنة البربرية[5]، عندما كتبوا عن هشام إلى زاوي بن زيري[6].

ألقاب الوزراء:

الوزير من الألقاب الرفيعة جداً في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، إذ كان يتقلده من هم جديرون بحمل هذا اللقب، لا سيما وأن الوزارة مطمحٌ لكبار الشخصيات في الدولة للوصول إليه، فهو في المرتبة الثانية بعد الحجابة، ومتقلده يكون مرشحاً للمنصب الأول في الدولة وهو الحجابة.

ولقد أشار ابن حيان إلى أهمية هذا اللقب بالقول أنه «معان العزة التي يسعى لها أهل المملكة»[7]، مما يدل على لقب الوزارة فعلياً وليس تشريفياً.

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٥٩.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٣.

(٣) المصدر نفسه، جـ٣، ص١٠٢-١٠٣.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٣٨؛ انظر: حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، جـ٢، ص٢٦٣.

(٥) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٥١٧؛ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٥، جـ٣، ص١٠٥.

(٦) ابن عذاري، المصدر نفسه، جـ٣، ص١٠٨.

(٧) المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢١٩.

كما أنه لقب يطلق على مستشاري الخليفة، الذين يعاونونه في إدارة شؤون الدولة(1)، وكان الخلفاء يتخذون لهم عدة وزراء يطلق على كل واحد منهم لقب وزير، في حال تقلده خطة الوزارة(2)، والوزارة منصب ترتيبي عالٍ، تضع من يتولاها في مكانة مرموقة عند الخليفة والكثير من حملة هذا اللقب كانوا قبل استيزارهم يتقلدون خطط أخرى مثل الشرطة والمظالم والمدينة، وعند توليهم الوزارة يحتفظون أحياناً، بحمل هذه الخطط إلى جانب خطة الوزارة، ويلقبون بالوزير، فيقال الوزير صاحب المدينة(3)، أو الوزير صاحب الحشم(4)، أو الوزير القائد(5)، أو الوزير صاحب الشرطة(6)، أو الوزير صاحب المظالم(7)، أو الوزير الكاتب(8)، أو الوزير القاضي(10) .

وقد يتخلى الشخص عن الخطة عند ترقيته إلى خطة الوزارة منفردة، فيحمل لقب وزير، فقد عزل الأمير عبد الله القاضي موسى بن زياد عن القضاء وولاه خطة الوزارة، وكذلك عزل الحاجب المنصور القاضي محمد بن يحيى بن برطال عن القضاء ورقاه إلى خطة الوزارة(11).

وفي حالات كثيرة، يتقلد الوزير خطة الوزارة أولاً ثم توكل إليه خطط أخرى، فقد أوكلت الشرطة العليا إلى الوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد مع

---

(1) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٥٣؛ المصدر نفسه، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص٢٥٢؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٩٩، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٨٥، ٢٩١.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٢٥٢؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٩٩، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٨٥، ٢٩١ .

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١١٤، ١١٦؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١٧٢ .

(٤) ابن حيان، المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٢٤ .

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٣٢؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٦٨، ٩٤، ١٤٤.

(٦) ابن حيان، المصدر نفسه، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٤٦١-٤٦٢ .

(٧) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٨٦؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص١٣٧.

(٨) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٣٢ .

(٩) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢١٥ .

(١٠) المصدر نفسه، ق١، ص١٥٤، ٢١٥؛ النباهي، المرقبة العليا، ص٨٤ .

خطة المظالم وبذلك حمل ثلاثة خطط معاً[1].

وتتراجع مكانة الوزير في حالة عزله عن الوزارة إلا إذا أعيد تعيينه ثانية، فقد أعاد الأمير المنذر بن محمد الوزيرين تمام بن علقمة ومحمد بن جهور إلى الوزارة وكانا خاملين[2]، وكذلك عزل الناصر وزيريه فطيس بن أصبغ[3]، وعيسى بن أحمد بن أبي عبده فخمل ذكرهم[4].

وثمة ألقاب أخرى تشرف بها بعض الوزراء إضافة إلى لقب الوزير، وذلك تقديراً لجهودهم وخدماتهم في الدولة، وبدأت هذه الألقاب الإضافية تظهر في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر، وبداية عهد الخليفة هشام المؤيد، بينما فقدت هذه الألقاب رونقها في الحقبة الواقعة من الفتنة البربرية، وحتى سقوط الخلافة[5].

أما هذه الألقاب التي منحت لبعض الوزراء في الأندلس فهي لقب ذو الوزارتين، الذي منحه الخليفة عبد الرحمن الناصر لأول مرة في تاريخ الأندلس إلى الوزير أحمد بن عبد الملك بن عمر بن شهيد سنة ٣٢٧هـ/٩٣٩م[6].

ولقب ذو الوزارتين سبق وأن استخدم في الشرق بالعصر العباسي إذ منحه الخليفة المأمون إلى وزيره الفضل بن سهل[7]، ومنح إلى الوزير العباسي صاعد بن مخلد[8]، وصاحب هذا اللقب يجمع بين السلطتين المدنية والعسكرية، ويقال له صاحب السيف والقلم كما يقال له ذو الوزارتين[9]، وذو الرياستين[10].

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٤٦١-٤٦٢ .

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٣٢ .

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص١٩٦، ١٩٧ .

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق، شماليتا، جـ٥، ص٢٤٢ .

(٥) المصدر نفسه، تحقيق، شماليتا، جـ٥، ص٤٨٦ .

(٦) المقري، أزهار الرياض، جـ٢، ص٢٦٢ .

(٧) الذهبي، سير، جـ١٧، ص٥٠١ .

(٨) المقري، أزهار الرياض، جـ٢، ص٢٦٢ .

(٩) أبو ارميلة، نظم الحكم، ص٨٦ .

(١٠) ابن خلدون، المقدمة، دار النهضة، جـ٢، ص٦٩٥ .

وعندما منح الخليفة عبد الرحمن الناصر هذا اللقب إلى وزيره ابن شهيد، أسند إليه مهام منها الإشراف على الشؤون المالية، وقيادة الجيش، ورئاسة ديوان الكتابة، والشرطة والمظالم ، إذ كان بمثابة الحاجب للخليفة، إلا أنه لم يحظ بلقب الحاجب[1]. ويعود سبب منحه هذا اللقب الوزاري إلى تقدير الخليفة لجهود وإخلاص وولاء ابن شهيد للدولة الأموية، وقد عبر الوزير عن هذا الولاء بالهدية الكبيرة التي أهداها للخليفة الناصر سنة ٣٢٧هـ/٩٤٨م[2].

وقد أشادت بعض المصادر في ذي الوزارتين ابن شهيد، فوصف بأنه «حامل الوزارتين على سموها، استقل بالوزارة على ثقلها، وتصرف فيها فظهر على أولئك الوزراء»[3].

وترتقي مكانة الوزير ذي الوزارتين إلى مرتبة أعلى، متميزاً عن الوزراء الآخرين في تصدير فراشه في دار الوزارة، كما يتقدم اسمه على جميع الوزراء في سجل الارتزاق، ويرتفع راتبه إلى ضعف راتب الوزير العادي أي يصل إلى ثمانين ديناراً في الشهر، وكان هذا راتب الوزير ابن شهيد[4].

أما الخليفة الحكم المستنصر فقد منح الوزير غالب الناصري سنة ٣٦١هـ/٩٧١م اسم القيادة العليا، تشريفاً وتنويهاً بذكره[5]، ثم منح الخليفة نفسه الوزير القائد الأعلى غالب الناصري سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م لقب ذا السيفين، وبذلك يقول ابن حيان أن أمير المؤمنين شرفه عند مغادرته من مجلسه بما لم يشرف به خليفة من خلائف الأندلس أميراً ولا قائداً غيره، فقلده سيفين من ذخائر سيوفه مذهبين غمديهما مزينتين بحلية ثقيلة غريبة الصناعة، كما رفع الخليفة درجته وخلع عليه كسوة خاصة تتكون من الثياب العراقية الثمينة البديعة، ومن

---

(١) ابن الخطيب، أدب الوزارة، ص٦٥. (مقدمة المحقق) .

(٢) المقري، أزهار الرياض، جـ٢، ص٢٦٢، ٢٦٤؛ نفح، م١، ص٦٥٣ .

(٣) ابن خاقان، مطمح، ص١٦٦-١٦٧ .

(٤) المقري، نفح، م١، ص٣٥٦؛ أزهار الرياض، جـ٢، ص٢٦٢.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٦٩ .

القلانس الموشية ذات القيمة العالية وسماه ذا السيفين، وقرر أن يخاطب بهذا اللقب[1]، وبعد ذلك أمر الخليفة الوزير القائد الأعلى ذا السيفين غالب الناصر، التوجه إلى حصن غرماج[2].

ولم يكن لقب ذو السيفين مستحدثاً في الأندلس فقط، فقد سبق أن منحه الخليفة العباسي المعتمد سنة٢٦٩هـ/٨٨٢م إلى ابن كنداج، وقلده سيفين[3].

وللمرة الثالثة منح الوزير القائد غالب لقباً إضافياً هو ذو الوزارتين، وهذه المرة في أوائل عهد الخليفة هشام المؤيد، وتشير بعض المصادر إلى أن هذا اللقب استصدره الوزير محمد بن أبي عامر من الخليفة المؤيد، فمنح بموجبه الوزير غالب هذا اللقب، أي وزارتي السيف والقلم، وكان ذلك سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م[4].

ومنح الخليفة هشام المؤيد وزيره محمد بن أبي عامر لقب ذا الوزارتين سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م، وبذلك ساوى غالب في المرتبة[5].

ومنذ أن تقلد محمد بن أبي عامر الحجابة للخليفة هشام المؤيد استبد الحاجب بالخليفة، وانتقلت صلاحيات منح الألقاب من الخليفة إلى الحاجب المنصور، وأصبحت الألقاب تمنح منه، محاولاً الاستفادة من هذه الألقاب في تحقيق مكاسب سياسية ودعم لسلطته في الأندلس وأرض العدوة المغربية، لاسيما وأنه اعتمد سياسة الاعتماد على القبائل البربرية، فاستقدم منهم أعداداً

---

(١) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٢١٩-٢٢٠ .

(٢) حصن غرماج من ثغور مدينة سالم، تعرض لهجوم تشتالي نافاري، المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٢١٨ .

(٣) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١٠ج، تحقيق أبو الفضل جعفر إبراهيم، دار صادر، بيروت، د.ت، جـ٩، ص٦٢٢-٦٢٣. وسيشار إليه تالياً : الطبري، تاريخ .

(٤) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٦١، حاشية (1)؛ أبو ضيف، القبائل العربية، ص٢٧٠، مؤنس، معالم، ص٢٤١.

(٥) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٢١؛ انظر ابن شهيد، ديوان، ص٦، (مقدمة المحقق)؛ عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٢٩؛ الأزرقي، القوى المغربية، الساحة المركزية بن كنون، الجزائر، د.ت، ص١٨. وسيشار إليه تالياً: الأزرقي، القوى المغربية.

وفيرة، اعتمد عليهم كقوة عسكرية وسياسية كما دخل الأندلس في عهده زعامات بربرية، حاول المنصور استمالتها بالصلات والخلع، والأموال، والجرايات الثابتة، والألقاب الرفيعة[1]، فقد منح جعفر بن علي لقب وزيراً[2]، ومنح زيري ابن عطية الذي وصل الأندلس سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م هذا اللقب، وأسكنه أفخم القصور، وأعطاه الأموال الكثيرة والخلع النفيسة[3].

وعُدّ لقب الوزير الذي منح لزيري بن عطية لقباً اسمياً لم يرض طموح زيري، الذي استخف به راغباً في منحه لقب الإمارة[4]، وقد عبر عن هذه الرغبة عندما قال : «لا والله إلا أمير ابن أمير، واعجبا لابن أبي عامر ومخرقته»[5]، كما قال: «إنما خطتنا الإمارة لا الوزارة»[6]، وكان عدم رغبته بلقب الوزير من بين الأسباب التي أدت إلى خروجه عن طاعة المنصور فعزله الأخير عن الوزارة وقطع جرايتها عنه[7].

ومنح هذا اللقب إلى أفراد من الأسرة العامرية، فقد منحه المنصور لابنه شنجول سنة ٣٨١هـ/٩٩١م[8]، ومنح لأفراد من البيت الأموي منهم الأمير عبد الله بن عبد العزيز بن محمد [9].

ومنح الخليفة هشام المؤيد محمد بن عبد الملك المظفر سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م لقب ذا الوزارتين ، وبذلك ارتفعت مرتبته على سائر الوزراء[10]. وتسمى ابن

---

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٠٤-١٠٨؛ الناصري، الاستقصا، جـ١، ص٢١١ .

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٨٢؛ ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٦٣ .

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٠٤؛ الناصري، الاستقصا، جـ١، ص٢١١ .

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٨٢؛ وداد القاضي، الفكر السياسي، ص٥٤ .

(٥) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٠٤؛ الناصري، الاستقصا، جـ١، ص٢١١.

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٨٢ .

(٧) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٠٥؛ العبادي، في التاريخ العباسي، ص٤٤٨ .

(٨) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٩٣ .

(٩) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢١٦ ؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٨١ .

(١٠) ابن عذاري، المصدر نفسه، جـ٣، ص١٥-١٦ .

مناد العامري بلقب ذي الوزارتين ، أثناء وزارته للخليفة هشام المؤيد[1].

ثم هبط لقب الوزير في الأندلس منذ بداية القرن الخامس الهجري، إذ تقلد الوزارة أشخاص من ذوي المستويات الهابطة وانتقد المراكشي وزراء الخليفة المستكفي مستوى وإدارة[2]، بينما قال آخر: «فقديماً استعاذوا بالله من وزارة السفلة[3]، إذ تولاها في هذه الحقبة «مغرس دنيء، ومهنة مرذولة[4]، ولا سالفة شرف ولا جاه متقدم»[5]، فاسدي السياسة[6].

- صلاحيات الوزراء :

اختلفت صلاحيات الوزراء في عصر الخلافة من فترة لأخرى، ومن وزير لآخر ومن خليفة لآخر.

تولى الوزير الملقب بذي الوزارتين الإشراف على أمور الدولة المالية وخاصة السكة، وضبط الأمن عن طريق الشرطة والمظالم، وقد تعرض حامل هذه الخطط إلى العزل بسبب فشله في المتابعة، وتولى أمر جميع هذه الوظائف ولي العهد الحكم. وعهد له الخليفة الإشراف على الدولة[7].

ويبدو أن الوزير كان يتولى النيابة عن الخليفة في إدارة شؤون الدولة في حالة غيابه عن قرطبة، وفي حالة تعرض الخليفة للمرض إذا لم يكن له حاجب[8]، وتسمى هذه الوظيفة ناظر القصر، إذ يتولى الوزير الإشراف على شؤون القصر والحشم، طيلة غياب الخليفة، ويستخلف معه ولي العهد أو شقيقه

---

(١) المصدر نفسه، جـ٢، ص١٠٧ .

(٢) المراكشي، المعجب، ص١٠٧ .

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١٣٢ .

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق٢، م١، ص٥٢٣ .

(٥) ابن الأثير، الكامل، جـ٨، ص١٠٦-١٠٧؛ ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١٤٦.

(٦) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٣، ص٤٣٧ .

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٤٨٧ .

(٨) المصدر نفسه، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٤٨٧ .

كنائب عن الخليفة طيلة فترة غيابه ، ويقوم ناظر القصر بالإضافة إلى ما ذكر بالرد على الكتب التي تصل القصر من المدن والأقاليم، وتنتهي هذه الصلاحية بمجرد عودة الخليفة إلى القصر أو شفائه من المرض[1].

وفي عهد الخليفة هشام، استوزر الحاجب المنصور الذي كان هو الذي يعين الوزراء أحمد بن سعيد بن حزم سنة ٣٨١هـ/٩٩١م، وكان يستخلفه على الدولة في أوقات معينة، ويعهد إليه بخاتمه وقد بلغ ابن حزم ذروة النفوذ والسلطان في عهد الحاجب المنصور وكان ابن حزم ذا شخصية قوية واثقاً ومعتداً بنفسه، فتغير عليه الحاجب ، فعزله عن الوزارة وقال عنه «ظن أن سلطاني مضطر إلى تدبيره» فتردد في نكبته، ثم أرسله إلى كورة الغرب والياً عليها، ثم أعاده إلى حسن رأيه، ورده إلى منصب الوزارة[2]. وقال عنه أنه «النصيح جيباً، الأمين غيباً».

ويتضح أن قيادة الجيش من المهام الرئيسة للوزراء، حيث كان الخلفاء يأمرون وزراءهم للاستنفار إلى الجهاد خاصة[3]، وقد تقلد هذا المنصب -الوزارة والقيادة- سعيد بن المنذر القرشي، ومحمد بن عبد الله بن حدير[4]، وأحمد بن محمد بن إلياس الذي قاد جيشاً في سنة ٣٢٥هـ/٩٣٧م، يتكون من ألف وخمسمائة فارس متوجهاً إلى بنبلونة ووادي أراغون[5]. والوزير أحمد بن محمد بن حدير ، وعبد الحميد بن بسيل[6].

وأشهر من تولى الوزارة والقيادة في عهد الخليفة الحكم المستنصر الوزير والقائد الأعلى غالب الناصري، الذي وصف بأنه شيخ الحروب وفارس الخطوب، والوزير يحيى بن محمد التجيبي الذي أرسله المستنصر بعسكر إلى

---

(١) ابن عذاري، البيان، صادر، جـ٢، ص٢٦٣، ٢٨٤ . انظر الدراسة، ص ٢٢٣.

(٢) ابن الآبار، إعتاب الكتاب، ص١٩١؛ عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٧٤.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١١٦ .

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٣٢٤-٣٢٥ .

(٥) المصدر نفسه، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص٤٠٠ .

(٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٤، ٢٧٧ .

المعارك[1].

طة، وكان الخليفة يطلع الوزراء على مجريات المعارك[1].

المغرب فيعهدالخليفة هشام المؤيد انفرد الحاجب المنصور بقيادة الغزوات،

، أن تخلص من منافسة الوزير غالب الناصري، ولكن كان الوزراء

، الحاجب المنصور في الغزوات، ويرسل إلى العدوة المغربية بعض

، القادة مثل، الوزير أبي الحكم عمرو بن عبد الله بن عسقلاجة، وصهره

ير عبد الرحمن بن محمد التجيبي، والوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود

السلمي[2].

أما الوزير الكاتب ، فيختص بكتابة الرسائل وتحريرها ويشترط فيه أن

يكون من المتخصصين بكتابة الرسائل العليا، فقد تولى الوزير عبد الملك بن

جهور الكتابة العليا للخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م، وكذلك

الوزير عيسى بن فطيس تولى الوزارة وكتابة الرأي، وعبدالرحمن بن فطيس[3].

وفي عهد الحاجب المنصور تولى كتابة الإنشاء عبد الملك بن إدريس

الجزيري، ثم تولى الوزارة والكتابة في عهد الحاجب المظفر[4]، والوزير عيسى بن

سعيد القطاع كاتب المنصور ووزير المظفر[5]، والوزير الكاتب أبو حفص أحمد بن

برد الأصغر[6]، والوزير الكاتب أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم وزير المستظهر[7].

وقد اقتصرت وظيفة كاتب الرسائل على أبناء المسلمين دون أهل الذمة

حفاظاً على سلامة أسرار الدولة[8]، كما ترأس الوزير عبد الله بن محمد بن

---

(1) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٧٩، ٨٠، ١٣٠؛ ابن عذاري، البيان، جـ١، جـ٢، ص٢٤٨ .

(2) ابن عذاري، المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٤١، ٢٤٦، ٢٤٨؛ انظر : فيلالي، العلاقات السياس

ص٢٠٥، ٢٠٧، ٢٣١-٢٣٢؛ عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٤٥.

(3) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٣٥٤؛ انظر أيضاً : عنان، دولة الإسلا

ص١٧٦-١٧٠ .

(4) ابن خاقان، مطمح، ص١٧٧ .

(5) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٧٥ .

(6) ابن خاقان، مطمح، ص٢٠٧ .

(7) المصدر نفسه، ص٢٠٢ .

(8) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص١٢٠-١٢١؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق الح

في خزينة الدولة[1] وفي السكة[2].

وينظر الوزير الذي يرأس ديوان الزمام في إدارة السجلات المالية المتعلقة بالمدخلات والمصروفات، لذلك كان يطلق عليه صاحب الاشغال الخراجية[3].

وخصص لمدينة قرطبة وال يكون مسؤولاً عن الأمن العام وتنظيم المدينة[4]، وأطلق عليه اسم الوزير صاحب المدينة أو والي المدينة، ويتولى هذا الوزير النظر في القصر أثناء غياب الخليفة عن المدينة ومن الوزراء الذين تقلدوا هذه المهمة أحمد بن محمد بن حدير، وعبد الحميد بن بسيل، وكان ذلك في عهد عبد الرحمن الناصر[5].

وعلى من يتولى المدينة أن يكون عارفاً بمكانة الناس، حسن التعامل معهم وأشهر من تولى ولاية المدينة الوزير عبد الحميد بن بسيل سنة ٣١٩هـ/٩٣١م[6]، والوزير جهور بن عبيد الله سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م[7]، والوزير جعفر بن عثمان المصحفي[8]، ومحمد بن أبي عامر[9].

ويقوم الوزير بالإضافة إلى الإشراف على حفظ الأمن والنظام في المدينة بإعداد المدينة لاستقبال الوفود، فمثلاً كلف الخليفة الحكم المستنصر وزيره المصحفي بتوزيع السلاح على الفتيان، وتسجيل أسمائهم للمشاركة في موكب استقبال الدولة، كل من جعفر ويحيى وبني خزر القادمين من المغرب[10].

---

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص١٠٨، ١٠٩، ١٤٩ .
(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٤٨٦ .
(٣) التهامي، نظم وإدارة بني أمية، ص٣٨٢ .
(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٣٠، ١٨٢، ١٨٤، ٢١٢، ٢١٧ .
(٥) المصدر نفسه، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٢١٧ .
(٦) المصدر نفسه، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٣١٤ .
(٧) المصدر نفسه، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٤٢٨ .
(٨) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٢٢، ٤٦، ٤٧، ٩٤، ٢٣٠ .
(٩) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٦ .
(١٠) جعفر ويحيى ابنا علي بن حمدون المعروف بالأندلسي، حكم علي بن حمدون مدينة المسيلة في الجزائر، ثم حكمها ابنه جعفر .

= = =

كما يقوم الوزير صاحب المدينة بمراجعته في دار الوزارة[1]، وقام بمثل ذلك الوزير عبد الله بن أمية والوزير وليد بن غانم والوزير أمية بن عيسى بن شهيد وهم من وزراء الأمير عبد الله، وكان الوزير ابن شهيد يراقب دار الرهائن المجاورة لباب القنطرة، ونظر الوزير محمد بن السلم في الجرائم التي تقع في قرطبة، فقد تحقق من جرائم القتل التي كان يقوم بها بعض القصابين في منطقة الرصافة[2].

أما الجند المرتزقة وغالبيتهم من الصقالبة، الذين يشاركون في الحملات التي كانت تجرى في أرض العدوة أو الثغور الشمالية في الأندلس، ويطلق عليهم اسم الحشم وهم لا يمثلون إلا جزءً من الجيش الخليفي، ويكون صاحب الحشم هو المسؤول عن هذا النوع من الجيش[3]، ومن الوزراء الذين نظروا في شؤون الحشم الوزير محمد بن قاسم بن طملس[4].

وينظر صاحب الحشم في ترتيب الكتائب وتنظيم العساكر[5]، وتعبئة طبقات الأجناد، وصنوف المماليك[6]. وإرسال المدد من الحشم إلى القائد الأعلى في الثغور أو في أرض العدوة، كما ينظر في القبض على المجرمين والخارجين عن الطاعة[7].

وكان الوزير صاحب الحشم، يتولى الإشراف على شؤون الرسل والوفود

= وعندما قتل زيري بن مناد الصنهاجي محمد بن الحنير بن خزر الزناتي القائم بالدعوة الأموية في المغرب، خاف جعفر من زيري فرحل مع أخيه يحيى وأهلهما إلى بني خزر فقاتلوا جميعاً زيري بن مناد في حرب طاحنة قتل فيها زيري، ثم انتقل جعفر ويحيى إلى الأندلس سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م واستقبلهما الخليفة المستنصر بحفاوة بالغة. ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٤٨-٤٩؛ ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢٠٥-٢٠٦؛ ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٤٢-٢٤٣؛ انظر: ص٣٢ حاشية (٥) من هذه الدراسة.

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص٢٢، ١٢٧ .

(٢) المصدر نفسه، ص١١٥، ١٢٢، ١٢٧.

(٣) التهامي، نظم وإدارة بني أمية، ص٣٩٥ .

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص٢٢، ٢٥، ٣٠، ٤٧، ٧٨ .

(٥) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٤٧ .

(٦) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص١٩٦، ١٩٨، ٢١٠، ٢٣٠ .

(٧) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص١٠٦، ١٧٠ .

...اء تواجدها في قرطبة، حيث يتولى الإشراف على تهيئة أماكن استقبالهم، وتضييفهم، ومرافقة الضيوف من وإلى القصر[1].

ومن الوزراء الذين تولوا هذه المهمة، وزير الحشم محمد بن القاسم بن طملس (ت٣٦٢هـ/٩٧٢م) الذي رافق الوفود القادمة إلى قرطبة، حيث أتى محمد ابن القاسم بن طملس بالملك أردون (Ordono) وأصحابه، مخترقاً صفوف الترتيب من الجند «ودخل الملك أردون(Ordono) وحده راكباً مع محمد بن قاسم ابن طلمس، فأنزله في بهو الأوسط من القصر وانصرف معه إلى قصر الرصافة مكان تضييفه، وقد أعد له فيها كل ما يصلح لمثله من «الآلة والفرش والماعون»[2].

أما خطة المظالم، فكانت تتبع إلى خطة العرض[3]، وفي سنة (٣٢٥هـ/٩٣٦م) فصل الخليفة الناصر بين الخطتين، وجعل خطة المظالم خطة قائمة بذاتها، وأجرى لصاحبها رزقاً خاصاً بها، وأول من ارتزق بهذه الخطة محمد بن قاسم بن طلمس[4].

ومن الوزراء الذين نظروا في هذه الخطة الوزير أحمد بن محمد بن حدير، والوزير عبد الله بن جهور، والوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد سنة ٣٢٨هـ/، وكان هؤلاء ولاتها في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر[5].

وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر تقلدها الوزير عبد الرحمن بن موسى ابن حدير الذي تولى الشكاوى المقدمة ضد والي إشبيلية لينتصف للمتظلمين من أهل المدينة[6]، ومن ولاتها أيضاً الوزير أحمد بن محمد حدير[7].

وفي عهد الحاجب المنصور، تولى هذه الخطة الوزير أحمد بن سعيد بن حزم، وكان الحاجب المنصور يشرف في بعض الأوقات على هذه الخطة، ويحضر

---

(١) المقري، نفح، م١، ص٣٨٩ .

(٢) المصدر نفسه، م١، ص٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٣ .

(٣) خطة العرض: هي خطة ليست مرتبة عالية جداً، يتولى صاحبها مهمة مراقبة عتاد الجنود، التهامي، نظم وإدارة بني أمية، ص٤٠٦ .

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٤٨٦ .

(٥) المصدر نفسه، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٤١٦، ٤٨٦ .

(٦) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٨٦ .

(٧) الطاهري، دراسات، ص١١٢ .

مجلس العامة، ويضع قراراته وتوقيعاته على بعض الرقاع[1]، وتقلدها أيضاً الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس في عهده[2].

وينظر الوزير أحياناً في خطتي الوزارة والشرطة، وكان الناصر قد استحدث الشرطة الوسطى سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م، فأصبح في الأندلس ثلاث خطط هي الشرطة العليا، والشرطة الوسطى، والشرطة الصغرى[3]، ويرشح صاحب الشرطة إلى خطة الوزارة ، ومن الوزراء الذين تولونها في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، أحمد بن شهيد سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م[4]، والوزير أبو بكر الزبيدي[5] وأبو المطرف عبد الرحمن بن فطيس في عهد الحاجب المنصور[6].

وتولى بعض الوزراء خطة المواريث إضافة إلى الوزارة وصاحب المواريث كان يقوم بتوزيع الخلع والصلات، وقد تولى هذه الخطة مؤقتاً جعفر المصحفي، وكذلك محمد بن أبي عامر الذي كلف بنقل الخلع والصلات إلى زعماء البربر الموالين للخلافة الأموية[7].

وأشار ابن حيان إلى أن صاحب المواريث جعفر المصحفي قام بتوزيع الخلع والصلات على زعماء قبائل كتامة وعقد إلى أبي العيش بن أيوب أن يكون زعيم قبائل كتامة، وأصدر المصحفي صاحب المواريث سجلاً بهذا المضمار، حدد فيه واجبات هذا الرئيس خاصة في الجباية، كما أصدر سجلات مماثلة لبقية زعماء القبائل البربرية الأخرى[8].

وكان الخليفة يوجه كتاباً للوزراء من أجل حضورهم توزيع الصلات والعطايا على الرسل والوفود ومستحقيها، وغالباً ما تتم عملية التوزيع والتكريم في دار الوزراء[9].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٣، ص٣٢٨-٣٢٩ .

(٢) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص٢١٦ .

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شماليتا، ص٤٨٦ .

(٤) المصدر نفسه، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٢٥٢ .

(٥) المراكشي، المعجب، ص٧٥ .

(٦) ابن سعيد، المغرب، ق٢، ص٢١٦ .

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص١١١-١١٢ .

(٨) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص: ١١١-١١٥ .

(٩) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص.١١ .

وتثبت توقيعات الوزراء على الكتب الصادرة من قبل الخليفة مثل توقيعهم على الوثائق المتعلقة بعتق ما يقارب مائة رقبة من العبيد الذين كانوا ملكاً للخليفة الحكم المستنصر[1]، وكذلك توقيعهم على مرسوم منح القائد غالب لقب القيادة العليا[2].

وقد خصص لبعض الوزراء خاتم خاص يثبتون من خلاله توقيعاتهم على الرقاع الصادرة منهم، مثل : الوزير عيسى بن سعيد القطاع[3].

وتولى بعض الوزراء الوزارة مجموعة له مع ولاية بعض الكور والأقاليم والمدن، ومن هؤلاء الوزراء محمد بن هاشم التجيبي صاحب سرقسطة[4]، وتقلد الوزير يحيى بن إسحاق ولاية بطليوس، وتولى الوزارة وولاية طليطلة الوزير عبد الله بن عبد العزيز الأموي[5].

ويشارك الوزراء في أخذ البيعة للخليفة أو ولي العهد، وقام الوزير عيسى بن فطيس بأخذ البيعة على الناس في حضور جميع الوزراء وأهل الخدمة[6]، للخليفة الحكم المستنصر[7]، كما شاركوا في أخذ البيعة للخليفة المهدي سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م[8]، والمستظهر سنة ٤١٤هـ[9]، وأخذ الوزير جهور بن محمد البيعة سنة ٣١٨هـ للخليفة المعتد بالله[10].

وقد جمع بعض القضاة بين الوزارة ومنصب قاضي القضاة، وقد تولى المنصبين معاً قاضي القضاة ابن ذكوان، وصدرت الكتب من «قاضي القضاة الوزير» وكان قد تقلدها في عهد الحاجب شنجول [11].

---

(١) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٢٠٦ .

(٢) المصدر نفسه، تحقيق الحجي، ص٦٩ .

(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٣٢ .

(٤) المصدر نفسه، تحقيق شماليتا، جـ٥، ص٤٨٠، ٤٨١-٤٨٢، ٤٩٠ .

(٥) ابن الأبار، الحلة، جـ١، ص٢١٦؛ انظر : سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص٣٨٣ .

(٦) ابن حزم، نقط العروس، ص١٠٧ .

(٧) المقري، نفح، م١، ص٣٨٧ .

(٨) زكي، ابن شهيد، ص٣٨ .

(٩) الذهبي، سير، جـ١٧، ص١٢٨؛ زكي، ابن شهيد، ص٣٨ .

(١٠) المقري، نفح، م١، ص٤٨٣ .

(١١) ابن سعيد، المغرب، ق٢، ص٢١٥؛ النباهي، المرقبة العليا، ص٨٤-٨٥ .

الفصل الرابع

مكانة الوزراء الاجتماعية وأثرهم في الحياة الاقتصادية والعمرانية والعلمية والثقافية

مكانة الوزراء الاجتماعية:

تولى الوزارة في الأندلس عناصر مختلفة من العرب والبربر. إذ تأثرت البيوتات الأندلسية بتقسيم القبائل العربية التي استقرت في الأندلس إلى قبائل عربية بلدية وأخرى عربية شامية. وتعصبت كل من هذه القبائل لنفسها واعتبرت أن خطة الوزارة يجب أن تبقى محصورة فيها، واستمرت مثل هذه العصبية في عصر الخلافة. وذكرت دراسة حديثة أن القبائل العربية وصلت إلى درجة من الضعف والتدهور في عصر الخلافة[1]، فقد قتل بمؤامرة الحاجب المنصور القحطاني[2] الوزير جعفر بن علي بن حمدون من عرب جذام، وكان المتآمرون مع المنصور الوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود، وابن جهور، وابن ذي النون وهم من البربر[3]، للتخلص من الوزير ابن حمدون. وفي رواية أخرى قام بمهمة قتل ابن حمدون الوزير أبو الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبي، وهو من عرب تجيب[4]. وكان اعتماد المنصور على قبائل البربر لتقوية ساعده بها، حتى عمد إلى إضعاف العناصر العربية خوفاً من اجتماعها على إسقاطه من منصبه، فقدم بذلك رجال البربر على حساب الزعامات العربية[5]، وفي أواخر عصر الخلافة انحدر مركز الوزارة إذ تولاه عناصر رديئة النسب والمركز[6].

وبلغ الوزراء في الأندلس مكانةً من الثراء والرفاه الاجتماعي، فالهدايا الكبيرة التي قدمها بعض الوزراء إلى الخلفاء والحجاب في الأندلس، دليلٌ على التقدم والازدهار الاقتصادي في الأندلس خلال حقبة عصر الخلافة، فقد وصفت بعض المصادر الهدية القيّمة التي أهداها الوزير أحمد بن شهيد للخليفة

(١) أبو ضيف، القبائل العربية، ص٢٧٢.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٣) المقري، نفح، م١، ص٣٩٧.

(٤) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٩.

(٥) المصدر نفسه، جـ٢، ص٢٧٤.

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٥٢٤-٥٢٥.

ـبدالرحمن الناصر، وتكونت الهدية من خمسمائة ألف مثقال من الذهب، وأربعمائة رطل من التبر، وخمسة وأربعين ألفاً من سبائك الفضة، إضافة إلى المسك والعنبر والغالية والكافور والملابس المتنوعة الأقمشة من الحرير المرقوم بالذهب المخصص لملابس الخلفاء، ومن الفراء والمطارف[1] والملاحف[2]، والأسلحة المتنوعة كالتروس والتجافيف[3]، والخيول والبغال، والجواري والغلمان والأخشاب والقرى الزراعية، وللبناء أهدى إليه الصخور بقيمة ثمانين ألف دينار[4]. وأهدى إليه ابن شهيد في مرات أخرى الجواري والغلمان[5]

ومن هذه الهدايا يتضح أنها تقدم إلى من هو أعلى منصباً من الوزير، ربما ليحظى الوزير بمركز مرموق أو لتحقيق هدف ما يسعى إليه المهداة منه، فقد أهدى الوزير زيري بن عطية هدية قيّمة إلى الحاجب المنصور سنة ٣٨١هـ/٩٩١م، تكونت من الخيول العتيقة والجمال المخصصة للسباق وأنواع من الأسلحة كالدرق والقسي، وأنواع من الوحوش الصحراوية، وأصناف من الثياب الصوفية الرقيقة، وفي سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م، زار زيري بن عطية الأندلس وأحضر معه للمنصور هدية[6].

وفي الوقت نفسه أهدى الحجاب إلى الوزراء هدايا قيّمة، فمثلاً أهدى المنصور إلى وزيره أبي مروان بن شهيد عدداً من الجواري[7]، كما أهدى إليه في مناسبة أخرى محفة من الخيزران ليُحمل فيها، لأن الوزير كان يعاني من مرض

---

(١) المطارف: ملابس للنساء، ابن سيده، المخصص، م١، ص٦٨.

(٢) الملاحف: هي الملاءة التي توضع فوق سائر اللباس، المصدر نفسه، م١، ص٧٦.

(٣) التجافيف: لباس الخيل في القتال يتكون من الحديد يعمل عمل الدرع للوقاية، المصدر نفسه، م٢، ص١٨٩.

(٤) ابن خلدون، تاريخ، جـ٤، ص١٣٨؛ المقري، نفح، م١، ص٣٥٩-٣٦٠.

(٥) ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص١٢٩؛ ابن سعيد، المرقصات المطربات، ص٧٨؛ المقري، نفح، م١، ص ٣٦١.

(٦) تكونت الهدية من دابة من دواب المسك، ومهاة ، وأسدين عظيمين في قفصين من حديد، وتمر غريب الحجم، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٠٤.

(٧) المصدر نفسه، ص١٠٤.

النقرس[1].

وفي عهد الحاجب المنصور ارتقت مكانة الوزراء وأغدقت عليهم الأموال، إذ وزع عليهم الإقطاعات والأراضي قرب مدينة الزاهرة[2]. وامتلك الوزراء الأموال الطائلة، فقد ذكر أن محمد بن أبي عامر عندما كان صاحب السكة، أصيبت الخزينة في عهده بالعجز المالي، وحتى لا ينكشف أمره أمام الخليفة الحكم المستنصر، استلف أموالاً كثيرة من الوزير محمد بن حدير حتى غطى النقص وأثبت ابن أبي عامر براءته[3]. واتصف الوزير صاحب المدينة عبد الله ابن محمد المورووري الحضرمي بالثراء، وترك أموالاً كثيرة حازها محمد بن أبي عامر سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م[4]. واغتنى الوزير عيسى بن سعيد القطاع بعد وفاة الحاجب المنصور، إذ اكتسب الأموال وامتلك الضياع والدور الكثيرة[5].

وعاش بعض الوزراء جنباً إلى جنب في قصر الخليفة، واختلطوا معاً مع أفراد أسرهم، مثل وزير الخليفة المعتد بالله الحكم القزاز[6]، وكذلك عاش الوزير أبو عامر بن شهيد في طفولته بقصر الحاجب المنصور[7].

وارتبط الوزراء بروابط المصاهرة مع أسر الحجاب والوزراء، ومن فئات اجتماعية أخرى عربية وأجنبية. فقد تزوج الوزير هاشم بن عبد العزيز من ابنة المطرب زرياب، واسمها حمدونة، وهي مغنية أيضاً[8]. وتزوج الوزير تمام بن عامر بن علقمة من فتاة إسبانية من القوط سميت بأم الوليد،[9]، وتزوج الوزير محمد بن أبي عامر من أسماء ابنة الوزير غالب الناصري، واستمر زواجهم

---

(١) عباس، عصر سيادة قرطبة، ص٢٧١.
(٢) ابن خاقان، مطمح، ص٢٩٢.
(٣) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٥٢.
(٤) عياض، ترتيب المدارك، جـ٢، ص٦٨٩.
(٥) ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص١٢٣-١٢٤.
(٦) المصدر نفسه، ق٣، م١، ص٥٢٤-٥٢٥ .
(٧) ابن شهيد، ديوان، ص١٢.
(٨) سالم، قرطبة، جـ٢، ص١٢.
(٩) دويدار، المجتمع، ص٧١-٧٢.

مدى الحياة[1].

كما تزوج أبو عامر عبد الملك ابن الوزير عيسى بن سعيد القطاع من حبيبة وهي أخت الحاجب المظفر، وكان الوزير عيسى بن سعيد قد ارتبط بعلاقات المصاهرة مع كثير من أسر الوزراء كبني حدير وبني فطيس، فأخذت أمور هذا الوزير في الجلالة، وأصبح حديث الناس[2].

ونالت المرأة نصيباً أدبياً في كتابات وأشعار الوزراء، وساهم هؤلاء الوزراء في وضع أشعار لهواة الغناء، وقد تعرضت بعض الجواري للقتل بسبب أبيات أنشدنها لبعض الوزراء[3].

وقد عاش الكثير من الوزراء في عصر الخلافة حياة فارهة، فامتلكوا القصور ذات الأثاث والفرش والجواري والغلمان الذين يقومون على خدمتهم، فذكر ابن حزم أنه تلقى علومه في الصغر على أيادي الجواري، واطّلع بسبب ذلك على الكثير من أسرارهن[4]، كما أشار ابن حزم إلى قصره الواقع شرق قرطبة[5]، فيصف أجنحته وحدائقه وجواريه وأنه تلقى العلم وسهر الليل على قناديل من الذهب[6].

ووصف بيت الوزير أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس بأن مجلسه غريب الصنع، جميل الأثاث، لبست جدران منزله وأبوابه وسقفه وفراشه باللون الأخضر، ويقع في داخل منزله مكتبٌ خاصٌ بالوزير لحفظ

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص١٢٤؛ انظر: عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٢٩.

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٢٨.

(٣) ابن حزم، طوق الحمامة، ص٧٩؛ ابن ظافر، بدائع البدائه، ص٣٥٧؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص١٧٨.

(٤) طوق الحمامة، ص٧٩؛ قلائد الذهب، جـ١، ص٨ (مقدمة المحقق).

(٥) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة السلام العلمية، ٢ج، جـ١، ص٣ (مقدمة المحقق). وسيشار إليه تالياً: ابن حزم، الفصل؛ انظر: عبد الرحمن الشرقاوي، أئمة الفقه التسعة، ط٣، دار اقرأ، بيروت، الرملة البيضاء، ١٩٨٦، ص٢٣٠. وسيشار إليه تالياً: الشرقاوي، أئمة الفقه.

(٦) عبد المعطي، ابن حزم، ص١٠.

دواوين كتبه وفيه يقضي وقت فراغه[1].

وتتم لقاءات الوزراء فيما بينهم أو مع الحجاب وكبار الموظفين في مجالس الشراب أو في منازلهم، ويشاركون في حضور المناسبات الاجتماعية كالزواج، إذ تقام الولائم لذلك[2]، وغالباً ما كانت تستغل مجالس الشراب في التخلص من بعض الوزراء كجعفر الأندلسي الذي شرب حتى ثمل، ثم قتل بعد خروجه من المجلس من قبل رجال المنصور، كما قتل الوزير عيسى بن سعيد القطاع أمام الحضور في مجلس الشراب[3].

وشارك الوزراء في أعمال البر والتقوى، فتذكر بعض المصادر أن الوزير أبا عامر بن شهيد، كان يتصدق بأمواله وينفق منها في سبيل الله على الفقراء والمحتاجين وأهل السبيل، ويوفر لهم المساكن بكافة تجهيزاتها من أثاث وملابس للنساء والأطفال، وغذاء[4]. وكان هذا الوزير تقياً ورعاً، أوصى وهو على فراش الموت أن يوضع عليه التراب دون لبن أو خشب[5]، وكان الوزير عبيد الله بن يحيى بن إدريس (ت ٣٥٢هـ/٩٦٣م) متواضعاً، بقي يؤذن في مسجده وهو وزير[6].

ولم تحدد المصادر بصورة تفصيلية نوع الملابس الخاصة بالوزراء، ولكن يبدو أن لهم زياً خاصاً، إذ يتضح ذلك مما جاء في أحد النصوص، أن الوزير عبد الرحمن بن فطيس عندما عزل من الوزارة «ترك زي الوزراء»[7] الذي تمثل أحد مكوناته القلانس المرقشة التي أجبروا على نزعها، واستبدالها بالعمائم المغربية وذلك في عهد الحاجب شنجول[8].

(١) النباهي، المرقبة العليا، ص٨٨.

(٢) الضبي، بغية الملتمس، ص٥٢٢.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص١٢٤، ١٢٧.

(٤) أبو الخطاب عمر بن حسن بن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٤، ص١٥٨-١٥٩. وسيشار إليه تالياً: ابن دحية، المطرب.

(٥) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٢١٢.

(٦) ابن حزم، نقط العروس، ص١٠٧.

(٧) الذهبي، سير، جـ١٧، ص٢١٢.

(٨) مليحة رحمة الله، الحياة الاجتماعية، ص١١٥-١١٦.

أثر الوزراء في الحياة الاقتصادية:

تولى بعض الوزراء في الأندلس مهمة الإشراف على الشؤون المالية ومراقبة الموظفين ومحاسبتهم، ومتابعة نفقات الدولة والخراج، والسكة، وكان يطبع على السكة اسم الوزير صاحب السكة، وترفع تقارير تتناول الشؤون المالية إلى الحاجب والخليفة[1].

وتتجلى أهمية الوزراء في الحياة الاقتصادية بضرورة اتخاذ الحاجب المنصور موافقتهم في نقل الأموال من قصر الخليفة إلى قصر الحاجب مباشرة في الزاهرة، وقد اتخذت عملية النقل بهذه الموافقة الصفة الشرعية[2].

وقد أشارت بعض المصادر إلى أن راتب الوزير بلغ في عصر الإمارة خمسمائة دينار[3]، ومنها من أشار إلى أنه بلغ ثلاثمائه دينار[4]، وفي عصر الخلافة أصبح راتب الوزير يحدد له حسب ترتيب الوزير بين الوزراء، فكان الوزير العادي يصل راتبه إلى أربعين ديناراً شهرياً[5]، في حين تضاعف راتب الوزير الملقب بذي الوزارتين ليصل إلى ثمانين ديناراً في الشهر، وهو راتب الحجابة[6]، كما لم تشر النصوص إلى مبلغ الأرتزاق الذي حدده الحاجب المنصور للوزير ابن عطية سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م وهي جراية سنوية[7].

ويتم تسجيل أسماء الوزراء عادة حسب مراتبهم في ديوان أو سجل الارتزاق، ويتقاضون راتباً من الدولة، وصل إلى أربعين ديناراً ذهبياً في الشهر خلال عصر الخلافة، ويتضاعف هذا المبلغ في حالة الحصول على لقب ذي

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٧٢.
(٢) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٧١-٧٤ .
(٣) ابن الأبار، الحلة، جـ٢، ص٣٦٥ .
(٤) العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص١٤٢؛ العميان، الخراج، ص٧٠ .
(٥) المقري، أزهار الرياض، جـ٢، ص٢٦٢ .
(٦) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٦٧ .
(٧) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٠٤-١٠٥ .

الوزارتين[1].

وتعرضت أموال بعض الوزراء الذين يتم اعتقالهم أو قتلهم إلى المصادرة، وقد تعاد هذه الأموال المصادرة إلى الوزير في حالة عفو الخليفة عنه وإطلاق سراحه، فقد صادر الحكم المستنصر أموال وزراء الخليفة الناصر بما قدر بعشرين ألف ألف دينار[2]، وصادر الحاجب المنصور أموال الوزير عبد الملك بن إدريس الجزيري، ثم أعادها بعد أن عفا عنه[3]

وفي أواخر عصر الخلافة تشدد الوزراء في مصادرة الأموال، فقد فرض الوزير القزاز الضرائب على كبار التجار، وصادر أموالهم وأموال الوزراء[4]. كما فرض الوزير المورروري الضرائب وصادر أموال الناس[5].

ويبدو دور الوزراء في دعم خزينة الدولة من خلال الهدايا التي قدمها بعض الوزراء إلى الخليفة والحاجب، والتي احتوت مواد مختلفة كالأسلحة والرقيق ومواد البناء والملابس والخيول[6].

---

(١) المقري، نفح، م١، ص٢٥٦.

(٢) العميان، الخراج، ص٤٠.

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٤٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل، جـ٨، ص١٠٦-١٠٧.

(٥) عياض، ترتيب المدارك، جـ١، ص٦٨٩.

(٦) المقري، نفح، م١، ص٣٥٨-٣٦٢.

أثر الوزراء في الحياة العمرانية :

أشارت المصادر بصورة مقتضبة إلى إسهامات الوزراء في هذا المضمار، فذكر بعضها أن دُور الوزراء بلغت في عهد الحاجب المنصور ستين ألف دار، ارتكزت قرب الزاهرة[1]، وقد امتلك الوزراء القصور والفنادق[2]، في شرق وغرب قرطبة[3].

وكان الوزير محمد بن إلياس قد بنى مدينة سكتان في قاصية الجوف، وشحنها بالأطعمة والأسلحة[4].

ويشير نص الكتابة الموجودة على لوح حجري مثبت في أعلى الجانب الأيمن من باب جامع قرطبة الرئيسي المسمى باب النخيل، والذي يحمل أمر عبدالرحمن الناصر بتوسيع جامع قرطبة وتجميله، والذي نفذ على يد وزيره عبدالله بن بدر إلى دور الوزراء في العمارة ويتضمن النص:

«بسم الله الرحمن الرحيم. أمر عبدالله عبد الرحمن أمير المؤمنين الناصر لدين الله، أطال الله بقاءه، ببنيان هذا الوجه، وإحكام إتقانه تعظيماً لشعائر الله، ومحافظة على حرمة بيوته التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها أسمه، ولما دعاه على ذلك من تقبل عظيم الأجر وجزيل الذخر، مع بقاء شرف الأثر وحسن الذكر. فتم ذلك بعون الله في شهر ذي الحجة سنة ست وأربعين وثلث مائة على يد مولاه ووزيره وصاحب مبانيه عبدالله بن بدر. عمل سعيد بن ايوب[5] ».

(١) المقري، نفح، م١، ص٥٤١ .

(٢) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٢٧٥، ٢٧٦.

(٣) ابن حزم، طوق الحمامة، ص٧٩.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، جـ٥، ص٤٦٥.

(٥) عنان، دولة الإسلام ، ق٢، ص ٤٤٥-٤٤٦.

الوزراء في الحياة العلمية والثقافية:

برع الكثير من وزراء الأندلس أثناء عصر الخلافة في الآداب والعلوم بشتى أنواعها، وذلك من خلال مساهماتهم في حركة التأليف في حقول علمية كالعلوم الدينية والطب والفلسفة والتاريخ والأدب، كما سنوضح فيما بعد، إضافة إلى مشاركة هؤلاء الوزراء في المجالس الأدبية التي يعقدها الخلفاء والحجاب والوزراء فيما بينهم وفي المساجد ودور العلم. وكانت تلقى المحاضرات الدينية والأدبية من قبل بعض الوزراء كل حسب مجاله. وارتقت الحركة العلمية بسبب اللقاءات الأدبية وتبادل الرسائل والشعر بين الوزراء والخلفاء أو بين الوزراء والحجاب، أو بين الوزراء أنفسهم، وبين الوزراء والعلماء والأدباء، وهذه جميعها كان لها دورٌ في إثراء الحركة الفكرية في الأندلس. ويبدو أثر البيئة الأندلسية في الأدب شعراً ونثراً.

وازدهرت العلوم الدينية في الأندلس خلال عصر الخلافة لأسباب كثيرة منها مساهمة العديد من الوزراء في هذا الازدهار، فكان منهم علماء برعوا في عدة حقول علمية، فممن اشتهر في الفقه الوزير الفقيه عبد الرحمن بن محمد ابن فطيس (ت٤٠٢هـ/١٠١١م) الذي عُدَّ من كبار العلماء والمحدثين والمسندين، كان واسع الرواية والحفظ، يملي الحديث في المسجد والناس يكتبون عنه[1].

وقد روى عن الوزير ابن فطيس جملة من العلماء مثل: أبي عمر بن عبد البر، وأبي عبد الله بن عابد، والصاحبين[2] أبي إسحاق الطليطلي، وأبي جعفر ابن ميمون[3]، وروى ابن فطيس عن جملة من العلماء[4].

---

(١) ابن بشكوال، الصلة، جـ٢، ص٤٦٧.

(٢) المصدر نفسه، جـ٢، ص٤٦٨؛ شمس الدين محمد بن علي الداوودي، طبقات المفسرين، ٢ج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٣، جـ١، ص٢٩٢. وسيشار إليه تالياً: الداوودي، طبقات المفسرين.

(٣) الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، د.ت، جـ٣، ص١٦١. وسيشار إليه تالياً: الذهبي، تذكرة الحفاظ.

(٤) ابن بشكوال، الصلة، جـ٢، ص٤٦٦-٤٦٨؛ الذهبي، العبر، جـ٢، ص٢٠١.

وبرع الوزير ابن فطيس المذكور في تأليف الكتب الفقهية والدينية، ومنها كتاب «القصص والأسباب التي نزل من أجلها القرآن» وكتاب «المصابيح في فضائل الصحابة» في مائة جزء، وكتاب «فضائل التابعين لهم بإحسان» في مائة جزء، وكتاب «الناسخ والمنسوخ» في ثلاثين جزءاً، وكتاب « الإخوة من المحدثين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين» في أربعين جزءاً، وكتاب «أعلام النبوة ودلالات الرسالة» في عشرة أجزاء، وكتاب « كرامات الصالحين ومعجزاتهم» في ثلاثين جزءاً، وكتاب «مسند حديث محمد بن فطيس»، وكتاب «الإجازة والمناولة»[1].

وكان ابن فطيس شغوفاً بجمع الكتب إذ عين له ستة وراقين يقومون بمهمة نسخ الكتب التي يتعذر عليه الحصول عليها، وقد حدد راتباً لكل من هؤلاء الوراقين[2]، قد أشارت بعض المصادر إلى أن كتبه تم بيعها أثناء الفتنة البربرية بمبلغ أربعين ألف دينار[3].

وألف الوزير أحمد بن برد الأكبر مؤلفين في تفسير القرآن الكريم هما: كتاب «التحصيل في تفسير القرآن» و«التفصيل في تفسيره»[4].

أما الوزير الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، فقد عرف بالذكاء والحفظ، وسعة المعرفة في العلوم، وكان مالكي المذهب وقرأ الموطأ، ثم درس المذهب الشافعي، وتعصب له، ثم انتقل إلى المذهب الظاهري وهو مذهب داوود بن علي بن خلف الاصبهاني (٢٠٢-٢٧٠هـ/٨١٧-٨٨٣م) وقد عمل ابن حزم على تنقيح مذهب داوود، وجادل عنه جدالاً، ووضع المؤلفات لتفسيره وتبسيطه، ثم

---

(١) ابن بشكوال، الصلة، جـ٢، ص٤٦٨-٤٦٩؛ الذهبي، سير، جـ١٧، ص٢١١-٢١٢؛ الداوودي، طبقات المفسرين، جـ١، ص٢٩٢-٢٩٣؛ الصفدي، الوافي، جـ١٨، ص٢٥٦-٢٥٧؛ الزركلي، أعلام، جـ٢، ص٢٢٥ .

(٢) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص١٥٠؛ ابن مخلوف، شجرة النور، ص١٠٢ .

(٣) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص١٥٠؛ الذهبي، العبر، جـ٢، ص٢٠١ .

(٤) الداوودي، طبقات المفسرين، جـ١، ص٦٨؛ السيوطي، بغية الوعاة، م١، ص٢١؛ إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين آثار المصنفين من كشف الظنون، ٦م، دار الفكر، ١٩٨٢، م٥، ص٥١٥. وسيشار إليه تالياً : إسماعيل باشا، هدية العارفين .

اتخذ ابن حزم لنفسه مذهباً خاصاً، وأقوالاً انفرد بها[1].

عُرف ابن حزم بالجدل والمناظرة له مؤلفات كثيرة في الحديث والفقه، منها «أبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل»، و«الاجماع ومسائله على أبواب الفقه»، و«الأحكام في أصول الأحكام»، و«الأخلاق والسير في مداواة النفوس»، و«أسماء الصحابة والرواة»، و«أسماء الله تعالى»، و«أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم عن مراتبهم في كثرة الفتيا»، و«إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والانجيل وبيان تناقص ما بأيديهم منها مما لا يحتمل التأويل»، و«الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها»، و«الإمامة والمفاضلة»، و«الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة لحمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع»[2]، و«التلخيص والتخليص في المسائل النظرية وفروعها»، و«الجامع في صحيح الحديث باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحها واجتلاب أكمل ألفاظها وأصح معانيها»، و«جمل فتوح الإسلام بعد رسول الله»، و«جوامع السيرة»، و«حجة الوداع»، و«شرح أحاديث الموطأ»، و«الصادع والرادع على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين والرد من قال بالتقليد»، و«الفصل في الملل والأهواء والنحل»، و«كتاب القراءات المشهورة في الأمصار»، و«كتاب فيما خالف فيه أبو حنيفة ومالك والشافعي جمهور العلماء أثناء الكلام على الفرائض»، و«كشف الالتباس ما بين الظاهرية وأصحاب القياس»، و«المحلى»، و«المحلى بالآثار»، و«مداواة النفوس في تهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل»، و«مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات»، و«مسائل أصول الفقه»، و«معرفة الناسخ والمنسوخ»، و«منتقى الاجماع وبيانه من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف»، و«النصائح المنجية من الفضائح المخزية والقبائح المردية من أقوال

---

(١) ابن حزم، قلائد الذهب، جـ١، ص٩ (مقدمة المحقق).

(٢) المصدر نفسه، جـ١، ص١١-١٤؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٨-١٢ .

أهل البدع المعتزلة والخوارج والمرجئة والشيع»، و«نكت الإسلام»[1].

ومن وزراء الأندلس المجيدين في الشعر الشاعر أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري كاتب الحاجب المنصور، ثم ابنه المظفر، وقد وصف الجزيري بكثرة الشعر والبلاغة وغزارة المادة[2]، وانفرد بالنظم والنثر وقد شبهه ابن بسام «بمحمد بن عبد الملك الزيات أدباً وذكاءاً مع عقربية الطبع وكثرة الضر...»[3].

وقال عنه ابن خاقان «أنه علم من أعلام الزمان وعين من أعيان البيان، باهر الفصاحة تولى التحبير أيام المنصور والإنشاء»[4]، وكتب وصفاً لغزوة شنت ياقب سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م، لكن لم يعثر لها على أثر[5].

ومن شعره في مدح الحاجب المنصور :

أرى بدر السماء يلوح حينا	فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذلك أنه لما تبدّى	وأبصر وجهك استحيا وغابا[6]

وبلغت مكانة الجزيري عند المنصور، أن قال فيه الحاجب «لله درك يا أبا مروان! قسناك بأهل بغداد ففضلتهم فبمن تقاس بعد، وانهضه يومئذ للشرطة»[7]، ولكن الحاجب المنصور غضب عليه وسجنه، فأرسل الجزيري إليه قصيدة، قال في بعضها :

عجبت من عفو أبي عامر	لابد أن تتبعه منه
كذلك الله إذا ما عفا	عن عبده أدخله الجنة

---

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص١١٤٦-١١٤٧؛ المقري، نفح، م٢، ص٧٩؛ ابن حزم، قلائد الذهب، جـ١، ص١١-١٤ .

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٢٦١-٢٦٢ .

(٣) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص ٤٦، ٥٢، ٦٨؛ انظر: ابن سعيد، رايات المبرزين، ص٢٣٠ .

(٤) ابن خاقان، مطمح، ص١٧٧ .

(٥) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص ١٧٩ .

(٦) المصدر نفسه، ق٢، ص٤٤٥؛ ابن خاقان، مطمح، ص١٨٠؛ ابن سعيد، المغرب، ق١، ص ٣٢٢ .

(٧) ابن سعيد، المغرب، ق١، ص ٣٢٢ .

فسر المنصور بشعره، فعفا عنه، ورد إليه ما صادر من ماله[١].

كما كان الجزيري يخاطب المنصور ويقول له الشعر حسب أسماء الأزهار التي توافق أسماء كرائم المنصور وهن بهار العامرية، ونرجس العامرية، وبنفسج العامرية[٢].

وتولى الجزيري الوزارة في عهد الحاجب المظفر، إلا أنه اتهم بالخيانة والتآمر على الحاجب المظفر، فقبض عليه وقتل سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٤م[٣].

وألف الوزير حسان بن مالك كتاباً للحاجب المنصور احتوى على ثلاثمائة بيت من الشعر [٤]، ومن شعره الذي أرسله للخليفة المستظهر :

إذا غبت لم أحضر وإذا جئت لم أسل

فسيان مني مشهد ومغيب[٥]

وألف الوزير أحمد بن برد الأكبر (ت ٤١٨هـ/١٠٢٧م) كتاب «سر الأدب وسبك الذهب» وافتخر في كتابه هذا بنسبه وأن آل برد هم جمهور كتابه ومحور خطابه[٦]، كما كان ابن برد شاعراً وكاتباً من كتاب الإنشاء للحاجب المنصور وأولاده المظفر وشنجول[٧].

أما الوزير أبوعامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد فهو من أشهر أدباء وبلغاء الأندلس، وقد ذكره ابن حزم في رسائله مفتخراً به إذ قال عنه «وله من التصرف في وجوه البلاغة، مقدار ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو وسهل»[٨]، وعده العماد الأصفهاني حامل لواء الشعر والكتابة في عصره، وله

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٤٧؛ ابن سعيد، رايات المبرزين، ص٢٠ .

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٤٧-٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ق٤، م١، ص٥٠-٥٢؛ ابن خاقان، مطمح، ص١٧٧؛ ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص٢٦ .

(٤) ابن خاقان، مطمح، ص٢١٢ .

(٥) المقري، نفح، م١، ص٤٣٦ .

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٤٨٦-٤٨٧ .

(٧) المصدر نفسه، ق١، م١، ص٤٨٧؛ ابن سعيد، المرقصات المطربات، ص٧٨ .

(٨) عمرو وسهل : هما عمرو بن بحر الجاحظ، وسهل بن هارون. الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٢٠٩؛ ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، جـ٢، ص١٨٨، حاشية (٦) .

مؤلفات عدة منها «التوابع والزوابع» وهي رسالة في صفة البرد والنار والحطب والماء والثعلب والبعوض خاطب بها شعراء الجن[1]، وله كتاب «كشف الدك وإيضاح الشك»[2]، و«الاستيعاب في فروع المالكية»[3]، وقد شبه بعبد الحميد الكاتب والجاحظ لبلاغته ، ووصف نثره بالبراعة في الإنشاء إذ لا يطيل الكلام، سريع البديهة، حاضر الجواب خاصة في الهزل والنوادر[4].

واتصف شعر ابن شهيد بالفصاحة[5]، وقد قال من شدة المرض الذي ألم به في أواخر حياته :

أنوح على نفسي وأندب نبلها إذا أنا في الضراء أزمعت قتلها [6]

ورثا ابن شهيد قرطبة وبكاها، بعد أن دمرتها الفتنة :

دار، أقال الله عثرة أهلها فتبربروا وتغربوا وتمصروا

في كل ناحية فريق منهم متفطر لفراقها متحيـر[7]

وقد عكس شعر ابن شهيد الحالة السياسية السائدة، فعندما قبض عليه وسجن في معتقل علي بن حمود العلوي، شكا حاله وما لحقه من مهانة، وقال :

قريب بمحتل الهوان بعيد يجود ويشكو حزنه فيجيد[8]

وكانت منافسة تربط الوزير ابن شهيد بالوزير أبي القاسم الأفليلي، فقال الأول فيه نثراً «ليست مشيته مشية أديب، ولا جلسته جلسة عالم، ولا أنفه

---

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، جـ١، ص٣٩٢؛ ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص١٥٤ .

(٢) ابن دحية، المطرب، ص١٦٠؛ العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ٤ق، تحقيق عمر الدسوقي، دار نهضة مصر، الفجالة، ق٤، م٢، ص٦٣٥. وسيشار إليه تالياً : الأصفهاني، خريدة القصر؛ الصفدي، الوافي، جـ٧، ص١٤٤-١٤٥؛ عباس، عصر سيادة قرطبة، ص٣٤٠ .

(٣) إسماعيل باشا، هدية العارفين، م٥، ص٧٤ .

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص ١٨٥، ٤٨٦-٤٨٧ .

(٥) الثعالبي، يتيمة الدهر، جـ١، ص٣٩٤ .

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص ١٦٥ .

(٧) سالم، قرطبة، جـ٢، ص٨٤ .

(٨) ابن شهيد، التوابع والزوابع، ص٤ .

لا نغمته نغمة شاعر»[1]، وقد وصف ابن شهيد منذ نعومة أظفاره
جزة، فقد كتب وهو في الثانية عشر من العمر رسالة إلى الوزير
جزيري في معتقله، قال فيها :

ل للوزير الذي بانت فضائله وقام فينا مقام الغيث نائـله[2]

ألف الوزير أحمد بن محمد بن أحمد بن برد الأصغر (ت بعد ٤٤٠هـ)
ة في السيف والقلم والمفاخرة بينهما»، وهو أول من سبق القول في

أما الوزير ابن الافليلي إبراهيم بن محمد (ت٤٤١هـ/١٠٤٩م)، فكان حافظاً للشعر، وشرح ديوان المتنبي شرحاً جيداً [4]، وكذلك شعر أبي تمام حبيب الطائي[5]، وله اهتمام في الأدب إذ روى عن الزبيدي كتاب «النوادر» لأبي علي القالي[6].

وكان الوزير أبو المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن حزم من المتقدمين في الشعر والأدب والبلاغة، وهو من وزراء المستظهر[7]، وله رسائل ومطارحات شعرية مع ابن عمه أبي محمد علي بن أحمد بن حزم[8]، وتبين هذه المطارحات مدى التنافس بين الوزيرين ، وكان بينهما نزاع، فقد بعث أبو المغيرة برسالة إلى أبي محمد فأجابه الأخير سمعت وأطعت لقول الله تعالى و«أعرض عن الجاهلين»، وقال شعراً :

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص ١٢٣ .
(٢) ابن شهيد، ديوان، ص١٤-١٥ .
(٣) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص١٨٣؛ ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٥٢٣؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٦٤-١٦٥؛ الداوودي، طبقات المفسرين، جـ١، ص٦٨؛ السيوطي، طبقات المفسرين، بيروت، لبنان، د.ت، ص٢١. وسيشار إليه تالياً : السيوطي، طبقات المفسرين.
(٤) القفطي، إنباه الرواة، جـ١، ص٢١٨؛ اليماني، إشارة التعيين، ص١٦ .
(٥) القفطي، إنباه الرواة، جـ١، ص٢١٩ .
(٦) المصدر نفسه، جـ١، ص٢١٨ .
(٧) الحميدي، جذوة المقتبس، ق٢، ص ٤٦١؛ ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص١٣٢ .
(٨) ابن بسام، المصدر نفسه، ق١، م١، ص ١٣٣-١٤٢، ١٧٥-١٨٠ .

تتبع سواى أمرأ يبتغـي   سبابك أن هواك السباب

فإني أجبت طلاب السفاه   ونزهت عرض عما يعـاب[1]

وقال المغيرة أبياتاً من الشعر رداً عليه :

فعقت ولن تدر كيف الجواب   واخطأت حتى أتاك الصواب

وأجريت وحدك في حلبـــة   نات عنك فيها الجياد العراب[2]

وقال أبو محمد : .

كفاني بذكر الناس ومآثري   ومالك فيهم يا ابن عم ذاكـر[3]

وكان الوزير أبو المغيرة من ندماء الحاجب المنصور في منية السرور بالزاهرة، ومن شعره في إحدى المجالس :

وإذا ما الكرام هموا بشيء   خاطروا بالنفوس في الأخطار

وكان قد قال هذا رداً على نشيد للجارية أنس القلوب، التي وهبها المنصور لهذا الوزير، بعد أن صفح عنهما[4]، وقال الوزير أبو محمد بن حزم في أحد المجالس :

وددت بأن القلب شق بمدية   وأدخلت فيه ثم أطبق في صدري[5]

أما الوزير أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، فقد تفرغ للتأليف بعد اعتزاله الحياة السياسية وله مؤلفات أدبية منها : كتاب «طوق الحمامة في الإلفة والآلاف»، وبعكس الكتاب الحياة الاجتماعية الأندلسية وخاصة الطبقة العليا، وتضمن الكتاب الشعر والنثر[6].

وقال ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد في وصف قرطبة بعد خرابها وهو يبكي أطلالها نثراً، «وقد أمحت رسومها، وطمست أعلامها وصارت صحراء

(١) هلال، قرطبة، ص١٥٧ .

(٢) المرجع نفسه، ص١٥٨ .

(٣) زكي، مبارك، النثر العربي في القرن الرابع، ٢ج، دار الجيل، بيروت، ص٢٦٦. وسيشار إليه تالياً : مبارك، النثر الفني .

(٤) المرجع نفسه، ص١٦٠-١٦١ .

(٥) ابن حزم، طوق الحمامة، ص٦٣؛ انظر : مبارك، النثر الفني، ص٢٠٣ .

(٦) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص١٨٢؛ المراكشي، المعجب، ص٩٣ .

مجدبة، بعد العمران، وخرائب، ومأوى للحيوانات الضالة ...»[1].

وحقق الكثير من الوزراء الفوائد والغايات من أشعارهم وكتاباتهم عن طريق المدح، والتخلص من المعتقلات، والحصول على الهبات والصلات من الخلفاء والحجاب[2].

واهتم بعض الوزراء باقتناء الكتب والمكتبات وقد تعرض الكثير منها إلى الحرق والبيع والضياع[3]، مثل مكتبة الوزير عبد الرحمن بن فطيس، ومكتبة الوزير أبو محمد بن حزم الأندلس التي زادت مؤلفاته عن أربعمائة مجلد احتوت على ثمانين ألف ورقة. وقد أحرقت هذه الكتب علانية[4].

أما في الفلسفة فكان الوزير سعيد بن فتحون بن مكرم التجيبي، أبو عثمان السرقسطي المعروف بالحمار والذي كان إماماً في علم النحو واللغة، ولكن علم المنطق غلب عليه، فسجن ثم أطلق سراحه، فرحل إلى صقلية وتوفي فيها .

وله عدة مؤلفات منها : «رسالة في المدخل إلى علوم الفلسفة سماها (شجرة الحكمة)»، و«رسالة في تعديل العلوم، وكيف درجت إلى الوجود من انقسام الجوهر والعرض»[5].

ولقد أشاد بها ابن حزم في رسائله، وقال أنها دالة على تعمقه في هذا العلم[6]، كما ألف في العروض مختصراً ومطولاً ومقتضباً، وتحدث فيها عن الموسيقى، وكان متحققاً في علم الهندسة[7].

---

(١) ابن حزم، طوق الحمامة، ص١٢٦، ١٢٧ .

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٤٧ .

(٣) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص١٠٥؛ الصفدي، الوافي، جـ١٨، ص٢٥٦-٢٥٧ .

(٤) ابن بشكوال، الصلة، جـ٢، ص٦٠٥، ٤٦٧-٤٦٨؛ ابن حزم، قلائد الذهب، جـ١، ص٩-١٠، (مقدمة المحقق) .

(٥) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص١٦٨؛ الكتاني، التشبيهات، جـ٣، ص٣٠٤ .

(٦) ابن حزم، رسالة في فضل أهل الأندلس، جـ٢، ص١٨٥ .

(٧) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص١٦٨ .

ووضع الوزير إبراهيم بن الأفليلي تحت المراقبة لاشتغاله بعمل الفلسفة[1] وألف الوزير أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم كتاب «طوق الحمامة في الألفة والالاف»، وأشارت دراسة حديثة إلى أن هذا الكتاب من الكتب الفلسفية التي تشرح نظرية الحب الأفلاطوني[2]، واعتبر صاعد أن «ابن حزم من الذين اعتنوا بصناعة المنطق»[3]، إضافة إلى كتاب «رسالة في مراتب العلوم»، و«التقريب لحد المنطق»، و«رسالة في ألم الموت وأبطاله»[4].

أما في مجال الطب، فقد كان الطبيب يحيى بن اسحاق، وزير وطبيب الخليفة عبد الرحمن الناصر بصيراً بالعلاج، يقوم بصناعة الأدوية وحظي بثقة الخليفة الناصر، فصار طبيبه الخاص، وطبيب حرمه وكرائمه[5]، كما ألف كتاباً في الطب تكون من خمسة أسفار سماه «الأبريشم»[6]، وكان معاصراً للحاجب موسى بن حدير[7].

أما الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبدون ابن وافد اللخمي (ت.٤٦٠هـ/١٠٦٧م) فقد اهتم بقراءة كتب جالينوس وأرسطو طاليس، وتميز بعمل الأدوية وضبط عدد منها، ومن مؤلفاته الطبية كتاب «الأدوية المفردة»، ويتكون من خمسمائة ورقة[8]، و«الوسادة في الطب»، و«تدقيق النظر في علة حاسة البصر»[9].

---

(١) بالنثيا، الفكر الأندلسي، ص٣٢١ .

(٢) روم لاندو، الإسلام والعرب ، نقله إلى العربية منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ص٢٨٨. وسيشار إليه تالياً : لاندو، الإسلام والعرب .

(٣) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص١٨١ .

(٤) انظر : ابن حزم، رسائل، ط١، بيروت، ١٩٨٣، ج٤ .

(٥) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص١٠٠، ١٠١؛ صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص١٨٧؛ ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص٤٨٨ .

(٦) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص١٠٠؛ صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص١٨٧ .

(٧) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص٤٨٨ .

(٨) صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص١٩٥-١٩٦.

(٩) المصدر نفسه، ص١٩٦؛ الصفدي، الوافي، ج١٨، ص٢٥٧ .

وكان للوزير أبي عامر بن شهيد ، نصيب وافر في علم الطب[1]، وله كتاب حانوت عطار في الطب[2].

وألف في التاريخ الوزير عبد الملك بن أحمد بن شهيد كتابه «التاريخ الكبير في الأخبار على توالي السنين»، بدأ به من عام الجماعة سنة أربعين، وانتهى إلى أخبار زمانه[3]، وألف في التاريخ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم مجموعة من الرسائل اشتملت على «رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء»، و«رسالة في أمهات الخلفاء»، و«رسالة في فتوح الإسلام»، و«رسالة في أسماء الخلفاء»، و«رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها»، وألف في الأنساب «جمهرة أنساب العرب»[4] .

---

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، ق١، ص٢١٢؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جـ٣، ص٢٢٢؛ الصفدي، الوافي، جـ٧، ص٤٥ .

(٢) إسماعيل البغدادي، هدية العارفين، جـ٥، ص٧٤ .

(٣) ابن حزم، رسالة في فضل الأندلس، جـ٢، ص١٨٣ .

(٤) انظر : تحليل المصادر (مؤلفات ابن حزم) في هذه الدراسة .

الخاتمـــــة

واكب عصر الخلافة الكثير من التطورات على جميع المستويات السياسية والإدارية والاجتماعية والثقافية خلافاً لما كان سائداً في عصر الإمارة من ضعف وتفكك وثورات تسببت في انحسار النفوذ الأموي في الأندلس.

والحجابـــــة وظيفة عرفت في المشرق، يقوم متوليها بدور الوسيط بين الحاكم والرعية، وقد استحدث هذا المنصب في عهد معاوية بن أبي سفيان، خوفاً على نفسه من الاغتيالات، كما عرف هذا المنصب في الدولة العباسية بنفس الوظيفة السابقة، وكذلك في الدولة الفاطمية، ولكن عرف في الدولة الفاطمية باسم صاحب الباب.

وقد حافظت الأندلس على اسم الحاجب الذي كان سائداً أيام حكمها في المشرق ويقوم بنفس الوظيفة، إلا أنه وجد في الأندلس منصب رفيع المستوى يلي مركز الخلافة في الأهمية، أطلق على متقلده اسم الحاجب وهو نظير الوزير العباسي في المشرق والوزير الفاطمي في مصر.

ووظيفة الحاجب لم تتبلور بشكل واضح في عهد الإمارة، فقد شغر هذا المنصب في عهد الأمير عبدالله سنوات طويلة كما شغر في عصر الخلافة مدة ثلاثين عاماً من حكم الخليفة عبدالرحمن الناصر الذي جمد هذا المنصب، وجعل السلطة مركزية في يده فقط، فلم يبق أي سلطة للحاجب أو الوزير.

وعاد منصب الحجابة للظهور في الأندلس في عصر الخليفة الحكم المستنصر، وتمتع الحاجب في عهده بصلاحيات واسعة خاصة في السنوات الأخيرة، ساعد على ذلك سوء الحالة الصحية للخليفة الحكم، وأهتمامه بالجوانب العلمية والثقافية، وترك إدارة الحكم لحاجبه الذي وثق به.

وتعد حقبة حكم الخليفة هشام المؤيد العصر الذهبي للحجابة واستغلال تراجع مركز الخلافة لعدم وجود خليفة قوي، كون الذي يحكم طفلاً صغيراً، ويكون بذلك الحاجب بمثابة الوصي على العرش، ومن هنا يجد فرصته في السيطرة على زمام الأمور واستغلالها لمصلحته الذاتية.

ويلاحظ ظهور صراع بين حزب العسكريين المتمثل بالصقالبة من جهة، وبين حزب المدنيين المتمثل بالوزراء وحاشية القصر ونسائه من جهة أخرى على منصب الحجابة، وقيام الحاجب بتدبير الاغتيالات لأمراء البيت الأموي خاصة من يصلح ويرشح للخلافة، ليبقى الخليفة هشام المؤيد الذي يفتقد صفات الحاكم الناضج، وتشكيل قاعدة لترسيخ نفوذه كتعيين أفراد أسرته في المناصب العليا في الدولة والتخلص من فرقة الصقالبة المعارضة، والسيطرة على مالية الدولة.

وظهرت الحجابة المشتركة أحياناً في الأندلس، إذ تولاها خلال هذه الحقبة اثنان معاً، أما بهدف تقويض مركز أحدهم واضعافه عن طريق خطة مدبرة، أو تقليد الخليفة المنصب لشخص آخر تشريفاً له.

ووجد في الأندلس حجابة فعلية، يمارس فيها الحاجب مختلف الصلاحيات، وحجابة اسمية يكون لمتوليها الحاجب الفخري اسمها فقط، كأن يكون طفلاً صغيراً أو قائداً عسكرياً يقضي وقته بعيد عن مركز الدولة إما في المعارك أو المرابطة في الثغور.

ومن أهم سمات الحجابة خلال هذه الحقبة استبداد الحاجب بالسلطة والخليفة، مما أدى إلى إضعاف مركز الخلافة، فشارك الحاجب الخليفة في شارات الخلافة ما عدا الاسم مثلما هو الحال بتسلط أمراء بني بويه على الخلافة العباسية في المشرق.

وظهر في قلب الخلافة الأموية في الأندلس كيان الدولة العامرية التي صقلها الحاجب في قالب خاص به، فكون الجيوش الموالية له، ونقل مركز الحكم من قصر الخليفة إلى مدينة الزاهرة التي ابتناها الحاجب مقراً له ولحاشيته

وجيشه، وأصبح بيده تعيين كبار الموظفين والوزراء، بعد أن كانت من صلاحيات الخليفة وحده.

وتوارث منصب الحجابة في الأندلس أسر أرستقراطية متعددة مع بعض الاستثناءات، تم تحول إلى منصب وراثي في الأسرة العامرية (٣٦٧-٣٩٩هـ/ ٩٧٧-١٠٠٩م).

وكان يتم تعيين الحاجب في الأندلس وفق شروط كثيرة كالنسب والكفاءة، والمهارة العسكرية، والترقي في مناصب الدولة وأهمها الوزارة، وأن يكون كاتباً ومن أهل العلم والمعرفة والبلاغة.

ويتم تعيين الحاجب من قبل الخليفة فقط، وتصدر الرسوم بشأن ذلك، وترسل إلى مختلف الأقاليم، وتقرأ على المنابر ويمنح الحاجب الخلع والصلات من الخليفة، إلا أن الأمر اختلف في عهد الحاجب المنصور، الذي حول الحجابة في عهده إلى منصب وراثي في أسرته ومنح ابنه المظفر لقب الحجابة وخطتها، بعد أن تنازل له عنها، ووجد لمنصب الحجابة في الأندلس رسوم خاصة تجلت في موكب الحاجب ومجلسه، وترتيبه في مختلف المناسبات.

وكان عزل الحاجب يتم من قبل الخليفة فقط، وكثيراً ما تعرض الحاجب في الأندلس إلى النكبة ومصادرة الأملاك، والتعذيب.

وكان مصير معظم حجاب الأندلس القتل خلال عصر الخلافة باستثناء الحاجب الصقلبي والمنصور، واختلفت الروايات في وفاة المظفر.

ويتولى الحاجب في الأندلس صلاحيات غير محددة، فهو الساعد الأيمن للخليفة، يتولى الإشراف نيابة عنه على ما يكلف به من الخليفة، وغالباً ما يقوم بمهام عسكرية وإدارية، واستقبال الوفود والسفارات ، والإشراف على مراسلات الدولة، وحفظ الأمن في المدينة، والإشراف على الشؤون المالية، وينوب عن الخليفة في حالة غيابه عن البلاد، أو مرضه، واختلفت الأمور في عهد حجاب الدولة العامرية، إذ سيطروا على صلاحيات الحاجب والخليفة معاً، فعقدوا

المعاهدات، وفرضوا الضرائب، وأعلنوا الحرب دون الخليفة .

وتمتع الحاجب الأندلسي إضافة إلى لقبه بألقاب أخرى كالوزير، ووزير الدولة، وشيخ الدولة، وسيف الدولة، كما تلقب الحاجب أثناء الدولة العامرية بألقاب ملكية كالمنصور والملك الكريم، والمظفر سيف الدولة والمأمون ناصر الدولة. ثم إكراه الحاجب للخليفة بمنحه ولاية العهد، كما لقب الحاجب شنجول نفسه بأمير المؤمنين، وهذه لم يكن لها سابقة في تاريخ الأندلس، وهذا يدل على تراجع مركز الخلافة، وارتفاع مكانة الحاجب الأندلسي في عصر الاستبداد العامري .

ومن الناحية الاجتماعية، كان الحاجب يمثل أعلى طبقة في الأندلس بعد الخليفة وقد تمتع برفاه اجتماعي وثراء اقتصادي كبير، فملك القصور والأموال، والجواري، وبلغ به أن أهدى الخليفة الهدايا الجليلة، التي تقدر بالملايين. وكان الحاجب يشارك في مجالس اللهو والشراب، ويقضي أوقات فراغه في التنزه، خاصة بممارسة وسائل تسلية متعددة كالزوارق والسباحة والطرب والرقص .

وارتقت الحياة الاجتماعية في الأندلس في عهد الحاجب المنصور وابنه المظفر فتمتع الناس برفاه واسع واقتنوا الأثاث الفاخر ، والجواري والملابس الثمينة كالقلانس المرقشة . ولعبت المرأة الأندلسية دوراً سياسياً واجتماعياً خلال هذه الحقبة، فعن طريقها وصل بعض كبار الشخصيات إلى منصب الحجابة وعن طريقها عزل بعض الحجاب ونكب وقتل آخرون، بل بلغ بالمرأة الأندلسية أن كانت محركاً رئيساً لسقوط الدولة العامرية في الأندلس تماماً سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م، وارتبط الحاجب الأندلسي برباط المصاهرة مع بعض ملوك إسبانيا وكبار القادة، كما انعكست انتصارات الحاجب الأندلسي في ارتفاع نسبة سبي الجواري واغراق السوق الأندلسية بهن، حتى تم بيعهن بابخس الأثمان، وقد انعكس هذا سلبياً على المجتمع الأندلسي .

وازدهرت الحياة الاقتصادية في الأندلس، فارتفعت خزينة الدولة،

وتقدمت الصناعة وخاصة التصنيع العسكري حتى أقيمت المعارض العسكرية للانتاج الأندلسي، وكذلك انتعشت الزراعة وتقدم العمران، فبنيت مدينة الزاهرة قاعدة الحاجب المنصور، والمتنزهات، والقصور، والقناطر، وانتشرت المساجد في مختلف أنحاء البلاد، وبنيت الحوانيت والحمامات .

وبلغ حجاب الأندلس مكانة علمية مرموقة في مجال الأدب والشعر والكتابة فعقدوا المجالس الأدبية، وأنشأوا الدواوين وشاركوا في المطارحات الشعرية، وشجعوا العلماء على القدوم للأندلس ومنحوهم الصلات والأموال، وظهرت الكثير من المؤلفات الدينية والأدبية والتاريخية والطبية، باستثناء كتب الفلسفة التي أحرقت من قبل الحاجب المنصور ومنع تداولها .

أما منصب الوزارة، فوجدت مؤشرات على وجوده في الأندلس منذ عصر الولاة، ثم تطور في عصر الإمارة، وقد تولى الوزارة وزراء من ذوي النسب مع تفضيل الأصل الشامي على البلدي الأندلسي، كما ظهرت مناصب وزارية متعددة خلال عصر الإمارة، إلا أن صلاحياتهم لم تكن واضحة المعالم وغير محددة والوزارة في الأندلس مؤسسة إدارية يتولاها عدد من الوزراء يماثلون أصحاب الدواوين في الدولة العباسية، ويتم تعيين الوزير من قبل الخليفة وفق شروط لا تختلف تقريباً عن الشروط الواجب توفرها في الحاجب، ويتم التعيين ضمن رسوم معينة، كما يتم العزل للوزراء فرادى أو جماعة من قبل الخليفة، وفي عصر الاستبداد العامري أصبح تعيين الوزراء وعزلهم يتم من قبل الحاجب .

ووجدت في الأندلس رسوم خاصة للوزراء، كما كان لهم مجالس خاصة مقرها قصر الخلافة .

ويمنح الخليفة لقب الوزير لصفوة الصفوة في الدولة إضافة إلى منح بعضهم ألقاباً إضافية مثل: لقب ذي الوزارتين، وذي السيفين، وفي العهد العامري أصبحت هذه الألقاب تمنح من قبل الحاجب لوزرائه، ثم تراجع لقب الوزارة في أواخر الدولة الأموية، وحمله من هم ليسوا أهلاً له ومن عامة

الناس.

ورغم عدم تحديد صلاحيات الوزراء بصورة واضحة جداً أثناء هذه الحقبة إلا أن النصوص أشارت إلى بعض تلك الصلاحيات ، مثل: قيادة الجيش، وولاية المدينة، والإشراف على الشؤون المالية، وضرب السكة، وفرض الضرائب ومصادرة الأموال، وتولي ديوان الزمام، والمشاركة في استقبال الوفود والرسل، وتولي الكتابة الرسمية وتحديدها، كما ينوب عن الحاجب في حالة غيابه عن البلاد، ويتولى الوزراء خطط كل من المظالم والحشم والشرطة والمواريث وأحياناً يتولى الوزير خطة الوزارة مجموعة له خطط أخرى إضافية، ويخضع الوزراء للمسائلة من قبل الخليفة أو الحاجب .

وعلت مكانة الوزراء اجتماعياً واقتصادياً فتمتعوا برفاه اجتماعي ومستوى اقتصادي رفيع، من دلائلها الهدايا الثمينة المقدمة من بعض الوزراء إلى الخليفة والمقدرة بملايين الدنانير، وبرع بعض الوزراء في العلم بفروعه كالفقه والأدب شعراً ونثراً والفلسفة، والطب، والتاريخ، وظهرت مؤلفات للعديد منهم كل حسب تخصصه، وبين أيدينا الآن مثلاً : «التوابع والزوابع»، و«ديوان ابن شهيد»، و«طوق الحمامة»، و«نقط العروس»، و«رسائل لابن حزم الأندلسي» وغيرها من المؤلفات التي تزخر بها المكتبة الأندلسية .

ويستنتج أيضاً أن الحجابة والوزارة تكاد تكون مؤسسة واحدة تضم كل من الحاجب وهو رئيس الوزراء، كما هو في الوقت الحاضر، والوزراء وهم أعضاء الوزارة، موظفون إداريون يتولون مهام إدارية مختلفة، ويأتون في المرتبة الثانية بعد الحاجب في السلم الوظيفي للدولة الأموية في الأندلس .

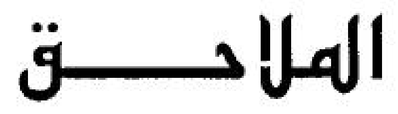
والحاجب الأندلسي وزير في الأصل، ولكنه أعلى مرتبة من الوزراء وكان يطلق عليه أيضاً لقب وزير الدولة، أو الوزير ، ويتولى مهمة الإشراف على مهام أعضاء وزارته، وترفع إليه التقارير مباشرة من قبل هؤلاء الوزراء، ثم يقدم الحاجب تقريراً خطياً مفصلاً عن أعمال الوزراء، وأية مستجدات أخرى إلى

الخليفة. وتخضع بعض هذه التقارير لتوقيع الوزراء عليها .

ويدعو الحاجب باستمرار إلى عقد مجلس للوزراء يترأس الحاجب الاجتماع، وينظر مع الوزراء في القضايا المعنية والتي تهم الدولة .

والحاجب هو نقطة الوصل والاتصال بين الخليفة والوزراء، فلا يتم اتصال الوزراء بالخليفة إلا عن طريق الحاجب، حتى أطلق على الحاجب الوزير الأخص، وفي حالة شغور وتعليق منصب الحجابة في الدولة، يقوم الوزير الذي يلقب أحياناً بلقب ذي الوزارتين بمهام الحاجب، ويتولى هذا الوزير الإشراف على جميع شؤون الدولة نيابة عن الخليفة، لكن لا يطلق عليه لقب الحاجب كما هو الحال في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر .

وقد يظهر تنافس بين الوزير والحاجب ويقوم الوزير بتدبير المؤامرات، ومحاولات الاغتيال للتخلص من الحاجب وخاصة في عهد الخليفة هشام المؤيد، الذي اتسم عهده بقوة الحجابة وقوة الوزارة على حساب مركز الخلافة، فأطيح بالحاجب المصحفي بدعم ومؤازرة الوزراء للحاجب الجديد المنصور. فدبر بعض الوزراء المحاولات لاغتيال الحاجب المنصور لكنها فشلت أمام قوة ودهاء المنصور، الذي كان يتخلص من أية شخصية متآمرة عليه، ويحسب حسابها بأساليبه المختلفة، وسار على نهجه الحاجب المظفر الذي أحبط عدة خطط لاغتياله وقضى عليها في وكرها، وقتل مرتكبيها من الوزراء وعلى مرأى من الجميع وفي مجلسه مبرراً ذلك أنهم تآمروا على الدولة .


الملاحـــق

ملحق رقم (١)

وصية الحاجب المنصور لابنه عبدالملك ، قال ابن حيان عن أبيه خلف بن حيان أنه قال:-

«أخبرني أبي قال: سمعت محمد بن أبي عامر يوصي ابنه عبدالملك في مرضته تلك ويقول في جملة كلامه: يا بني. لست تجد أنصح لك مني فلا تعدين مشورتي: قد جردت لك رأيي ورويتي على حين اجتماع من ذهني، فاجعلها مثالاً بين يديك. قد وطأت لك مهاد الدولة، وعدلت لك طبقات أوليائها، وتمايرت لك بين دخل المملكة وخرجها، واستكثرت لك من أطعمتها وعددها، وخلفتُ جبايةً تزيد على ما يَنُوبك لجيشك ونفقتك، فلا تطلق يدك في الإنفاق. ولا تفيض لظلمة العمال، فيختل أمرك سريعاً. فكل سرف راجع إلى اختلال لا محالة. فاقصد في أمرك جهدك، واستثبت فيما يرفع أهل السعاية إليك، والرعية قد استقصيتُ لك تقويمها، وأعظم مُناها أن تأمن البادرة وتسكن إلى لين الجنبة. وصاحب القصر قد علمت مذهَبَه. وأنه لا يأتيك من قبله شيء تكرهه، والآفة ممن يتولاه ويلتمس الوثوب باسمه، فلا تنم عن هذه الطائفة جُملة. ولا ترفع عنها سوء ظنٍّ وتهمة. وعاجل بها من خفته على أقل بادرة. مع قيامك بأسباب صاحب القصر على أتمِّ وجه؛ فليس لك ولا لأصحابك شيء يقيكم الحنث في يمين البيعة إلا ما تقيمه لوليها من هذه النفقة. فأما الانفراد بالتدبير دونه مع ما بلوته من جهله وعجزه عنه، فإني أرجو أني وإياك منه في سعة ما تمسكنا بالكتاب والسنة. والمال المخزون عند والدتك هو ذخيرة مملكتك، وعدةٌ لحاجةٍ تنزل بك، فأقمه مقام الجارحة من جوارحك التي لا تبذلها إلا عند الشدة تخاف منها على سائر جسدك، ومادة الخراج غير منقطعة عنك بالحالة المعتدلة. وأخوك عبد الرحمن، قد صيرت إليه في حياتي ما رجوت أني قد خرجت له فيه عن حقه من ميراثي، وأخرجته عن ولاية الثغر لئلا يجد العدو مساغاً بينكما في خلاف وصيتي فيُسرع ذلك في نقض أمري، ويجلب الفاقرة على دولتي. وقد كفيتك الحيرة فيه فاكفه الحيف منك. وكذلك سائر أهلك فيما صنعت فيهم بحسب ما قدرت به خلاصي من مال الله الذي في يدي. وخلافتك بعدي أجدى عليهم مما صرفته؛ فلا تضيع أمر جميعهم. والحظهم بعيني فإنك أبوهم بعدي. فخرج ذكورهم باستخدامك، وألحف إناثهم جناحك جبر الله جماعتهم، وأحسن الخلافة عليكم. فإن انقادت لك الأمور بالحضرة فهذا وجه العمل، وسبيل السيرة، وإن اعتاصت عليكَ فلا تُلقينَّ بيدك إلقاء الأمة، ولا تطبيك وأصحابك السلامة فتنسوا ما لكم في نفوس بني أمية وشيعتهم بقرطبة. فإن قاومت من توثب عليك منهم فلا تذهل عن الحزم فيهم، وإن خفت الضعف فانتبذ بخاصتك وغلمانك إلى بعض الأطراف التي حصنتها لك، واختبر غدك إن أنكرت يومك. وإياك أن تضع يدك في يد مرواني ما طاوعتك بنانك، فإني أعرف ذنبي إليهم»[1].

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤ م١، ص ٧٦.

ملحق رقم (٢)

نص وصية الحاجب المنصور لغلمانه

عن ابن حيان عن أبيه أنه قال: وسمعته يقول لغلمانه عند هذه الوصية: «تنبهوا لأمركم واحفظوا نعمة الله عليكم، في طاعة عبدالملك أخيكم ومولاكم، ولا تغرنكم بوارق بني أمية، ومواعيد من يطلب منهم شتاتكم. وقدروا ما في قلوبهم وقلوب شيعتهم بقرطبة من الحقد عليكم، فليس يرأسنكم بعدي أشفق عليكم من ولدي. وملاك أمركم أن تنسوا الأحقاد وأن تكون جماعتكم كرجلٍ واحدٍ فإنه لا يُفلُّ فيكم. وما زال يكرر هذا وشبهه لطائفةٍ بعد أخرى حتى ضعف وشغل بنفسه»[1].

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق ٤، م١، ص ٧٧-٧٨.

ملحق رقم (٣)

نص المرسوم الذي صدر من الخليفة هشام المؤيد إلى الحاجب عبدالملك بمنحه لقب المظفر سيف الدولة.

أتبعه رقعةً بخطه:

«من الخليفة هشام المؤيد بالله.

بسم الله الرحمن الرحيم.

أتم الله عليك نعمته، وهنأك قسمه، وألبسك عفوه وعافيته، لما رأيناك -سلمك الله- من صنع الله الجسيم، وفضله العظيم، لنا عليك ما شفى الصدور وأقر العيون، استخرنا الله تعالى في أن سميناك المظفر.

فنسأل الله سؤال إلحافٍ وضراعةٍ وابتهالٍ إليه أن يعرفنا وإياك بركة هذا الاسم، ويحليك معناه، ويعطينا وإياك وكافة المسلمين فضل ما حملت منه، وأن يخير لنا ولهم في أقضيته، ويقرنه بيمنه وسعادته بمنه وخفي صنعه. وكذلك أبحناك التكني في مجالسنا ومحافلنا، وفي الكتب الجارية منك وإليك في أعمال سلطاننا وسائر ما يجري فيه اسمك معنا ودوننا، إنافةً بمحلك لدينا، ودلالةً على مكانك منا. وكذلك ما شرفنا فتاك أبا عامر محمد بن المظفر تلادنا أسعده الله بالإنهاض إلى خُطة الوزارتين، وجمعناه بها في التكني على المشيخة والترتيب. إثرك في الدولة. وأنت الحقيق منا بذلك كله، وبجميل المزيد عليه، لأنك تربيتنا وسيف دولتنا، وولي دعوتنا، ونشء نعمتنا، وخريج أدبنا، فاظهر ما جددناه لك في الموالي وأهل الخدمة، واكتب به إلى أقطار المملكة، وتصدقه بشكر النعمة! أحسن الله توفيقك، ومتعنا طويلاً بمعافاتك، وآنسنا ملياً بدوام سلامتك إنه ولي قادر عزيز قاهر، إن شاء الله تعالى[1]».

---

(١) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص٨٨.

ملحق رقم (٤)

مرسوم أصدره هشام المؤيد بتلقيب عبدالرحمن بن المنصور بن أبي عامر بلقب الحاجب المأمون ناصر الدولة:

«الحاجب المأمون ناصر الدولة أبو المطرف حفظه الله، بسم الله الرحمن الرحيم.

أدام الله حفظك، وأحسن على الصلاح عونك. رأينا -أكرمك الله- لما ظهر لنا من جميل طاعتك، المبادرة إلى ما يلزمك من المناصحة، والقيام بأعباء المملكة على أفضل الطرق المحمودة والمساعي المشكورة تسميتك في كتبنا إليك وتحليتك بالمأمون في مخاطبتك. زائداً على أول أسمائك مظاهرة لأنعمنا عليك، وأنت عندنا أهل لذلك ومستحق به، فاعتمل فيما ينفذ من الكتب عنك وإليك على عنوان كتابنا هذا إليك. نسأل الله عوناً شافياً وتأكيداً كافياً إن شاء الله تعالى»[1].

(١) ابن عذاري، البيان، جـ٣، ص ٤١.

ملحق رقم (٥)

مرسوم الخليفة هشام المؤيد إلى الحاجب شنجول بولاية العهد، وهو من إنشاء كاتب الرسائل أبي حفص أحمد بن بُرد.

وهذه نسخة العهد بالبيعة: «هذا ما عهد به أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله -أطال الله بقاءه- إلى الناس عامةً، وعاهد الله عليه من نفسه خاصةً، وأعطى عليه صفقة يمينه ببيعة تامة، بعد أن أمعن النظر، وأطال الاستخارة، وأهمه ما جعله الله عليه من إمامة المسلمين، وخصه به من إمرة المؤمنين، واتقى حلول القدر بما لا يؤمَن، وخاف نزول القضاء بما لا يُصرف، وخشي إن هجم محتوم ذلك عليه ونزل مقدور ذلك به، ولم يرفع لهذه الأمة علماً تأوي إليه، ولم يوردها ملجأً تنعطف عليه، أن يكون يلقى الله مفرطاً فيها، ساهياً عن أداء الحق إليها. ونفض عن ذلك طبقات الرجال من أحياء قريش وغيرها ممن يستحق أن يسند الأمر إليه، ويعوَّل في القيام به عليه، ممن يستوجبه بدينه وأمانته وهديه وورعه، بعد اطّراح الهوادة والتبرُّئ من الهوى، والتحرِّي للحق، والتزلف إلى الله عز وجل بما يرضيه، وإن قطع الأواصر وأسخط الأقارب، عالماً بأن لا شفاعة عنده أعلى من العمل الصالح، وموقناً أن لا وسيلة إليه أرضى من الدين الخالص؛ فلم يجد أحداً هو أجدر أن يقلده الخلافة، ويفوض إليه النظر في أمر الخلافة بعده، في فضل نفسه وكرم خيمه وشرف همته وعلو منصبه، مع تقواه وعفافه ومعرفته وحزمه، من المأمون الغيب، الناصح الجيب، النازح عن كل عيب، ناصر الدولة أبي المطَرِّف عبد الرحمن بن المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر -وفقه الله- إذ كان أمير المؤمنين قد ابتلاه واختبره، ونظر في شأنه واعتبره؛ فرآه مسارعاً الخيرات، مستولياً على الغايات، جامعاً للمأثرات، وارثاً للمكرمات، يجذب بضبعيه إلى أرفع منازل الطاعة، وينمو بعينيه إلى أعلى درج النصيحة، أبٌ منقطعُ القرين، وصنوٌ معدوم الغريم، ومن كان المنصور أباه، والمظفر أخاه، فلا غرو أن يبلغ في سبيل الخير مداه، ويحوي من حلل المجد بما حواه، مع أن أمير المؤمنين -أكرمه الله- لما اطّلعه من مكنون العلم، ورعاه من مخزون الأثر، أمّل أن يكون ولي عهده القحطاني الذي حدّث عنه عبدالله بن عمرو بن العاص، وأن يتحقق به ما أسنده أبو هريرة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- أن لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق العرب بعصاه. فلما استوى له الاختبار، وتقابلت عنده فيه الآثار، ولم يجد عنه مذهباً ولا على غيره معدلاً، خرّج إليه من تدبير الأمر في حياته، وفوض إليه النظر في الخلافة بعد مماته، طائعاً راضياً، ومجتهداً متخيراً، غير محابٍ له ولا مائل له بهوادة، ولا متْرك نصح الإسلام وأهله فيه. وجعل إليه الاختيار لهذه الأمة بولاية عهده فيها إن رأى بقاء ذلك في أمير المؤمنين -أعزه الله-. وأمضى أمير المؤمنين -أعزه الله- عهده هذا، وأنفذه، وأجازه، وبتَّله، لم يشترط فيه مُثْنَوِيَّةً ولا خياراً، وأعطى على الوفاء بذلك في سره وجهره وقوله وفعله، عهد الله وميثاقه وذمة نبيه -صلى الله عليه وسلم- وذمة الخلفاء الراشدين من آله وآبائه، وذمة نفسه، بأن لا يبدل ولا يغير ولا يحول ولا يتأول. وأشهد على ذلك الله وملائكته، وكفى بالله شهيداً. وأشهد عليه من أوقع اسمه في هذا الكتاب. وهو -أعزه الله- جائز الأمر، ماضي القول والفعل، بمحضر من ولي عهده المأمون ناصر الدولة أبي المطرف عبدالرحمن بن المنصور -وفقه الله- وقبوله لما قلده، والتزامه ما ألزمه. وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٣٩٩هـ»[1].

---

(١) ابن الخطيب، أعمال، ق٢، ص ٩١-٩٣.

ملحق رقم (٦)

كلمة الحاجب المظفر عقب مقتل وزيره عيسى بن سعيد

«أيها الناس -وفقكم الله لعصمته، واستنقذكم برحمته- إن من علم منكم حال الخائن عيسى بن سعيد بالمشاهدة، ورأى مبلغ النعمة عليه بالحاضرة، فقد اكتفى بما شهد، واجتزأ بما عاين وحضر، ومن غاب عنه كُنهُ ذلك من عوامكم بانتزاح منزل أو لاتصال شُغل، فليعلم أنا أخذناه من الحضيض الأوهد، وانتشلناه من شظف العيش الأنكد، فرفعنا خسيسته، وأتممنا نقيصته، وخوّلناه صنوف الأموال، وصيّرنا حاله فوق الأحوال؛ فدلّله بذلك المنصور مولاي رضي الله عنه، فاعتمدته ومهدت له فرش الكرامة، وبوّأته دار الفخامة، وأسبغت من نعمي عليه، ما أحوج الخاصة والعامة إليه، فلم يقم لله تعالى بحق، ولا قابل إحسانه بصدق، ولا عامل رعيتنا برفق، ولا تناول خدمتنا بحذق؛ بل أعلن بالمعاصي، واستذل الأعزة وذوي الهيئات والمروءات، ونافرهم وأنس بأضدادهم، ونبذ عهودنا، وخالف سبلنا، وكدّر على الناس صفونا؛ حتى إذا ملكه الأشر، وتناهى به البطر، وغلت به الأمور، وغرّه بالله الغرور، حاول شق عصا الأمة، وهدّ ركن الخلافة والأمانة، بما احتجن من حرام المال، واستمال من طغام الرجال، فحَجَّتْه نعمُنا عنده، وخصمته عوارفنا لديه، وكشف لنا سرَّ نيته، حتى صرعه بغيُه، وأسلمَه غدرُه، وأخذه الله بما اجترم، وأوبقه بما اكتسب، فأعجلناه عن تدبيره، وصار إلى نار الله وسعيره»[1].

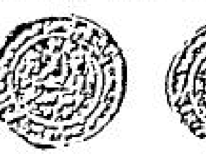
---

(١) ابن بسام، الذخيرة، ق٢، م١، ص ١٢١.

ملحق رقم (٧)

نماذج من العملات الأندلسية مكتوب عليها أسماء بعض الحجاب، كما جاءت عند بريتو أنطونيو :

أ. دنانير ضربت في عهد الحاجب جعفر الصقلبي .

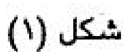


الحاجب
الامام الحكم
امير المومنين
المستنصر بالله
جعفر

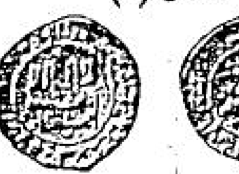
لا اله الا
الله وحده
لا شريك له
عامر

١٫٨ غ بسم الله ضرب هذا الدينر بمدينة الزهرا سنة سبع وخمسين وثلاثمائة

ب. نماذج ضربت في عهد حجاب الأسرة العامرية : الحاجب المنصور، وتتضمن الأشكال (١)، (٢)، (٣)، (٤) .



شكل (١)



الامام هشام
امير المومنين
المويد بالله
عامر

لا اله الا
الله وحده
لا شريك له

بسم الله ضرب هذا الدينر بالاندلس فى سنة سبع وسبعين وثلثماية

شكل (٢)



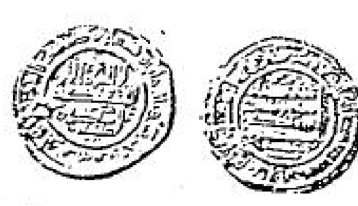






دنانير ضربت في عهد الحاجب المنصور سنة ٣٧٨هـ

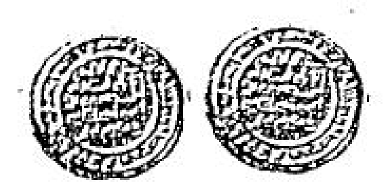
شكل (٢)



عا	لا اله الا
الامـــــام	الله وحده
هشـــــام	لا شريك له
امير المومنين	محمد
المـــويـــد	
بـالـــلـــه	
مر	

ج. نماذج ضربت في عهد الحاجب عبد الملك المظفر .

شكل (١)



الحاجب	لا اله الا
الامام هشام	الله وحده
امير المؤمنين	لا شريك له
المويد بالله	عبد الملك
عبد الملك	

١٠٨. بسم الله ضرب هذا الدينر بالاندلس سنة ثلث وتسعين وثلثماية

شكل (٢)

دنانير ضربت في عهد الحاجب المظفر سنة ٣٩٥هـ





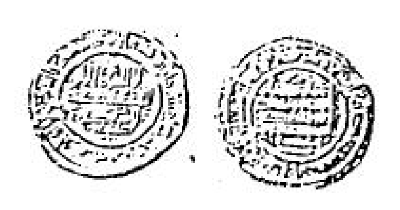
الحاجب	عبد
الامام هشام	لا اله الا
امير المومنين	الله وحده
المويد بالله	لا شريك له
عبد الملك	الملك

1٠A. بسم الله ضرب هذا الدينر بالاندلس سنة خمس وتسعين وثلثماية

د. دنانير ضربت في عهد الحاجب شنجول .

شكل (١)

عبد العزيز . بن الحاجب شنجول وضرب سنة ٣٩٩هـ

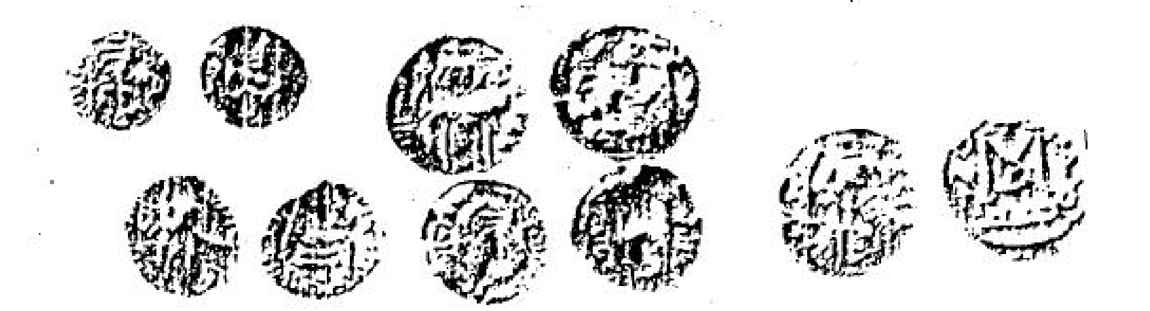


الحاجب
الامام هشام
امير المومنين
المويد بالله
عبد العزيز

بسم الله ضرب هذا الدينر بالاندلس سنة تسع وتسعين وثلثماية

شكل (٢)

دنانير ضربت في عهد الحاجب شنجول سنة ٣٩٩هـ[١]



الامام هشام
امير المؤمنين
المؤيد بالله
عامر

(١) Prieto Antonio Y Vives Monedas Musulmans Encontradas En Badjoz. Al-Andalus, Vol.2 , 1934, P.306-319.

المصادر العربية المطبوعة :-

- القرآن الكريم .

ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) .

- التكملة لكتاب الصلة، ٢ج، عني بنشره عزت العطار الحسيني، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٥م.
- الحلة السيراء في أشعار الأمراء، ٢ج، تحقيق حسين مؤنس، الطبعة الأولى، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣ .
- إعتاب الكتاب، تحقيق صالح الأشتر، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٦١م.
- دُرر السِمط في أخبار السِبط، تحقيق عز الدين عمر موسى، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.
- المقتضب من تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

- ابن الأثير، أبو الحسين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م).

- الكامل في التاريخ، ١٠ج، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحسني، (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م).

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ٢م، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.

الإشبيلي، أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م).

- البديع في وصف الربيع، تحقيق عبدالله عبد الرحيم عسيلان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

الأصفهاني، أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد المعروف بالعماد الكاتب (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م).

- خريدة القصر وجريدة العصر، ٤ق، تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم، دار نهضة مصر، الفجالة.

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم، (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م).
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م).
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٤ق، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

البغدادي، إسماعيل باشا .
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، ٦م، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٨٢ .

البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز الأندلسي، (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م).
- المسالك والممالك، ٢ج، تحقيق أدريان فان، الدار العربية، بيت الحكمة، ١٩٩٢م.

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/١١٨٣م).
- الصلة، ٣ج، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩م.

ابن بلقين، الأمير عبد الله الصنهاجي (ت ٤٨٣هـ/١٠٩٩م).
- مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان، نشر وتحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، ١٩٩٥.

الترمذي، محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م).
- صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي، ١٣ج، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت، سنن الترمذي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، ١٩٧٨.

الثعالبي، أبو المنصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م).
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ٤ج، تجقيق محمد محي الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دار الفكر، دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٧٩م.

ابن جلجل، أبو داود بن حسان الأندلسي (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م).
- طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.

الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/٩٤٢م).
- الوزراء، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٨٠م.

ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م).
- جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.
- رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.
- رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.
- طوق الحمامة في الإلفة والألاف، ضبط نصه وحرر هوامشه الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.
- الفصل في الملك والأهواء والنحل، ٢ج، مكتبة السلام العلمية.
- قلائد الذهب في جمهرة أنساب العرب، ٢ج، تقديم وتعليق وتشجير كامل سليمان الجبوري، الطبعة الأولى، المكتبة الوطنية، بغداد، د.ت.

الحُميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م).
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، ٦ق، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م). أو ٧٢٧هـ/١٣٢٦م).
- الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م).
- المقتبس، اعتنى بنشره ب. شالميتا بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف. كورنيطي و م. صبح، المعهد الإسباني العربي للثقافة وكلية الآداب بالرباط، مدريد، ١٩٧٩م.

- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حققه وقدم له وعلق عليه محمود علي مكي، إشراف محمد توفيق عويضة، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧١م.
- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨م، طبعة جديدة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي النصيبي (ت بعد ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م).
- صورة الأرض، ٢ق، الطبعة الثانية، ليدن، مطبعة بريل ١٩٣٨، ابن

ابن خاقان، الفتح بن محمد بن عبيدالله (ت٥٢٩هـ/١١٣٥م).
- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي الشوابكه، الطبعة الأولى، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

الخشني، أبو عبدالله محمد بن الحارث (ت٣٦١هـ/٩٧١م).
- قضاة قرطبة، حققه وقدم له إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

ابن الخراط، الأشبيلي (ت ٥٨١هـ/١١٨٦م).
- اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، مدريد، ١٩٩٠م.

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني(ت ٧٧٦هـ/١٣٧٥م).
- تاريخ إسبانيا الإسلامية - كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، ٣ق، تحقيق وتعليق إ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف بيروت، ١٩٥٦م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، ٤م، حققه ووقدم له محمد عبدالله عنان، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م.
- الإشارة إلى أدب الوزارة، تحقيق محمد كمال شبانة، مطبعة الساحل، الرباط، ١٩٨٠ .

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م).
- مقدمة ابن خلدون، ٣ج تحقيق علي عبدالرحمن وافي، الطبعة الثالثة، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة ١٩٨١م.

- مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م..
- تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧١م.

ابن خلكان، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨م، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

الداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ/١٥٤٠م).
- طبقات المفسرين، ٢ج، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٨٣م.

ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن (ت ٦٣٣هـ/١٢٣٥م).
- المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأنباري وحامد عبدالمجيد، وأحمد بدوي، راجعه طه حسين، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٤م.

ابن دراج، أحمد بن دراج القسطلي (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م).
- ديوان ابن دراج، تحقيق محمود علي مكي، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٦١م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م.
- سير أعلام النبلاء، ٢٥ج، أشرف على جزء ١٧، شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ١٩٨٣؛ وأشرف على تحقيق جزء ١٨ شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.
- العبر في خبر من غبر، ٤ج، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، ٢٧ج، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ١٩٩٣، حوادث وفيات (٣٨١هـ-٤٠٠هـ).
- تذكرة الحفاظ، ٤ج، دار إحياء التراث العربي صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم الملكي بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية د.ت.

الرشاطي، أبو محمد (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م).
- الأندلس في اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، مدريد، ١٩٩٠م.

الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م).
- طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٧٣م.

ابن أبي زرع، علي الفاسي (ت قبل ٧٢٦هـ/١٣٢٦م).
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢م.

ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي (ت ٦٧٣هـ/١٢٧٤م أو ٦٨٥هـ/١٢٨٦م).
- المغرب في حُلى المغرب، ٢ق، حققه وعلق عليه شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٨م.
- المقتطف من أزاهر الطرف، تقديم وتحقيق ودراسة سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.
- المرقصات المطربات، الطبعة الثانية، دار حميدو ومحيو، ١٩٧٣م.
- رايات المبرزين وغايات المميزين، حققه وعلق عليه محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧م.

ابن سناء الملك، أبو القاسم هبة الله بن جعفر (ت ٦٠٨هـ/١٢١٢م).
- دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق جودة الركابي.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م).
- المخصص، ٥ج، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م).
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ٢م، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، مصر الجديدة، القاهرة، ١٩٧٩م.
- طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

الشيرازي، أبو إسحاق الشيرازي (ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م).
- طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٠م.

ابن شُهيد، أبو عامر أحمد بن عبد الملك (ت ٤٢٦هـ/١٠٣٥م).
- التوابع والزوابع، تحقيق بطرس البستاني، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م.
- ديوان ابن شُهيد، تحقيق يعقوب زكي، مراجعة محمود مكي، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، د.ت.

الصابي، أبو الحسن هلال (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م).
- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٢م.

ابن صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن المعروف (ت ٤٦٢هـ/١٠٧٠م).
- طبقات الأمم، تحقيق حياة أبو علوان، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م).
- الوافي بالوفيات، ٨ج، تحقيق محمد بن الحسين ومحمد الشلبي، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، لبنان، الجزء الثالث والسادس اعتناء س. ديدرينغ، ١٩٧٤، ١٩٨٢، ١٩٩٢. والجزء الثالث عشر ١٩٩٧م.

الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عُميرة (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م).
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م.

ابن ظافر، جمال الدين أبو الحسن علي (ت ٦١٣هـ/١٢١٦م).
- بدائع البدائه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م).
- تاريخ الأمم والملوك، ١٠ج، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م.

الطرطوشي، محمد بن الوليد الفهدي (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م).
- سراج الملوك، جزءان، تحقيق جعفر البياتي، الطبعة الأولى، رياض الريس للطباعة والنشر، ١٩٩٠م.

ابن الطقطقى، محمد بن علي بن محمد بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م).
- الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر ، بيروت، د.ت .

ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت كان حياً سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م).
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، أربعة أجزاء، تحقيق ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.
- البيان المغرب في أخبار المغرب، جزءان، مكتبة صادر، بيروت، لبنان، مطبعة المناهل، ١٩٥٠م. (القسم الخاص بأخبار الأندلس).

عياض، أبو الفضل عياض بن موسى (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م).
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ثلاثة أجزاء، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، د.ت.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م).
- المختصر في أخبار البشر، ٤ج، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، د.ت.

ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري، (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م).
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي، (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م).
- تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.

ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى بن شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م).
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ٢٧ج، سفر ١٧م٤٦، طبع بالتصوير عن مخطوطة رقم ٢٣٢٧، المكتبة الوطنية، باريس، سفر ٢٤م٤٦ طبع بالتصوير عن مخطوطة ٢٧١٧/١٥ طوبقاي، استانبول.

ابن القاضي، أحمد بن القاضي المكناسي (ت ٩٦٠هـ/١٠٢٥م).
- جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، ٢ق، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٤م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م).
- عيون الأخبار، ٤م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م).
- إنباهُ الرواة على أنباه النحاة، ٤ج، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.

القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م).
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أربعة عشر جزءاً، تحقيق محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م).
- تاريخ افتتاح الأندلس، حققه وقدم له عبد الله أنيس الطباع، الطبعة الأولى، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

ابن الكتاني، أبو عبد الله محمد (ت.٤٢٠هـ/١٠٢٩م).
- التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ٣ج، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية دار الشروق، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/٢٣٧٢م).
- البداية والنهاية، ١٤م، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك (كان حياً في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي).
- الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، م١٣، ١٩٦٥-١٩٦٦م.

ابن ماكولا، علي بن هبة الله أبو نصر (ت ٤٧٥هـ/١٠٨٢م).
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ٧ج، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت بعد ٤٥٣هـ/١٠٦١م).
- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ٣ج، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م).
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بغداد، ١٩٨٩م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت .
- نصيحة الملوك، إعداد فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.

مجهول .
- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١م.

مجهول، مؤلف أندلسي (من أهل القرن الثامن الهجري).
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبدالقادر زمامه، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م.

مجهول .
- مفاخر البربر، جزءان، الرباط، ١٩٣٧م.

المراكشي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالملك الأنصاري، (ت ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م).
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤-١٩٦٥م، السفر الثامن من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بنشريفة، مطبعة المعارف، الرباط، ١٩٨٤م.

المراكشي، محي الدين عبدالواحد بن علي (ت ٧٤٦هـ/١٢٤٩م).
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٣م.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أربعة أجزاء، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ١٩٨٧م.

مقديش، محمود.
- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ٢ج، تحقيق على الزواري، الطبعةالأولى، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠١٤هـ/١٦٣١م).
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٨م، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م.
- أزهار الرياض في أخبار عياض، ٥ج، تحقيق مصطفى السقا، بيت المغرب، الإمارات.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م.
- لسان العرب، ١٥ج، إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار صادر، بيروت، د.ت .

النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن الأندلسي، (كان حياً سنة٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م).
- تاريخ قضاة الأندلس المسمى المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م .

النعمان، القاضي النعمان محمد بن محمد (ت ٣٧٣هـ/٩٧٣م).
- المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي، إبراهيم الشبوح ومحمد اليعلاوي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، ١٩٨٧م

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م).
- نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٧ج، تحقيق أحمد كمال زكي، مراجعة محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٠م.

ابن هانئ الأندلسي، أبو القاسم محمد (ت ٣٦٢هـ/٩٧٢م).
- ديوان ابن هانيء الأندلسي، تحقيق دار صادر، بيروت، د.ت.

ابن هذيل، يحيى بن هذيل القرطبي (ت٣٨٩هـ/ ٩٩٩م).
- ديوان ابن هذيل، جمع وتحقيق ودراسة محمد علي الشوابكة، الطبعة الأولى، الكرك، جامعة مؤتة، ١٩٩٦م.

ابن الوردى، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م).
- تاريخ ابن الوردي، جزءان، الطبعة الثانية، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٩م.

الوزان، الحسن بن محمد المعروف بليون الأفريقي (ت بعد ٩٥٧هـ/١٥٥٠م).
- وصف أفريقا، ٢ج، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م).
- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس والمغرب، ١٣ج، خرجة جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م).
- معجم الأدباء، ٢٠ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، د.ت.

اليماني، عبدالباقي بن عبدالمجيد (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م).
- إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، تحقيق عبدالمجيد ذياب، الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٨٦م.

- المراجع الثانوية :

أرسلان، شكيب.
١٢٣ الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ٢ج، الطبعة الأولى، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٦.

أبو ارميلة، هشام.
- نظام الحكم في عصر الخلافة الأموية في الأندلس، ١٩٨٠.

الأزرقي، فؤاد محمد.
- القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف، القرن الخامس الهجري الموافق الحادي عشر الميلادي، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن مكنون، الجزائر، د.ت.

باشا/ضيا.
- الأندلس الذاهبة، ٣ج، تعريف عبدالرحمن ارشيدات راجعه وحققه صلاح ارشيدات، الطبعة الأولى، عمان، ١٩٨٩.

بالنثيا، آنخل جنثالث.
- تاريخ الفكر الاندلسي ، نقله عن الإسبانية: حسين مؤنس، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥.

بروفنسال، ليفي.
- الحضارة العربية في اسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكي، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.

- الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد سالم ولطفي عبد البديع، القاهرة، ١٩٥٨م.

بروكلمان، كارل.
- تاريخ الأدب العربي، ٦ج، ترجمة رمضان عبدالتواب وعبد الحليم النجار، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤م .

بهجت، منجد مصطفى.
- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ٩٢-٩٨٧هـ دار الكتب، الموصل، العراق، ١٩٨٨.

بيضون، إبراهيم.
- الأمراء الأمويون الشعراء في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، د.ت.
- الدولة العربية في إسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢-٤٢٢هـ/ ٧١١-١٠٣١م. دار النهضة العربية، بيروت.

تامر، عارف .
- تاريخ الإسماعيلية، ٣ج، الطبعة الأولى، لندن، قبرص، ١٩٩١م.

التواتي، عبدالكريم.
- مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس، مكتبة الرشاد، الدار البيضاء.

حتاملة، محمد .
- ايبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، عمان، الأردن، ١٩٩٦م.

الحجي، عبدالرحمن علي.
- أندلسيات، الطبعة الأولى، دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٩م.
- التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١١-١٤٩٢م، الطبعة الأولى، دار القلم دمشق، بيروت دار القلم، الكويت، الرياض، ١٩٧٦.

حسن، إبراهيم.
- النظم الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٢م.
- تاريخ الإسلام الديني والسياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي، ٤ج، د.ت.

حمارنه، سامي خلف.
- تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، المطبعة الوطنية، عمان، ١٩٨٦م.

خياط، يوسف .
معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، د.ت.

الدوري، تقي الدين عارف .
- صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامي من الفتح العربي حتى الغزو والنورماندي ٢١٢-٤٨٤هـ/٨٢٧-١٠٨٤م)، بغداد، ١٩٨٠م .

دويدار، حسين يوسف.
- السفارات بين الأندلس والدول الاجنبية في العصر الأموي، الطبعة الأولى، مطبعة الحسين الإسلامية، ١٩٩٤م.
- المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م)، الطبعة الأولى، مطبعة الحسين الإسلامية، ١٩٩٤م.

ديورانت، ول.
- قصة الحضارة، ٤٢ج، ترجمة محمد بدران، دار الفكر، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ت .

ذنون طه، عبدالواحد.
- دراسات في التاريخ الأندلسي، الطبعة الأولى، دار الكتب، الموصل، ١٩٨٧م.
- نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٨٨م.

راضي، علي محمود.
- الأندلس والناصر، دار الكتاب العربي، د.ت.

رضا، أحمد.
- معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩م، م٣.

الريسوني، محمد المنتصر.
- الشعر النسوي في الأندلس، قدم له عبدالله كنون، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.

رينو، جوزيف .

- الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا، ترجمة إسماعيل العربي، ط١، دا الحداثة، الجزائر، ١٩٨٤م .

سالم، عبد العزيز .

- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ٢ج، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١، ١٩٧٢م.
- تحف العاج الأندلسية في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٥م.
- في تاريخ وحضارة الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٥م.
- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة)، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية .

سزكين ، فؤاد .

- تاريخ التراث العربي، ٥ج، ترجمة عرفة مصطفى،، مراجعة محمد فهمي حجازي وأخرون، السعودية، الرياض .

السويدي، أبو الفوز محمد أمين البغدادي .

- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، المكتبة العلمية، د.ت.

شاك ، فون .

- الفن العربي في إسبانيا وصقلية، ترجمة الطاهر أحمد مكي، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

الشرقاوي، عبد الرحمن .

- أئمة الفقة التسعة، الطبعة الثالثة، دار إقرأ، بيروت، الرملة البيضاء.

الشيخ، محمد محمد مرسي.

- دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي ١٣٨-٣٦٦هـ/٧٥٥-٩٧٦م)، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٨١م.
- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة، الاسكندرية، ١٩٩٥م.

أبو صالح، وائل .
- الجواري في الأندلس، الطبعة الأولى، دار القلم، رام الله، ١٩٨٥م.

الطاهري ، أحمد .
- دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس، عصري الخلافة والطوائف، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

الطباع ، عبد الله أنيس .
- القطوف اليانعة من ثمار جنّة الأندلس الإسلامي الدانية، الطبعة الأولى، دار ابن زيدون، بيروت، ١٩٨٦م.

طرخان، إبراهيم .
- دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دولة القوط الغربيين، جزءان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م.

أبو ضيف، مصطفى .
- القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية (٩١-٤٢٢هـ/ ٧١٠-١٠٣١م)، الدار البيضاء .

عباس، إحسان .
تاريخ الأدب الأندلسي-عصر سيادة قرطبة ، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦٨.

العبادي، أحمد مختار .
- في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.
- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، د.ت .

عبد الله ، حازم .
- ابن شهيد، حياته وأدبه، العراق، بغداد، ١٩٨٤م.

عبد البديع، لطفي .
- الإسلام في إسبانيا، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م.

عيسى، محمد عبد الحميد .
- تاريخ التعليم في الأندلس، إشراف لويس سواريث فرنا نديث، تقديم عبد الغني عبود، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، ١٩٨٢م.

فشر، هـ أ. ل.
- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ٢ق، ترجمة محمد مصطفى زيادة وآخرون، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م .

فكري، أحمد .
- قرطبة في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

فقي، عصام الدين عبد الرؤوف .
- تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، مصر الجديدة، ١٩٨٤م.

فيلالي ، عبد العزيز .
- العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الجزائر، ١٩٨٢م.

قجة ، محمد .
- المنصور الأندلسي، الطبعة الأولى، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ١٩٨٤م.

كانتور، نورمان .
التاريخ الوسيط، ٢ق، ترجمة قاسم عبده، ط٢، دار المعارف، ١٩٦٩م.

كحالة ، عمر رضا .
- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، خمسة أجزاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

لاندو ، روم.
- الإسلام والعرب، نقله إلى العربية منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت.

لانجر، وليم .
– موسوعة تاريخ العالم .

مبارك، زكي .
– النثر العربي في القرن الرابع، ٢ج، دار الجيل، بيروت .

متز، آدم .
– الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،٢ج، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، الطبعة الخامسة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ت.

محمود ، منى حسن.
– المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م.

مخلوف ، محمد بن محمد.
– شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، ١٣٥٠هـ.

المزروع ، وفاء عبد الله .
– الخليفة الأموي الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ)، الدار السعودية.

مرعشلي، نديم وأسامة.
الصحاح في اللغة والعلوم، ط١، دار الحضارة العربية، بيروت، ١٩٧٥م.

أبو مصطفى، كمال السيد .
– بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية، ١٩٩٣م.

مكي، الطاهر .
– دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر ، القاهرة، ١٩٨٧م.

مليحة إلياس، ونعمة الله هيكل .
– موسوعة علماء الطب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩١م.

مورينو ، مانويل جوميث .
- الفن الإسلامي في إسبانيا من الفتح الإسلامي للأندلس حتى نهاية سقوط عصر المرابطين، ترجمة لطفي عبد البديع وعبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية، ١٩٩٥م.

مؤنس ، حسين .
- فجر الأندلس، الدار السعودية، جده، ١٩٨٥م.
- شيوخ العصر في الأندلس، المكتبة الثقافية، الهيئة المصرية .
- معالم تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، دار مطابع المستقبل، القاهرة، ١٩٨٠م.

الناصري السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد (ت١٣١٩هـ/١٩٠١م).
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٩ج، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.

الناطور، شحادة .
- الخلافة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري .

النيفر ، محمد .
- عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد الأندلسية من عالم أديب، جزءان، تذييل واستدراك الشيخ علي النيفر، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

وات ، مونتغمري .
- في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة محمد رضا المصري، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٩٩٤ .

الورد ، باقر أمين .
- معجم العلماء العرب، جزءان، مراجعة كوركيس عواد .

يفوت ، سالم .
- ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦م.

هارثمان، ل. م.
- الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى، ترجمة جوزيف يوسف، دار النهضة المصرية، بيروت، ١٩٨١م.

هلال وصبح، جودة ومحمد محمود صبح .
- قرطبة في التاريخ الإسلامي، الهئية المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

هلستر، ورن .
- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحي الشاعر، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٠م.

هيكل ، أحمد .
- تاريخ الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، الطبعة السابعة، دار المعارف، مصر ١٩٧٩م.

- المراجع الأجنبية :

- Dozy.
Spanish Islam, Vol.3, London, 1988 .

- El-Hajji, Abdurrahman Ali.
Andalusian-Diplomatic Relations with Western Europe During the Umayyad Period (AH 138-366/AD755-976), Dar Al-Irshad, Beirut, 1970.

- Imamuddin, S.
Muslim Spain (711-1492AD), Leiden, E.J. Brill, 1981.

- رسائل الماجستير والدكتوراه :

الجبالي ، خالد حسن حمد .
- أثر الزواج المختلط ما بين العرب والإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس وحتى سقوط الخلافة (٩٢-٤٢٢هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٥م.

حلاوي ، سادسة .

- مدينة الزاهرة وإمارة ابن أبي عامر المعافري في الأندلس (٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٨٦م.

الزغول ، جهاد غالب مصطفى .

- الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤م.

صالح محمد ، عواد .

- الأندلس في عصر الطوائف الأولى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٦م.

عباس ، فائزة حمزة .

- دور المرأة الأندلسية في الحياة العامة من الفتح حتى نهاية الخلافة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٨٩م.

العميان ، نايف سلامة سفهان .

- الخراج في عهد الدولة الأموية في الأندلس (٩٢-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٦م.

المومني ، محمد خالد مصطفى .

- الفقهاء وثورة أهل الربض ، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٥م.

ياسين ، يوسف .

- الكتابة التاريخية في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٤م.

- الدوريات العربيـــة :

بوياترس، انتونيو فرنانديز .

- فن الخط العـربي في الأندلس، ندوة الحضارة العربية الإسلامية، ٢ج، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

بنعبد الله ، عبد العزيز .

- الوزارة والوزراء عبر التاريخ، نموذج من الوزراء وكتاب الدولة بالمغرب الأقصى، مجلة دعوة الحق، عدد ٢٧١، ١٩٨٨م.

التهامي ، الراجحي .

- نظم وإدارة بني أميـة بالأندلس من خلال المقتبس لابن حيان، مجلة المناهل، الرباط، المغرب، عدد ٢٩، سنة ١١، ١٩٨٤م.

الحجي ، عبد الرحمن .

- العلاقات السياسية بين ثوار الأندلس وإسبانيا المسيحية في الفترة الأموية، مجلة الأبحاث، سنة ١٨، ج١، ١٩٦٠م.

شلميط، بدرو .

- صورة تقريبية للاقتصاد الأندلسي، ندوة الحضارة العربية الإسلامية، ٢ج، تحرير سلمى الجيوسي، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

خماش ، نجدة .

- عبد الرحمن الداخل، مجلة دراسات تاريخية، عدد ٢٥، آذار، ١٩٨٧م.

دياب، علي .

- انتقال العلوم من الشرق إلى الغرب وتأثيرها في أوروبا، مجلة دراسات تاريخية ، عدد ٥٣، ٥٤، ١٩٩٥م.

ذنون طه، عبد الواحد .

- الأندلس من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٢٣، سنة ١٩٨٣م.

رحمة الله، مليحة .

- الحياة الاجتماعية كما وردت في كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المغربي المراكشي، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٤٤، سنة ١٦، ١٩٩١م.

ريبيرا ، خوليان .

- المكتبات وهواة الكتب في إسبانيا الإسلامية، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٥٩م .

زمامه، عبد القادر .

- ابن حيان وأهل العدوة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، عدد ٦، ١٩٨٢-١٩٨٣م.

سالم ، سحر .

- ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، بحوث ندوة الأندلس، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ورابطة الجامعات الإسلامية، ١٩٩٤م.

السامرائي، عبد الجبار .

- تقنية السلاح عند العرب، مجلة المورد عدد ٤، بغداد، ١٩٨٥م.

عثمان ، محمد عبد العزيز .

- المرأة العربية في الأندلس، مجلة المؤرخ العربي، عدد ١٣ .

القادري ، إبراهيم .

- الانحسار العربي عن الأندلس في عصر الإمارة هل كان وراءه تفوق مسيحي، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٣٤، ١٩٨٧/١٢م.

القاضي ، وداد .

- الفكر السياسي لدى أبي مروان ابن حيان، مجلة الأبحاث، كلية الآداب والعلوم، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان، عدد ٢٩، ١٩٨١م.

الكبيسي، خليل إبراهيم .

- تشجيع الحكم المستنصر للحركة العلمية في الأندلس، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٤١-٤٢، سنة ١٦/١٩٩٠م.
- أبو علي القالي البغدادي وأثره بالفكر الأندلسي، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٥، ١٩٨٤م.
- غزوات النورمانديين على الأندلس في عصر بني أمية، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٤٠، سنة ١٤، ١٩٨٩م.

ماجد ، جعفر .

- العلاقات الأدبية بين قرطبة والقيروان في القرن الرابع الهجري، حوليات الجامعة التونسية، تونس، عدد ١٣، ١٩٧٦م.

موسى ، لقبال .

- حـركـة الصـراع بين الأمـويين والفـاطمـيين في القـرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي من خلال مجالس النعمان ومقتبس ابن حيان، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٢١، سنة ١٩٨٢م.

مؤنس ، حسين .

- غـارات النورمـانديين على الأندلس بين سنتي ٢٢٩-٢٤٥هـ المجلة التاريخية المصرية، م٢٩ ع٢، ١٩٤٩م.

يونس ، محمد محمود .

- مـا تبـقى من شـعـر الحاجب المصـحـفي، مـجلة كليـة الآداب الجـامـعة المستنصرية، عدد ١٢، ١٩٨٥م.
- الحاجب المصحفي، حياته، شعره، دراسة أدبية تاريخية، مجلة كلية الآداب الجامعة المستنصرية، عدد ١٠، ١٩٨٤م.

مقالات دائرة المعارف باللغة العربية :

نهيم ، نهيم سوبر .

- الحاجب، دائرة المعارف الإسلامية، ١٥ج، يصدرها باللغة العربية أحمد الشنتاوي وأخرون، راجعها محمد مهدي علام، د.ت .

- الدوريات الأجنبيـــة :

- Comez, Emilio Garcia.
  Al-Hakam II ,Los Berebers, Al-Andalus, Madrid-Granda, 1948.

- Preito, Antonio.
  Monedas Musulmanas Encontradas En Badjoz, Magazine Al-Andalus, Madrid, 2/1934.

مقالات دائرة المعارف باللغة الاجنبية :

- Chelhod, J.
  Hidjab, The Encylopedia of Islam, Leiden, E.J. Brill, London, Vol.3.

- Reedy Reference, Viking, The New Encyclopedia Britannica, Vol.12, P.367 .

ملخص

الحجابة والوزارة في عصر الخلافة الأموية في الأندلس

(٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٨-١٠٣٠م)

إعداد

أمنة محمود عودة الذيابات

إشراف

الأستاذ الدكتور تقي الدين عارف الدوري

شهد عصر الخلافة الأموية في الأندلس (٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٨-١٠٣٠م) تطوراً في نظم هذه الدولة السياسية والإدارية، وقد تناولت الدراسات السابقة هذا الجانب تناولاً محدوداً، وهو ماركزت عليه الباحثة في هذه الأطروحة.

استهلت الدراسة بمقدمة عرض من خلالها تحليل لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدتها الدراسة .

وقد أعقب ذلك تمهيد عن الحالة السياسية لعصر الخلافة الأموية في الأندلس (٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٨-١٠٣٠م).

وتضمنت الدراسة بابين، انفرد الباب الأول في الحجابة، واحتوى خمسة فصول:

تناول الفصل الأول نشأة الحجابة وتطورها في المشرق في عصر الخلافة الأموية في الأندلس .

وبحث الفصل الثاني في رسوم الحجابة وتعيين وعزل الحجاب وألقابهم .

وتضمن الفصل الثالث صلاحيات الحاجب، ثم العلاقة بين الحاجب والخلافة.

أما الفصل الرابع فقد استعرض أثر الحاجب في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية .

واحتوى الفصل الخامس على دور الحاجب في الجياة العلمية والثقافية.

واختص الباب الثاني في الوزارة، فقد شمل أربعة فصول :

أما الفصل الأول فقد بحث في الوزارة من حيث نشأتها وتطورها في الأندلس .

واهتم الفصل الثاني بدراسة صفات الوزراء وإجراءات تعيينهم وعزلهم .

وانفرد الفصل الثالث بدراسة رسوم الوزارة ، ثم مجالس الوزراء وصلاحياتهم، وألقابهم .

ويعكس الفصل الرابع أثر الوزراء في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والعلمية والثقافية .

واشتملت الدراسة أيضاً على خاتمة متضمنة الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة، كما أرفقت بها مجموعة من الملاحق، ثم قائمة بالمصادر والمراجع .

وخلصت الدراسة إلى أن كلاً من الحجابة والوزارة قد نشأتا في الأندلس منذ عصر الإمارة وتطورتا في عصر الخلافة، وأنهما مؤسستان مكملتان لبعضهما البعض، وترك الحجاب والوزراء في الأندلس بصمات حضارية في مختلف الجوانب خلال عصر الخلافة .

ABSTRACT

Al-Hijaba and Al-Wizara and in the Umayyad Caliphate of Al-Andalus (316-422H./928-1030A.D)

By :
Amina M. O. A-Theyabat

The previous studies have emphasized a lot on the political aspects of Umayyads Caliphate of Al-Andalus, meanwhile the administrative phenomena are generally ignored. Therefore, this study intends to pursue the origins and the developements of the Wizara and the Hijaba in Al-Andalus throughout the Caliphate era.

The preliminary chapter is intended to review the political structure of the Umayyad Caliphate in Al-Andalus (316-422H./928-1030A.D) .

This study comprised two parts: the first consists of five chapters. The first one deals with the creation of the Hijaba office and its roots in Islamic history.

As for the second chapter tries to look at the Al-Hijaba qualifcations, the cermonial acts, the nomination of the Hajib, as well as, his dismisal, and titles. The responsbilities of Al-Hajib and his relationships with Caliphes considered in the third chapter.

However, the role of the Hajib in the socio-economic life and his cultural efforts thoroughly explored in the fourth and fifth chapters.

The second part comprised four chapters which examin the Wizara office (the ministry). While the first chapter explains the creation of this office in the eastern states of Islam as well as in Al-Andalus, the Other chapters dealt with the qualifications of the Wazir, his nomination, and his dismisal Second chapter; points out his responsibilites and titles, and the third tackles the Wazir role in the secio-economic and cultural life.

Thus, this study concludes that the Hijaba and the Wizara appeared in Al-Andalus since the Emirate era, then developed during Caliphate period. It seems that both offices complemented each other.